مبروك مقدم

رسالة في الطلاق للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني

موقع طلبة التاريخ تلمسان

ديوان المطبوعات الجامعية

تحقيق وتعليق

أ.مب. روك مق. مدم

رسالة في الغلائف

للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني

ديوان المطبوعات الجامعية

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال تعالى:

﴿ ما قَطَعتم من لّينة أَو تركْتموها قَائمةً علَى أُصولها فَبِإِذْن اللَّه ﴾

إلى قرة عيني، ومهجتي، وباعثة الأمل فينا ولأبويها

صغيرتي لينة... بارك الله في عمرها، ومتع ا أهلها وعشير ا...ونفث من آى الذكر في قلبها إيمانا، وقرآنا، وهداية، ورشادا، ومحبة لا تزول بزوال كل الأحوال

تقديم بقلم الأستاذ عشراتي سليمان

هيأ المغيلي لموضوعه ببسط القول في سؤال شرعي طُرح عليه.

لقد وردت صيغة السؤال تنطوي على أبعاد الأشكال الصراعي الذي كانت تعيشه أقاليم توات بالصحراء الجزائرية ذلك العصر، والذي همّ المغيلي وأرقه وجعله يعيش الأذية الروحية والمعنوية بعمق، إذ رأى مظاهر التحقير الذمي تشمل الدين الحنيف وتتكرس في ا تمع المسلم الصحراوي.

كشفت الرسالة عن وضع هيمن فيه الذميون اليهود، وأرسو واقعا أهليا، باتت لهم فيه الصولة، والجولة، وبات الأهالي المسلمون في حال من الاستكانة والقصور مهينين.

لقد سجل المغيلي ما كان عليه أولئك الأهالي من ضلال ديني، وعماية فكرية، وترد في الهمة والإرادة، وانحطاط في التدبير.

أن الصغار الذي جعله الشرع من نصيب المنتمي إلى الأمة عندما يعاديها ويتأبى عن مسالمتها والانحياز إليها برضى وايجابية كما كان شأن اليهود مع الرسول(ص) ومع صحابته، إذا ظل- اليهود- يمعنون في معاداته، والاعتراض على دينه وخطته المدنية والحضارية الانبعاثية، فكان أن بوأهم مترلة الاحتواء وخصهم بمركز الذمية بحيث ينالون الحق ضمن ظروف تساكن تلزمهم عدم المشاغبة والتخريب، إن هذا الصغار رآه المغيلي يتحول إلى معسكر الأهالي المسلمة، إذ مالت كفتهم وانبخست جماعتهم في مقابل رجحان مكانة أهل الذمة وشموخ شأ ا، حتى لكأن الطارئ التريل على ذلك الوطن كان هم المسلمون، والأصلي المقيم هم الذمة.

ولقد كنّى المغيلي عن تلك الطائفة من النفعيين، ذوي المهانة والخسة من الأهالي الذين كان الذمة يستندون عليهم في تثبيت تلك الحال التي سادوا فيها وتنفذوا وأضحوا هم مصدر السلطة، والقيمين على الامر في الديار التواتية.. لقد كنى عنهم بالغلائف.

وإن الدلالة لتحيل إلى معنيين على الأقل، فالأغلف هو الفرد المتبلد القلب، الذي لا يعي من القول إلا ما يأتيه عن طريق الهوى والعادة.. والاغلف كذلك هو الفرد الذكر الذي لم يتم ختانه، فهو على غير السنة الابراهيمية، تلك السمة التي من رموزها أن النفس مرشحة لأن تتقوى وتتمرد على شيطان التروة حينما تلجم شهوة الجنس[1]، تلك الشهوة التي جعلها فرويد (الكتابي) مصدر كل فعل نوعي ونشاط كوني، وعلة كل ابداع فني

1 - الليبيدو

وإنشاء حضاري. فالختان يحمل معنى وجوب أن يلجم الانسان هذه الطاقة الفاعلة التي أودعها الله في العباد، فلا يبتذلها إلا في حدود كريمة، حتى لا يتلاقى الآدمي المكرم، المستخلف، مع سواه من مخلوقات الله البهيمية المسخرة.

ومن المعلوم أن خطة الأقليات في كل مصر وعصر، تجد نفسها إما منكمشة، تعول على التقية في تمضية شؤو ا وسط ا تمع، أو هي تبني سياسة شيطانية بحيث تعمد إلى الاستيلاء على الأمر من خلال امتلاك زمام ا تمع بشراء ذمم وجهائه وتخنيعهم بالعلف، ووضعهم في الجيب، فبذلك تغدو السلطة صورية، يتنافس الافراد وتتسابق المراكز على ما تلقي به إليهم اليد الخفية من امتيازات حقيرة، تروضهم على الثبات عليها لا يتحولون بأنظارهم وأفكارهم خارج نطاقها، تماما ككلاب بافلوف المدربة على الشرط المنعكس، الامر الذي تنحط به الهمة، وتتهاوى القريحة، وتتسفل القيم، إذ الطمع ما حكم نخبة إلا أحالها إلى مجمع وبيل من المرتزقة والمدابيث الذين لا يتورعون عن بيع العرض.. بذلك امتدت عقود خضوعنا للمستعمر، وبذلك أيضا طال عناء الشعوب وهي تخضع لقوى سياسية أفاكة، حذقت أن تدير الجماهير من خلال اصطناع واجهات تمثيلية من نخب مهينة شياتة همازة مشاءة بنميم وبكل إثم عظيم.

استناد اليهود إلى هذه الفئات التي كانت تنوب عنهم وترعى مصالحهم، جرّأهم وجعلهم يخرجون عن حد الشرع والعرف، يصاولون المسلمين في عقر دارهم، ويضيقون عليهم في الاقتصاد والمعاملات تثميرا للربح المغصوب، وتوطيدا لنظام الربا الذي احترفوه.

كان التطاول يأخذ مناحي استفزازية لا ارعواء فيها، فبعد التميز بالزي، وهو تقليد اقتضته روح التعامل الشرعي، فالذمي المُتزنر لا يعترض عليه محتسب أو رقيب وهو يحمل خمرا أو يبيعها لقبيله وأهل نحلته، أو يرعى خنزيرا أو ما شابه ذلك من المقتضيات ضمن أعراف ذلك الاجتماع القديم وطبقا لتصنيفية كان يراعيها ويتخذ لها من (السيمونتيك) والمعلمية ما يجعل الرتب والأصناف والفئات وا اميع المتساكنة تتعارف، وتتفاعل في ضوء مدونة آداب وقيم متفق عليها.

لا ننسى أن المدنية الرومانية وقبلها مدنية يونان بتفوقها الفلسفي الراسخ، كانت تصدر في أوضاعها الاجتماعية عن روح تحكمها اعتبارات الطبقات والأصناف والتحيزات.. وقُل مثل ذلك عن سائر المدنيات القديمة التي سبقت الاسلام.

والاسلام حين اجتهد فقهيا لمَعلَمة الأوساط مدنيا، إنما كان حاديه صيانة الآداب العامة، وإرساء مسطرة الرخصة حيث يجب أن تكون. إذ لا يسوغ أن نمحص الناس من

خلال ضابط التفتيش المعلن والمساءلة المحرجة. فالمسيحي المُزنر يمضي في حال سبيله ببضاعته من المادة التي تحرم شريعة ا تمع المسلم تعاطيها دون أن يعترض عليه معترض، والمرأة الذمية تسير من غير محرم أو متكشفة دون أن ترى من يوقفها. لأن زيها كان عنوان هويتها. فالآداب كانت يومئذ تلابس الخصوصيات، ليس في دار الاسلام فحسب، وإنما في بقاع من الارض واسعة، على اعتبار أن ذلك التحميل السلوكي يشكل بذاته مظهرا تمدنيا ويستجيب لمطالب ثقافية مرعية.

ولابد أن نعتبر في هذا التنظيم المدني بما كان عليه زي الفئات والطبقات، فإن ا تمع المسلم فرض — اجتهادا – أزياء مقررة للأصناف والفئات، فالاشراف، والفقهاء، والقضاة، والجند، والمحاسيب، والشرط، وسائر أجناس النقابات المحسوبية والحرفية، كانت تتزيى وترتدي الهندام المخصص لها، من هنا كانت النظرة إلى الزنار أو إلى الزي الذمي والنصراني أمرا طبيعيا، يندرج ضمن (كود) السلوك والتمايز الذي يرسي مسطرة التراتب الاجتماعي، ويحفظ لذوي الفضل والخصوصية استحقاقهم من التوسعة والاعتبار[1].

فمما أفزع المغيلي أن يرى الذمة يذلون المسلمين ويولو م حقير الاعمال ويسخرو م في مهام تتنافى شرعا مع الدين، من قبيل تشغيلهم في بناء الكنائس، أو في وجهة تنابذ الدين الاسلامي الذي تحفّظ على التوسع في بناء المعابد غير الاسلامية في أرض الاسلام، رعاية للصبغة، وصونا للدين الحنيف.

لقد رأى المغيلي أهل الذمة يتفننون في إشادة البيع والمعابد، بروح تطاول عزةَ الاسلام، وتصر على أن تجعل من ا ال الرمزي مادة السيطرة والتخضيع، إذ جندت المعمار والهندسة في جهة رسم الهوية الذمية المتفوقة، نكالا بمشاعر المسلمين، ونكاية بروح العقيدة التي نصت في فقهها على أن الرسوخ لابد أن يكون للاسلام وشعائره في دار الاسلام[2].

1- منذ أقل من بضعة عقود كانت سيدة العالم الغربي أمريكا تخصص للسود فضاءات تقيدهم في الحركة والتصرف والملكية والعبادة. ولولا ثورة الزنوج وتضحيا م لاستمرت الابارتايد سائدة في امريكا كما سادت في جنوب افريقيا. إن الانسان الغربي جملة يحمل في نفسه حس التفوق، والثورة الصناعية التي تنتشر في بلاد الدنيا اليوم، ستكون نتائجها قاصمة الظهر لكل عرق متغطرس.. أما أخواننا أبناء يهوة، فالمستقبل يخفي لهم مفاجآت كثيرة.

2- أنظر إلى التضييق الذي يستهدف الديانة الاسلامية في أوروبا، في عصر الديمقراطية والادعاءات الانسانية الزائفة. فمثلا إن قرار فرض تقصير الصوامع في أوروبا التي تقوم هندسة معمارها على الامتداد العمودي، قرار ذمي، يعامل الاسلام بتركة كانت الظروف التاريخية المرحلية تسوغها، وتبررها، عكس ما يفترض أن يكون عليه الأمر اليوم في عصر العولمة.. لن ننخدع لأحابيل الغرب المغلوب على أمره، المنتهك حتى العظم بأفاعيل اللوبيات الصهيونية.

بل لقد رآهم يسترققُون العبيد، ويجاهرون بالتميز والنقاء العرقي، إذ كانوا يصرحون علانية وبكل رعونة، بأن العرب هم (أبناء أَمة أمهم سارة)، الأمر الذي أكد للمغيلي أن الذمة انتهت في تجسيد عدوانيتها إلى حد خرق المبدإ الانساني ذاته، إذ رجعت بالمواجهة إلى المستوى العرقي، بعد أن تكرس لها الظهور في المستوى الاجتماعي والاقتصادي، وبذلك آذنت انتهاكاتها ا تمع بالتفجر والانتساف.

يتأذى المغيلي أن لا يرى الغلائف تتصدى لهذا الاستغوال والاستكبار الذي تمارسه الذمة في دار الاسلام، متخطين مواثيق المعايشة التي توطدت بينهم وبين المسلمين منذ عهد عمر.

كان العنت الذي يعانيه المسلمون في الديار التواتية مركبا، الحكرة الاقتصادية، الوطأة المعنوية، التنفذ الاجتماعي، المكر التعاملي، التخضيع عن إصرار وتبييت، الاستهتار السافر بالمقدسات، وكلها أوجه توظف في زيادة العسف، وفي حبك خطة التدمير المعنوي والمادي التي يراها الذمة الغاية والمطمح لدوام سؤددهم على (القويم)[1].

لقد مارسوا النبذ الديني ضد المسلمين وجاهروا بالتظاهر الشعائري المغرض، بإطلاق العنان للمراس التعبدي بالكيف المثير، المتجني، المستفز، إذ عرضوا وقائع عبادا م في صورة استعراضات تطاولية خرجت عن حد العبادة إلى التتفيه والاستهانة بقيم المسلمين والاساءة إلى حرمة معتقدهم الروحي، والتشغيب القصدي عليهم، إذ باتوا يتصادحون بآلا م وترانيمهم، ويتصايحون بتراتيلهم ونفخ صورهم.

والمغيلي يطرح قضية إنابة المسلم لغير المسلم في أعمال التجارة وتكليفه في مسائل حيوية تخص المنافع والمكاسب المالية وسواها.. والحقيقة أن الاشكال مطروح إلى اليوم، وربما على نطاق عالمي، فنظام البنوك الدولي، وأساليب النقد والتمويل والاستثمار وغيرها، تؤكد يوما عن يوم أن مخاطر هذا الاستئناس في المعاملات الحيوية والاستراتيجية بالاجني، هو مظهر لا تبرره أوضاع الحطة والار ان التي عشناها منذ عهد اندحار حضارتنا.

إن مكاسب العرب والمسلمين(إلا بعضا منهم)، وودائعهم المالية هي في حكم الضائعة أو التي لا سيادة لنا عليها. وإن ما في أيدينا من أموال نرى أنفسنا نرغم بالوسائل الغليضة وبالدهاء البغيض، وبسبب الغفلة المشينة التي تميزنا، على صرفه في ارج وعتاد (أسلحة للاستعراض المضحك) وفي مستهلكات ورفاهية بلا ذوق، رفاهية توهم بأننا في

1- والقويم هم باقي الاجناس التي تخرج عن نطاق اصطفائية يهوه لشعبه المختار

وضع التوسل إلى صنع أرضية تحضير، وما نحن في الحقيقة إلا في وضع التصبين أو التصابي، نلهو بالتوافه، ويلهو بنا الآخرون.

التشدد الديني والتحرز في مجال التعامل مع الآخر، لا سيما الكتابي الذي تربطنا وإياه رابطة المنازعة الوجودية (فلسطين)، لم – ولن- تهون أو تفتر منه وقائع وضعنا الراهن في مدنية العولمة والتفتح الأممي، إذ كل شيء يتعلق بنا لابد وأن يكون ينطوي على دس أو غش أو تلغيم يجعلنا دائما في موقع الحاجة واللاتحرر، فكيف يسوغ لنا – والحال هذه-أن نغفل ونستنيم، ولا نعزم على الاستفاقة؟؟

أنظر إلى سياسية الصين[1] في مسارها الاقتصادي وتميزه، وفي رؤيتها المتحيزة لعملتها، وفي مخططا ا واستراتيجيا ا، وكيف تراوغ وتناور وتغافص من أجل تدارك ما فا ا، واحتلال أرضية تناسبها على الصعيد الدولي..إن كل ألوان الإعاقة التي تتعرض لها، تؤكد لنا النهج الذي ينتظرنا إذا ما أردنا الانطلاق؟

من جهة أخرى يكشف المغيلي ظاهرة تبطُّح المسلم الصحراوي أمام اليهود نتيجة الظروف التي خلقوها في تلك الجهات، بحيث بات التعامل يتم ضمن مراقبتهم ووفق إراد م، إذ بات التاجر مرغما على أن يترل منازلهم، ويأوي إلى مجالسهم، ويتقرب منهم، ترويجا لبضاعته أو تحصيلا لها، متجملا، متوددا ومظهرا لهم الخفض والانحناء، مخافة أن يلحقه التكسيد والتبوير.. كل ذلك لأن هناك طائفة ممن سماهم المغيلي الغلائف قد مكنوا الذمة من أن تركب ظهر المسلمين.

إن من أهداف المحاجزة والتحرز في التواصل بين المسلم وغيره لاسيما من الكتابيين هو الابقاء على بكرية الايمان مصونة، وتفادي عوامل التأثر والانسلاب، فلقد رأينا من الفقهاء من يشدد النهي على أهل القدوة والشأن من المسلمين في التعامل مع الآخرين، لأن الترخص في تعامل أهل المركز والمكانة مع الكتابيين يهون لا محالة على العامة أن تنطلق من القيد الشرعي، وتتفتح بلا ضوابط ولا وعي على قيم تخرج عن دائرة الشرع، وفي ذلك ما فيه من مخاطر على الأصالة والعقيدة، الأمر الذي يحظره الدين الاسلامي، فالمسلم مرشح أن يكون هو المؤثر بقيمه، والباث لأصول شريعته، والمعلم للعالمين، وذلك امتياز نابع من كون الاسلام هو الدين الذي نزل ليكون عقيدة العالمين، أصالة لا منة واضطرارا[2].

1- أما ايران فإننا بتنا ظهيرا للصهيونية ضدها. والمؤكد أن دول المهانة ستدفع الفاتورة باهضة بسبب مشايعتها العمياء للصهيونية في الكيد لإيران.. وإن الغد لناظره قريب.

2- ظل المسيح -بحسب العهد الجديد - ينادي بالامساك عن التواصل مع بني الامم، فخبزة بني الرب لا تأكلها الكلاب.

وإن الشوائب الثقافية والقيمية المعاصرة التي اخترقت نطاقنا الأخلاقي والسلوكي والفكري، مردها هذا الاجتياح المهدد الذي تفاعلنا به ثقافة الكتابيين المتصهينين التي خالطتنا بما توفر لها من وسائل اعلام وتلقين، وما أحدثته في الضمير الكوني من قابلية التكيف والتطبع على قيمها ومفرزا ا اللاأخلاقية واللادينية.

إ م يعتبرون أن الدين يخصهم هم وحدهم، وان مكانتهم لدى الرب تجعل الازراء بالعقائد الاخرى أكبر مثوبة يتقرب ا الكتابي إلى الرب.

ومما استفظعه المغيلي إيلاء الصحراويين لأعداءهم الذمة مسؤولية ضبط عدة الكيل وإدارة مرفق السكة(ضرب العملة)، ولما كانت المكاييل تجسد روح الشريعة التطبيقي، إذ الالتزام بصحة الموازين التزام بالطاعة، وتنفيذ لروح العبادة في جانبها التعاملي، ولما كانت التجارة تقوم على المكاييل، فإن خطر الاخلال بالمعايير الوزنية أمر وارد إذا ما كان الواضع لتلك المكاييل والمعايير عدو الملة الذي لا يهمه من العلاقات إلا جانبها الربوي، الظهوري. فاسناد أمر التصرف في العملة والأوزان كان يتيح للذمة أن تلحق الغبن والغصب والغش بالمسلمين.

لقد جاء تنديد المغيلي في هذه الرسالة يركز على قبيل من اليهود سماهم (يهود العشرة) أي يهود المعشر والمساكنة، من أهل القرن التاسع هجري الساكنين بأطراف البلاد المغاربية، ممن تموقعوا في طريق الذهب والرقيق، بين الشمال الافريقي وأوطان ما وراء الصحراء..

وأرساء للمحاجة على أرضية الشرع، نرى أن المغيلي – وإزاء كل تفرع من فروع الفتوى– كان يدعم اجتهاده الفقهي بالشواهد التاريخية وبسير السلف وبمقررات الفقه المالكي كما أوردته المدونات الشرعية الذائعة(المدونة، الرسالة،العتبية، الرشدية).

ينعي المغيلي على أهل توات– ذلك العهد– واقع تجريئ اليهود عليهم، وتمكينهم من أن يظهروا بمظهر المتهتك المتمرد على الشريعة الاسلامية وهي التي كفلت لهم الرعاية في كنف دار الاسلام، ولم تكن لتقنعه–المغيلي– حجة التواتيين القائلة بأ م وجدوا وضع سيطرة اليهود عليهم أمرا قائما ورثوه عن الآباء، بل نراه يستتيب العلماء الذين سكتوا عن الحق وتركوا الذمة تجور وتنتهك الاعراف والمقدسات، ذلك لأن المغيلي يخطِّئ هذا اللفيف من العلماء في الاحوال كلها، سواء أكان أمر تركهم للعلاقة المختلة التي تكرست على مر الزمن بين الطرفين، ناتجا عن تواطئ، أم كان مما جرى به الاجتماع والتوارث، أم لعلة أخرى.. أما إن كان تقصيرهم وسكو م آتيا من كو م يعلمون ألا جدوى من الصدع بالحق، فهذا المنطق بحسب المغيلي غير مقبول ولا جائز شرعا، وهنا نراه يصفعهم

بما قرره بعض العلماء أهل الحزم، من أن العالم الذي يسكت عن المنكر في آخر الزمن ملعون.. وأخيرا يرد المغيلي حجة القائلين من الغلائف بأن إغضاءهم عن الذمة ومفاسدهم إنما هو لقصد استبقائهم في البلاد، لما يرتبط ببقائهم من نشاط يضمن دوام رزق الناس. فهذا الاعتقاد في نظر المغيلي إنما يدل على ضعف إيمان أصحابه، إذ الرازق هو الله.

يكشف المغيلي أن الغلائف يتوهمون الجد في ما يظهره الذمة من تودد، ويؤكد أن ذلك مجرد خداع، فالعداء مستحكم في نفوسهم لأهل الاسلام، لكن سذاجة وغفلة أولئك الرهط الغلائف يجعلهم ضحية من حيث لا يشعرون.

ينص المغيلي على أن إذلال المسلم نفسه للكافر غير جائز شرعا، وتأثم في حق الاسلام الذي يجعل من المسلم الانسان الكامل الذي لا يرضى بالامتهان.

ولا يفتأ المغيلي يركز على تقوية وازع العزة في نفس المسلم، إذ أن ما كان يراه في مظاهر تلك العلاقة هو التدني والاتضاع غير الكريم، إذ لا يرضى بالذل أمام الآخر إلا مريض الايمان.

والمغيلي يحرص على إعادة الأمر إلى نصابه ببناء العلاقة في ا تمع المختلط على أساس الحد الشرعي، فأداء الجزية يفي لأهل الذمة بالحق، ويحسسهم بموقعهم في خريطة ا تمع، بحيث يلتزمون معايير المساكنة، فيقلعون عن الحكرة والتنفذ والتطاول والافساد واستغلال ضعف المسلمين، وعدم العمل على ترويض أو صنع أولياء أمر مسلمين (الغلائف) يأتمرون بأمرهم وينصاعون لإراد م على حساب المسلمين.

فإذا ما عادت العلاقة إلى نطاقها الشرعي بات واجبا على المسلمين صون ذمتهم، وإقرار حرمة ما اعترف الشرع لهم به من حقوق (المواطنة) والمعاشرة والمساكنة.

يشدد المغيلي في هذه الرسالة على وجوب الكف عن المعاندة والعسف والحد من إظهار المفاسد واقتراف المحرمات من قبيل تعاطي الخمر علانية والاغراء به، وعرض حيوان الخترير في أماكن الحرمة، واظهار مشاعر الكفر والاستهتار بالدين والعلماء.

يتطرق المغيلي لظاهرة الدس والتدليس التي كانت تمارس لتسويغ الوضع المقلوب، بحيث يعمد الدساسون إلى وضع كتب تحرف الفتوى وتخل بالشرع والحدود، وتنسب تلك الكتب إلى أهل المترلة من الفقهاء، وبذلك تنطلي الحيلة على المسلمين، وأحيانا ترتجل الفتاوى والتأويلات ارتجالا، يقوم بذلك الارتجال علماء الغلائف أو من يقدمونه من علماء يورطو م في المكر، من أجل تسويغ شاذ الاوضاع ونابيها، وذلك مقابل أجر أو

تحقيق منفعة رخيصة.. وكم كان ولا يزال طوائف من الكتابيين يتبعون هذه الاساليب التحريفية التدليسية في تحقيق المقاصد، مستغلين ذوي المطامع والمهانة من بني الاسلام.

ويحذر المغيلي من جهة أخرى الامة من اتباع العالم الجاهل، النكرة، لا سيما في المسائل الحساسة، إذ لا يجوز العمل بفتوى من لم تتوطد مكانته ويذيع صيته بين العلماء، ويعلو عقبه بين ا تهدين.

مجتمع الغلائف كان يتذرع إلى إقرار أوضاع الاختلال تلك، بآراء وفتاوى الاشباه من العلماء الادعياء، لذلك ساءت الحال من جهة المسلمين، وباتوا موضوع احتقار وعسف وابتزاز وانتهاك حتى وهم في دارهم.

ينعى المغيلي من صدد آخر على التواتيين استهتارهم في التولية، إذ تعودوا أن يعينوا الولي والامام والقاضي من غير ذوي الكفاءة والجدارة. فهم لا يراعون شرط الافضلية والارجحية في الولاية. وإن من شأن تنصيب الامام الحصيف والمتولي الحازم والمسؤول التريه أن يدير أحوال المسلمين، فيدرأ المفاسد ويجلب المنافع، حتى يعم خيره الجميع.

جهد التقديم والدرس

مما لا شك فيه أن جهد الباحث الاستاذ مقدم في ابراز هذه الرسالة التي هي جزء من تراث المغيلي، جهد مهم، فهو يندرج ضمن النهج الذي اتبعه هذا الباحث منذ سنين، بالعمل على إظهار مؤلفات الداعية ا اهد المغيلي، وتعريف الناس ا، وإتاحتها للدارسين كي يصبوا عليها التحليل المطلوب والدرس العلمي تجلية لقيمتها، وكشفا على مضامينها ومقاصدها.

ومن الثابت أن الاستاذ المقدم لبث في سائر ما أصدره حول المغيلي يعرف القراء بأحوال الصحراء، وبماضيها وبتراثها في مجال الثقافة والاعراف والمؤسسات والرمزيات.

إن الاستاذ المقدم يخدم تاريخ المنطقة الغني الذي لا يزال يحتاج إلى مزيد من الكشف والتعمق، اظهارا لكنوزه، فبالبحث في يوميات وحوليات المغيلي، يجد الاستاذ مقدم نفسه يكتب في يوميات وحوليات توات والتواتيين.

والذي لا ريب فيه أن أهمية هذه الدراسة التي أخرج ا الاستاذ مقدم هذا الاثر، أهمية بالغة على أصعدة كثيرة، فزيادة على ما أضفته من ضوء أنار المساحة الفكرية والعقائدية التي كان يتحرك عبرها المغيلي في مواجهة اشكالات عصره وبيئته، فإن الدراسة أعطتنا إفادات ثمينة حول تاريخ وجغرافية الصحراء، وأقاليم توات، في ذلك العهد، إد عرفتنا بشطر من عادات الناس في تعاملا م الاجتماعية والاقتصادية والعرفية،

وأبرزت الطابع الهيكلي الذي كان يدير دفة الحياة، والذي بات ليهود المنطقة فيه الرجحان المطلق، كما أن الدراسة، أومأت إلى طبيعة التساجل الذي كانت مدنية العصر تعرفه، إذ خرجت مقاليدها من يد السلطان المركزي، بعد ضعف أو ا يار الدول الجامعة، وتفكك الجغرافية السياسية، وترسخ وضع الاقاليم والمحليات التي كان اجتماعها المغلق، ونشاطها الحبيس يتيح للعنصر الذمي أن ينشط ويظهر ويسوس الجماعات والجهات.

وإن فتاوى الفقيه المغيلي كانت تخوض غمار المقاومة المدنية والروحية من منظور اجتهادي كان يصر على ألا يترك المقادة تفلت من يد الأمة.

لقد رأيناه يخاطب العلماء وأهل الرجاحة (أصحاب العقد والحل)، ويهيب م أن ينهضوا بدورهم في تعديل الاختلالات التي انتهت با تمع المسلم إلى وضع المغلوبية الشنيعة وغير المبررة.

لكأن المغيلي كان يعي أن العلماء وحدهم باتوا مناط الاستغاثة، بعد أن وهنت الدول وتقزم السلاطين.

لقد تحول المغيلي إلى الصحراء يدعو إلى اليقظة، بعد أن رأى الثغور في شمال البلاد تغزى، والتخوم تقتطع.. بل سيرى المغيلي الأمة بعد حين قصير من ذلك التاريخ، تعيش الضياع والضعة المتناهيين، تستجدي الحامي والمغيث من كل صدد، وهو ما مهد لحلول الاخوة عروج والياس وخير الدين العثمانيين أن يترلوا الديار، ويباشروا فيها وبمعية أهاليها عهدا مجيدا من الجهاد والمقاومة.

ظل المغيلي بكفاحه واحتسابه يواجه عوامل الاندحار التي كانت دائبة في خنق الامة، فلم ييأس، ولم يستسلم، ولم يستهوه أن يقنع بنجاحات أولية تطمع ذوي النفوس الضعيفة في التوقف وقطف ثمار الجهد، إذ تأتى للمغيلي سواء وهو في قلب الصحراء ينازل القوى المفسدة، أو وهو في بلاد افريقية يسدد ويرشد ويشير على السلاطين بما يقتضيه الدين والسياسة الحكيمة، تأتى له أن يعمل على إشادة سلطنته الدنيوية التي كان في الوسع أن يورثها للخلفة، لكن المغيلي كان من تلك القسيمة الفذة التي عاشت وسلخت العمر ولقيت ر ا وهي عاملة ناصبة، يحدوها حلم أن ترى الأمة ثابت إلى الرشد، واستعادت الزمام.

فهنيئا للاستاذ مقدم المبروك، وجزاه الله على ما يوليه لتراثنا من جهد خير جزاء.

وهران، حي خميستي
في الساعة السابعة صبحا من الخميس 19جويلية 2012

أ. عشراتي سليمان

المقدمة

الحمد الله المبتدئ بحمد نفسه قبل أن يحمده حامد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرب الصمد الواحد الحي القيوم الذي لا يموت، ولا يعذب عنه مثقال ذرة يسمع دبيب النملة في الليلة الظلماء الحالكة تسير فوق صخرة ملساء، ذو الجلال والإكرام، والمواهب العظام المتكلم بالقرآن، الخالق للإنسان، والمنعم عليه بالإيمان، المرسل رسوله بالبيان محمد بن عبد الله الهاشمي العدنان صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

فمن عادة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني أنه لا يضع عنوانا لكتاباته، يمكن للفاصل استخلاصه من بين أسطر المخطوط.

لقد جاءت مخطوطة رسالة في أهل الذمة أو تحت عنوان رسالة الغلائـ ـف Rissalet El Ghalaif، فبعدما أكملنا تحقيق رسالة لكل مسلم ومسلمة الخاصة بنازلة يهود توات، أردنا استكمال وتواصل البحث حول أحداث القرون الوسطى وبالذات القرن الثامن والتاسع هجريين الخامس والسادس عشر ميلاديين.

فقلت في نفسي:

باديةُ الكَرى أصعب عـ ـندي ∴ من ضرب السيوف وقلع الأضرس
لَما رأيت قلمي جف بعدمـ ـا ∴ دمعـ ـه كـ ـان سائـ ـل مسـ ـالٌ
يعقُبـ ـه فـ ـرح واستـ ـراح ∴ ينعـ ـش ذَات عليـ ـل الحـ ـواس
ينتابنـ ـي ظَن أننـ ـي قـ ـد ∴ أكملت كتابـ ـي بعد طُـ ـول العنـ ـاءِ
لكني وما يمضي يومي حـ ـتى ∴ أجِده قَبضـ ـا بيـ ـن الأصابِـ ـعِ
ذَاك حالـ ـي ومآلـ ـي فـ ـلا ∴ أعيـ ـش مقعـ ـدا وفـ ـي مكانِـ ـي
فرغم صعاب الكَرى ومتاعبه ∴ أيامنـ ـا زواهي مـ ـزهـ ـرات

ترتكز المحاور الكبرى لهذا المخطوط على العناصر التالية:

1- طغيان اليهود بتوليد أرباب الشوكة وذوي السلطان.
2- حمايتهم وتأمين حيا م من الغلائف.
3- تقسيم الأراضي العنوية، وصلحية، ومفتوحة.
4- الجزية وتحديد من يستلمها ومن يوزعها ومن يأخذها.
5- في الغلائف أو رسالة في أهل الذمة، اختلف الكتاب والشراح حول العنوان الحقيقي لهذه المخطوطة. فقد يندرج اسم الغلائف ويحمل على ثلاثة أو أربعة أشياء:

1- فالغلائف عند الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي هم رؤساء القصور الذين يمتازهم اليهود بعطايا ـاية كل سنة لحمايتهم والزود عنهم.

2- والغلائف: جاءت من الغلف وهو الرجل الذي لم يطهر فنقول رجل غلف وامرأة غلفاء.

3- والغلائف: القلوب المغلفة المغلوقة، فهي قلوب في أغلفة تسترها عن الفهم والتميز لوجود الغشاوة الحاجبة للقلوب عن الوصول إلى الحق. لقد قسم العلماء القلوب إلى ستة أصناف هي:

أولا– القلوب البيضاء: وهي التي لا يفتح صاحبها قلبه لغير الحق، وإذا تعرض لفتنة انكمشت مساما ـا إلى درجة الانغلاق وهي:

1- القلوب المطمأنة.
2- القلوب السليمة.
3- القلوب المنيبة.
4- القلوب الوجلة.
5- القلوب المربوطة.
6- القلوب المقشعرة اللينة.

ثانيا– القلوب السوداء: أصحا ـا مساما ـا مفتوحة للفتن ومنها:

1- القلوب الغليظة.
2- القلوب الزائغة.
3- القلوب الغافلة.
4- القلوب القاسية.
5- القلوب المغلفة.
6- القلوب المريضة.
7- القلوب المختومة.
8- القلوب المطبوعة.
9- القلوب المكنونة.
10-القلوب العمى.
11-القلوب المقفلة.
12-القلوب اللاهية.
13- القلوب الزانية.

فقد روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض

العلماء، حتى إذا لم يترك عالما إتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[1].

ومن ذلك يقال في المنابذة، (يا ابن الغلفاء) قال ابن تيمية ولهذا يقال في المشاتمة يا ابن الغلفاء، وهي المرأة التي لم تختن.

أخذ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي طرح هذا المصطلح تجريحا وكناية تنكيلا لهم بمن لم تختتن مع العلم أن اليهود يختنون أولادهم في الأسبوع الأول من الولادة.

ولما لم أجد في حاصل ذلك الزمان توضيحا لهذا المصطلح بحثت في قاموس الكتاب المقدس عن شرح كلمة غلف فوجدت (الغلفة، الأغلف، والغلفاء).

فالأغلف: هو الأعزل أي الرجل غير المختتن، فتقول غُلِّف قلبه غلفًا، لم يع الرشد، كأن عليه غلافا، وهو تشبيه للأغلف المغلف، فالرجل أغلف والمرأة غلفاء، كما يقال الأذن الغلفاء أي الصماء عند سماع صوت الحق.

والغلْف شجرة تنمو تلقائيا فهي شجرة متصلة ببعضها كشجرة (النقِّيرة) عندنا، فقد تكون بيضاء الشكل وتكون غير ذلك. غير أن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي عرف الغلائف بأ م رعاة وحماة اليهود المدافعين عنهم، وهم يلقبو م بالغلائف، رغم أن ثمة من يشير لغير هذا المنحى فيرى أن الغلائف تنطبق وتنطلق على أبناء اليهود الذين أنجبوهم مع أمهات مسلمات.

فهم يرعو م ويأو م، مما أثار حفيظة الإمام وأفتى بكفر من يأوي يهودي أو يحميه أو يجعل شيئا من مصالحه في يده، كتجارة، وصيرفة، ومكاييل.

فأولئك الصبية من أمهات مسلمات أصبحوا عيونا داخلية لليهود ضمن النسيج العمراني الاجتماعي للمسلمين. يرسلون الأبناء لزيارة الأخوال، ويحثو م على نقل ما يشاهدوا خاصة ما يتعلق بالتجارة والأسواق، والبضائع، واستعداد المسلمين لمحاربة أهل الذمة، وقوة العدة والعتاد والجند.

كما أن هؤلاء الغلائف كانوا يترلون اليهود بمساكنهم يكشفون عورات الناس باندماجهم في العمران الإسلامي، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وقَالُواْ قُلُوبنا غُلْف بل لَّعنهم اللَّه بكُفْرِهم فَقَليلاً ما يؤمنونَ**﴾[2] قالوا قلو م غلف والغلف أخذت من الغلاف، والتغليف، وهناك غَلْف بسكون اللاَّم وغُلُف بضم اللام، مثل كتاب وكتب..

1- الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه.

2- سورة البقرة، الآية: 87.

وبعد البحث والاستقصاء وجدت رجلا يبلغ من العمر 70 سنة بأولاد خضير وبالضبط بأولاد رافع قال لي أننا نسمي الغشاء الذي يغلف قضيب الطفل (بالقلف) القاف ثلاثة نقاط، ومع العلم أن الرجل يسمى بالعرف المحلي بالزيان أي الذي يطهر الأطفال الصغار.

ومع هذا فإن بعض الألفاظ وبعض الكلمات يتعسر أحيانا الوصول لمبتغاها وكينونتها، إما أن استعمالها عزف عنه بفعل السنون، أو أ ا عدت تقبيحا وشتامة وخذلانا فسماها علماء اللغة باللغة الوحشية، فقد لا يصادف البحث تواجدها بالقاموس بالمعجمات.

غير أ ا توجد بأفكار الرجال يستخرجون معانيها بالاجتهاد والإطلاع، والمقارنة فكلمة غلائف تساق في هذا المنحى.

وثمة مثل شعبي عندنا يقول (هذا الرجل مغلَّف) أي أنه قصير التمييز ضعيف الفهم والإدراك، لا بداهة عنده وهي في أساسها شتامة وتقبيحا ونقصانا تطلق على الشخص البهمي كأن نقول لآخر أنت (مغندف استهزاء به).

ويقولون أيضا في المثل الشعبي (أتفُو على رجل تالف ما يلبس فصالت عارف، وما يفصل ثوب بيده).

فمن أفتى بعدم دفع الجزية يراه الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مثل هؤلاء قلبه مغلف، فيها من العلم ما يكفيها، ولكنهم يقولون إننا لسنا في حاجة إلى كلام الرسل، أو قلوبنا غلف مغلقة ومطبوع عليها، أي أن الله طبع وختم عليها، حتى لا ينفذ إليها شعاع من الهداية، ولا يخرج منها ما ينفع الناس علَماءَ ضلُّوا وأضلُّوا.

في هذا السياق الاستعراضي السردي أجد سردا متوافقا في مسألة القرب من الكفار فقد جاء به تنفيرا وتحذيرا فبداية من الفصل الأول في رسالته (لكل مسلم ومسلمة) [1] أجد تقريبا توافقا سراديا مع هذه المخطوطة، وبالأحرى آخذَةٌ من كل ما كتبه من رسائل ومخطوطات، فلا يختلف السرد اللفظي والمعاني، والاستنباطي بل حتى أن الاستشهاد جاء بنفس الآيات القرآنية التي دائما يستدل ا، وكذا الأحاديث النبوية الشريفة، ما يعطي الدلالة أ ا كتبت بعدما انتهى من (رسالة لكل مسلم ومسلمة).

1- رسالة لكل مسلم ومسلمة أو ما اصطلح عليه بنازلة يهود توات، قد تم تحقيقها في كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ج1، ص121.

وثالثة المفارق والمفاصل الاقترابية، تبرز في المنهج الذي يعد مخالفا لبقية كتاباته السابقة عند هذه المخطوطة.

وفي ميدان زواج المسلمة من الكتابي نص عليها الإمام محمد بن عبد الكريم وأفتى فيها، بما جاء به علماء الفقه المالكي يحل للمسلم الزواج من الحرة الكتابية لقوله تعالى: ﴿**الْيوم أُحلَّ لَكُم الطَّيبات وطَعام الَّذين أُوتواْ الْكتاب حلٌّ لَّكُم وطَعامكُم حلٌّ لَّهم والْمحصنات من الْمؤمنات والْمحصنات من الَّذين أُوتواْ الْكتاب من قَبلكُم إِذَا آتيتموهن أُجورهن محصنين غَير مسافحين ولاَ متخذي أَخدان**﴾[1] والزواج منهن وإن كان جائزا إلا أن بعض العلماء كرهوه، لأنه لا يؤمن أن يميل إليها فتفتنه عن دينه أو يتولى أهل دينها ميله. فإذا كانت حربية فالكراهة أشد، ويرى بعض العلماء حرمت الزواج من الحربية.

فقد سئل ابن عباس عن ذلك فقال: لا تحل فقرأ قوله تعالى﴿ **قَاتلُواْ الَّذين لاَ يؤمنونَ بِاللّه ولاَ بِالْيومِ الآخرِ ولاَ يحرمونَ ما حرم اللّه ورسولُه**﴾[2].

غير أن حكمة الله اقتضت الزواج منهن لا زالت الحواجز بين أهل الكتاب والمسلمين فالزواج معاشرة ومخالطة وتقارب الأسر بعضها ببعض، فهو أسلوب من أساليب التقارب بين المسلمين وأهل الكتاب ودعوة للهداية ودين الحق[3].

لقد اتبعت في التحقيق المنهج الوصفي والتاريخي لقربه من أحداث وظواهر المخطوطة علاوة على أن أحداث القرون الوسطى وخاصة ما ظهر من نوازل وأحداث، بالقصور التواتية أدى إلى انقسام الساكنة والعلماء إلى فرق وشيع، لذلك طرحنا الأسئلة التالية: هل كانت نازلة يهود توات الأساس في كتابة هذه المخطوطة أو أن ثمة أسبابا أخرى؟ كما أن التأثيرات الخارجية التي ظهرت بعد تحول التجارة العالمية من تجارة البضائع لتجارة الإنسان سببا في طرح هذه الأسئلة على الأمام أو أن وجود الأقاليم التواتية بدون عمود يقضي أو بحكم كان هو الوازع في استصدار هذه المخطوطة، وطرح الأسئلة للرد عليها.

على العموم فإن هزات وصدمات نازلة يهود توات استصدرت عديد الفتاوى والنواظر والأحكام حتى أصبحت فيصل زمان القرون الوسطى، فلا نجد كتابا أو حديثا يدرس تاريخ توات ويتعقب ترجمة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي إلا استصدرت بذكرها. وعرج على مفاصلها رغم أن بعض الكتاب حاولوا محو آثارها وتعقب مسالك

1- سورة المائدة، الآية: 6.

2- سورة التوبة، الآية: 29.

3- فقه السنة للشيخ سيد سابق، ج2، ص70-71.

فكر آخر ظانين أن تحييدها يسلم وينقص من آثارها ومرجعيا ا، يشيرون أن ما قام به الإمام لم يتصدر أحداث القرن الخامس والسادس عشر ميلادي في هذا الاتجاه، وهو في نظري تغريب وتحييد لما لم يكن قد حيد وغرب. من أمثال هذه الأحداث، فقد تكون حادثة أم الحوادث وهذا ما كان قد حصل معها.

الباب الأول

مولد ونشأة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني

المحور الأول: مولده ونشأته

المحور الثاني: دراسته ومشائخه

المحور الثالث: علماء عصره

المحور الرابع: الأهمية التاريخية للمخطوطة

الباب الأول
مولد ونشأة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني

المحور الأول: مولده ونشأته

لقد ولد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي سنة 831هـ . الموافق لـ . 1428م[1]، فهو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، بن عمر بن مخلوف، بن علي، بن الحسن، بن يحي بن علي، بن محمد، بن أحمد، بن عبد القوي، بن العباس، بن عطية[2] بن مناد بن السري، بن قيس بن غالب، بن أبي بكر بن أبي بكر، بن عبد الله بن إدريس، بن إدريس بن عبد الكامل بن الحسن المثنى السبط، بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]. ولد بمدينة مغيلة[4]، من عائلة عريقة في النسب والعلم والفقه والجود، اشتهرت بالشجاعة والزهد، والذود عن الوطن والدين لا تخشى في الله لومة لائم، من عائلة تناصر الضعيف وتغيث الملهوف والمستغيث، جاء ذلك عن ابن مريم في كتابه البستان في ذكر علماء وصلحاء تلمسان، ونظرا لتجذر وعراقة هذه العائلة العلمية فإن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي يعد العالم العشرين في سلسلة علماء المغايلة.

1- لقد اختلف المؤرخون والكتاب والمترجمين في تحديد تاريخ ميلاد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، فقد أشار أحمد بن القاضي في كتابه تاريخ الوفيات لميلاده عام 820هـ . /1428م وهذا تاريخ متقدم عن ميلاده الحقيقي وفقا لمتابعة الأحداث والتصورات بحسب تنقلاته ورحلاته لذلك نقول: إن ميلاده كان سنة 831هـ . /1428م. أنظر كتابنا محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، ص27.

2- لقد استخلصت هذه الشجرة من مخطوط "الشجرة الكبرى الجامعة لأنساب سكان توات" للشيخ بن العالم محمد الزجلاوي الورقة الخامسة.

3- استخلصت هذه الشجرة من عدة مخطوطات أهمها مخطوطة ابن الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الحبيب ومن مخطوطة درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام لمحمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي التواتي الورقة الحادية عشر، يرى فيها أن قدوم المغيلي لتوات كان سنة 810هـ . /1407م، وهو تاريخ متقدم جدا عن ميلاده بـ . 21 سنة، فلا أدري من أين استخلص هذا التاريخ خاصة وأن الإمام المغيلي ليس من مواليد سكان توات.

4- ينسب المغيلي لمدينة مغيلة التي كانت تقطن بنواحي تلمسان بعد التقسيم الإداري لسنة 1991م (دائرة تابعة لولاية تيارت) لقد وقفت على إطلالها وبيو ـا القديمة التي أصبحت أثرا بعد عين.

شارك أحد أجداده وهو "إلياس المغيلي" في الفتوحات التي قام ـا "طارق بن زياد" على الأندلس[1]، يشير عبد الرحمن بن خلدون إلى أن قبيلة مغيلة إخوة لمطامطة، لماية، وكذا دونة وكشانة وكان منهم جمهوران؛ أحدهما بالمغرب الأوسط عند مصب الشلف في البحر من ضواحي مازونة، المضر لهذا العهد، ومن ساحلهم اجتاز "عبد الرحمن الداخل" إلى الأندلس ونزل بالمنكب فكان منهم "أبو قرة المغيلي"، ومنهم أيضا "أبو الحسن" الذي ثار بإفريقيا في صدر الإسلام، وأبو حاتم يعقوب بن لبيب، بن مرين، بن بطوفت، بن ملزوز الثائر مع "أبي قرة" سنة 150هـ. /768م وذكر من رؤسائهم أيضا "موسى بن خليد ومليح علوان"، و"حسان بن زروال" الداخل مع عبد الرحمن، ومنهم أيضا "دلول بن حماد" أميرا عليهم بن سلطان يعلى بن محمد اليفرني، وهو الذي اختط بلد (إيكري) على اثني عشر ميلا من البحر، ولم يبق من مغيلة بذلك الوطن جمع ولا حي وكان جمهورهم الآخر بالمغرب الأقصى، ومواطنهم في هذا العهد ما بين فاس ومكناس[2]. وقد اطّلعت على نسبه أيضا عند أحمد بن علي أحمد القلقشندي[3].

المحور الثاني: دراسته ومشائخه

لقد أفرد عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته حول تعليم الوالدين للأولاد خاصية تحفيظ القرآن الكريم للأبناء فيقول: "اعلم أن تعليم الولدان للقرآن الكريم شعار الدين أخذ به أهل الملّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائد من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أمل لما بعده"[4]. فالمثل عندنا يقول (النقش في الصغر كالنقش على الحجر والنقش في الكبر كالنقش على الرمل).

1- يعد فتح الأندلس امتدادا طبيعيا لفتوحات شمال إفريقيا، فقد واصل المسلمون في فتوحا م للمغرب الأقصى لمواجهة شبه الجزيرة الإيبيرية، فالذي فتح تلك الأنحاء هو الذي اضطلع بمهمة فتح الأندلس، وقد بلغ المد التوسعي على شمال إفريقيا في عهد الوليد عبد الملك سنة 86هـ. إلى 96هـ. الموافق لـ. 705-715م ساعدته ظروف الاستقرار الداخلي، وكان الوالي السابق على إفريقيا "حسان بن نعمان" طهر منطقة المغرب من نفوذ البيزنطيين وقضى على ثورة البربر الثانية بقيادة "الكاهنة" وما أن تواصلت نجاحاته حتى تم استخلافه بـ. "موسى بن نصير" عام 85هـ. /704م، وقد عبر طارق بن زياد مضيق جبل طارق يوم الاثنين 05 رجب 92هـ. /28 نيسان 711م على متن أربعة سفن تجارية قدمها يوليان. للمزيد، أنظر: تاريخ المسلمين في الأندلس، د.محمد سهيل طقوش دار النفائس، ص29 و30.

2- للمزيد من التفصيل، أنظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون، ج6، ص149.

3- أنظر: ـاية الأرب في معرفة قبائل وأنساب العرب لأحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، المتوفي سنة 821هـ. /1418م حرف الميم.

4- أنظر: مقدمة بن خلدون، ص537-538، ط.بيروت

يعتبر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي العالم رقم عشرين في سلسة العلماء المغيلين والتي تبدأ بـ. "إلياس المغيلي"؛ فقد اشتهر والد الإمام المغيلي بالعلم والمعرفة والصلاح، كما كانت أمه سيدة فاضلة تحب الفقراء وتعطف عليهم بسخاء، فتربى المغيلي في هذا الجو المملوء بالعلم والصلاح والعطاء[1].

حفظ القرآن الكريم على يد والده، وعلمه مبادئ اللغة العربية؛ من نحو وصرف وبيان، كما درس عليه موطأ الإمام مالك بن أنس وكتاب ابن الحاجب.

انتقل بعد الدراسة العائلية الأولى للدارسة على يد الفقيه "محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي" الشهير بـ. "الجلاب التلمساني"[2] حيث أخذ عليه التفسير والقراءات والفقه المالكي وختم عليه المدونة مرتين، ومختصر خليل، والفرائض من مختصر ابن الحاجب، والرسالة.

وأخذ على الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن يحي الحسن أبو يحي التلمساني سنة 825و826هـ. /1422-1423م. وتعد هذه المرحلة الدراسية الثانية بعد الدراسة العائلية في تلمسان.

أما الرحلة الدراسية الثالثة: فقد انتقل لمتابعتها بحاضرة بجاية للاستزادة من التعليم، فدرس على يد الشيخ أحمد بن إبراهيم البجائي المتوفى سنة 840هـ. /1436م، فهو إمام جليل اشتهر بالتفسير والفقه، تتلمذ على يديه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي شيخ الطريقة القادرية وصاحب تفسير القرآن الكريم، (الجواهر الحسان).

كما درس على الشيخ منصور بن علي عثمان أبي علي الزواوي المنجلاتي من فقهاء وعلماء بجاية، وقد كان من أعلام المدينة كلمته مسموعة في الأحوال السياسية، والعلمية توفّي سنة 846هـ. /1442م.

- أسباب مغادرة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لموطنه تلمسان:

لقد مرت تلمسان بفترة عصيبة شابتها اضطرابات سياسية خطيرة أبرزها اكتشاف ملكها (المتوكل على الله) محاولة الانقلاب عليه واغتياله؛ حدثت الواقعة شهر شوال من سنة 873هـ. /1468م[3] فا م الملك علماء بلاده بمحاولة قتله والتآمر على ملكه، فكان

1- أنظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون، ج6، ص149.

2- المغيلي والمغيل هو الذي نبت في غيل والغيل الماء الذي يخرج من أصول الشجر، والغيل الذي يتغلغل ويجري بين الحجارة ولا يكون إلا في بطن الوادي، والمغيلي من غل يغل والأغلال هي البقول.

3- هو أبو عبد الله محمد المتوكل على الله، سنة 873هـ. /1468م.

من بين المتهمين أحمد الونشريسي أحد أقران ورفقاء صبا المغيلي، وهو الذي نصحه بالهروب لئلا يقع في يد جند الملك فيقتلونه. أما الشيخ أحمد الونشريسي فقد هدم مترله وصودرت أمواله وأحرقت كتبه، مكنه أنصاره ومؤيدوه وطلبته من الهروب نحو المغرب الأقصى سنة 874هـ. /1469م. خرج المغيلي هو الآخر متجها ناحية الزوايا البجاوية للدراسة على شيوخها.

المحطة الرابعة في مواصلة الدراسة: لقائه بعبد الرحمن الثعالبي فقد نصحه علماء بجاية بالتوجه للجزائر لما شاهدوا فيه من المقومات العلمية والتطلع لحمل الطريقة، والفطنة، فنصحوه بالاتصال بشيخ الطريقة القادرية عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر، فانتسب للزاوية وتتلمذ على الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، فقد زوده زملاؤه الطلاب بكيفية الانتساب للزاوية وطرق الدراسة ـا فعمل بتوجيها ـم ونصائحهم فضمن الانتساب للزاوية الثعالبية.

لقد بدأ الإمام المغيلي دراسته الأولى بمدينة تلمسان مسقط رأسه، حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ سيدي أحمد بن عيسى المغيلي التلمساني المعروف بالجلاب.

وقد أجاد فنونا مختلفة وقد ساعده في ذلك ذكاء مفرط فنهل من أمات الكتب الشرعية والفقهية على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، فاجتمعت له الصفات العلمية والولاية الربانية لتنمو في نفسه بذور الصوفية غذّاها بمصاحبة الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي رضي الله عنه.

دراسته: بعد أخذه و له للفقه وأصوله من علماء العائلة[1] انتقل لمدينة بجاية للدراسة بزواياها وقد نصحه شيخه بالتوجه لها والدراسة والتفقه على أمات كتب السادة المالكية.

بقي هناك مد أربع سنوات ونيف، وما إن فتح الله عليه وحصل المراد واكتملت الفائدة نصحه مشايخه ومعلموه بالتوجه لمدينة الجزائر لمقابلة عميد الصوفيين وشيخ الطريقة القادرية سيدي عبد الرحمان الثعالبي رحمه الله تعالى وأسكنه جنة النعيم.

انتقل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لمدينة الجزائر ولا نعرف بالضبط تاريخ انتقاله لها، فنبغ بين أقرانه بالمدرسة الثعالبية، ليبقى ردحا من الزمن للدراسة ناهز الستة

1- لقد كانت مدينة تلمسان في عهد الملك المتوكل على الله تعيش أوضاعا سياسية متأزمة ناتجة عن الصراع على السلطة، فقد اكتشف المتوكل مؤامرة نظام حكمه واغتياله والإطاحة بملكه فا ـم علماء بلاده بأن لهم يدا في ذلك. وكان من بين المتهمين صديقه أحمد بن يحيى الونشريسي الذي مكنه أنصاره من مغادرة تلمسان خفية فصودرت أمواله وهدمت داره كان ذلك سنة 874هـ. /1469م ولعلاقة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي به نصحه بأن يخرج من البلاد حتى لا يقع جنود المتوكل على الله فخرج نحو مدينة بجاية للدراسة والتفقه على مشايخ زواياها.

سنوات، استزاد من مادة الفقه وأصول الفقه والتفسير، وأصوله، وأحكام التصوف، فنصحه شيخه سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالتنقل لقصور توات وأوصاه بثلاثة أمور:

1- محاربة اليهود ذه الديار فقد عاثوا فيها فسادا، عللوا واستعلوا على الأحكام الشرعية.

2- نشر الإسلام بإفريقيا الغربية، مالي، والنيجر، ونيجيريا، وموريتانيا، وقلتا العليا.

3- نشر الطريقة القادرية ومبادئها بقصور توات وإفريقيا الغربية.

فتزوج من ابنة سيدي عبد الرحمان (لالة زينب)، انتقل ا لقرية أولاد سعيد بتميمون أنجبت له ثلاثة أبناء هم: سيدي علي توفي بأولاد سعيد، وسيدي محمد عبد الجبار الذي استخلفه عند ذهابه لكانو، وسيدي عبد الله الذي كان يكنى به هو الجد الثاني لآل المغيلي بالقصور التواتية.

جدول توزيع آل المغيلي (الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني)

الرقم	مكان التواجد للآل	التسمية الحالية
01	قرية تماسخت	بن عبد الكريم
02	أولف	المغيلي
03	زاوية الشيخ	سالم
04	زاوية الشيخ	الحاج أحمد
05	زاوية الشيخ	المغيلي
06	قصبة الحنة زاوية الشيخ	العثماني
07	قصر بوعيسى زاوية الشيخ	بافكر
08	زاوية الشيخ	المغيلي
09	زاوية الشيخ	كروم
10	قصر أولاد علي	عثمان
11	قصر أقديم	غرابي
12	قصر أولاد بوحفص	خضير

المحور الثالث: علماء عصره

لقد كان عصر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي على تلمسان وبلدان المغرب العربي عصر اضطرابات وصراعات ومع هذا كان هذا العصر أزهى العصور في بروز العديد من العلماء، والفقهاء والمؤلفين والكتاب، فهو امتداد للقرنين السابع والثامن والتاسع هجري.

فقد نبغ خلال القرن التاسع هجري الكثير من المحدثين والمفسرين، والشعراء والكتاب والمؤرخين، فكان للدراسات الفقهية، وفقه التشريع، وعلم الكلام وافر الحظ، كما كان للنشاطات المتعلقة بالأبحاث الصوفية والصوفيين السمة الأساسية والعامة لهذا العصر، فمن هؤلاء النوابغ نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر:

1- الفقيه الحافظ التنسي المتوفى سنة 899هـ . /1495م[1].
2- ابن مرزوق الكفيف المتوفى سنة 901هـ . / الموافق لسنة 1497م[2].
3- العلامة محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد المتوفى سنة 842هـ . /1438م[3].
4- العلامة أحمد بن يحيى الونشريسي مؤلف كتاب المعيار المعرب المتوفى سنة 914هـ . /1510م[4].
5- العلامة قاسم بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشذالي.
6- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المتوفى سنة 875هـ . /1471م[5].
7- العلامة الصوفي سيدي إبراهيم التازي المتوفى سنة 866هـ . /1462م.
8- العلامة المتكلم الشيخ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الأشعري.
9- الشيخ محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة 895هـ . /1491م.
10- محمد بن يحيى التلمساني الشهير بالحباك المتوفى سنة 867هـ . /1463م
11- الشيخ الفقيه سيدي أبي بكر العصنوني، وابنه عبد الله العصنوني[6].
12- الشيخ يحيى بن يدر التادلسي شيخ الإمام المغيلي لقصر تمنطيط.
13- الشيخ جلال الدين السيوطي[7].

1- أنظر البستان لابن مريم، ط1 سنة 1908م، ص237-238.
2 -أنظر كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني.
3- نيل الابتهاج في تطريز الديباج، لأحمد بابا التمبكتي، ص87، 314.
4- أنظر جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس لأحمد بن القاضي المكناسي.
5- البستان، لابن مريم المقدوني، ص38، 58.
6- أنظر تعريف الخلف بمآثر السلف، ج1 للأستاذ مبروك مقدم، ص6-7 تحت الطبع بدار القدس العربي بوهران.
7- أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، طبع دار القدس العربي، 2012، ص76.

14- الشيخ عمر بن عبد الرحمن[1].

15- الشيخ الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي.

16- الشيخ عبد الرحمن بن سعيد.

17- الشيخ الفقيه أبي زكريا أبي البركات.

18- الشيخ محمد بن قاسم الرصاع.

19- الشيخ الفقيه أبي مهدي عيسى المواسي.

20- الشيخ أحمد بن زكريا التلمساني.

Appeendix A. Al-maghili's scholastic stemmata

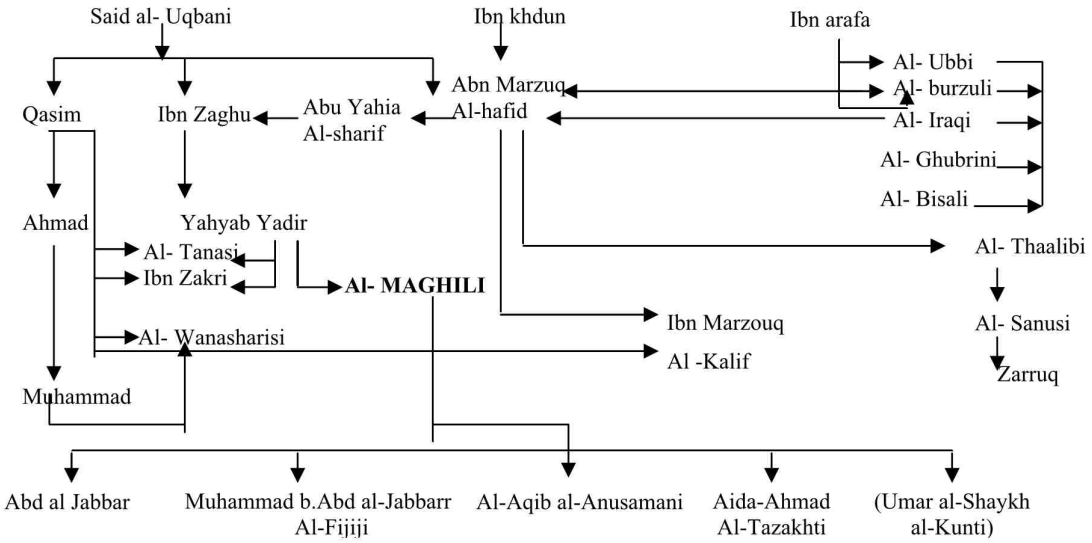

لقد نشأ وترعرع الإمام المغيلي في هذه البيئة الفقهية والعلمية والثقافية التاريخية والنهضة التي سادت العصر، فقد تأثر بفكر هؤلاء العلماء وأثر فيهم؛ حيث يقول (دخلنا أرض توات فوجدناها ديار علم ومقر أكابر وأعلام، فانتفعنا منهم وانتفعوا منا، لولا ما أفسده علينا يهود هذا الزمان)[2].

لقد كان الإمام المغيلي مرآة عصره يستشف ذلك من كتاباته، فلم يكن يطمح لجاه أو مال، بل كان سيفا على رقاب الأعداء، مصلحا لحال الأمة، نستكشف كل ذلك من خلال تصفحنا لموروثه الثقافي الذي خلفه لنا، ظاهرا بيننا، يؤرخ به للفترة التي أثرت فيه

1- أنظر كتابنا تعريف الخلف بمآثر السلف، ج2 للأستاذ مبروك مقدم تحت الطبع بدار القدس.

2- أنظر كتابنا مدونة الفقه التصوفي المحقق فيه مخطوطة مصباح الأرواح في أصول القلاح، طبع دار القدس العربي بوهران سنة 2012، ص66.

وأثر فيها بمجموع كتاباته في مختلف الفنون، والتي بلغت ما يزيد عن سبعين مخطوطا أغلبها بديار الغربة: كالمغرب، ومالي ونيجيريا، ومنطقة الشناقطة، وبالحجاز في مكة المكرمة، وبفرنسا وخاصة بمكتبة (بوبور) والمكتبة الوطنية الفرنسية، وبجامع القرويين، وبالمملكة المتحدة؛ حيث تم ترجمة العديد من الأعمال والموروثات المغيلية للغة الإنجليزية، تلك الأعمال التي لها صلة بالواقع المعيش لحالنا خلال تلك الفترات التي أنجز فيها دراسته، كما تم ترجمة كل الأعمال لهذه الفترة الحرجة التي تعيشها الأمة العربية والإسلامية، فعندما أتصفح أعمال الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يخيل إليّ وكأنه يعيش بين ظهرانينا برغم مرور 507 سنة على وفاته يقول الشاعر العربي:

الخط يبقى زمنا بعد كاتبه ∴ وكاتب الخط تحت الأرض مدفونا

المحور الرابع: الأهمية التاريخية والفقهية للمخطوطة

هذه الرسالة ذات أهمية تاريخية وعلمية لكو ا تؤرخ لحقبة زمنية من تاريخ ا تمع التواتي، كما تبرز الصراعات التي كانت سائدة آنذاك خلال القرن الثامن الهجري الخامس عشر الميلادي ذه الديار.

فإذا كان داعي ظهورها اتسم بحادثة معينة اتفق على تسميتها بـ. (رسالة الغلائف) فإن هناك في نظري عدة عوامل أخرى ساعدت على بروزها في الحيز الزماني والمكاني منها:

1- ضعف مردود التجارة القوافلية الواردة للمنطقة، بسبب المناوشات التي بدأت تظهر من حين لآخر بين دويلات المغرب العربي الكبير.

2- الإغارة على القوافل التجارية من قبل المغيرين واللصوص وقطاع الطرق لعدم قيام الحراس بما أنيطوا به.

3- ظهور بوادر تقسيم جديد للعمل في ا تمع التواتي، وذلك بزيادة أعداد الفقاقير وجلب أكبر عدد من النازحين والقادمين لهذه الديار؛ لما عرفت من الاستقرار والطمأنينة لإنعاش الدورة الاقتصادية التي بدأت في الاضمحلال بسبب ضعف وقلة التجار القادمين، فكان لابد للمجتمع من البحث عن أسباب استقراره على الأقل من الناحية الاقتصادية واللجستية. أما من الناحية الشرعية فكان سبب كتابتها يعود لعدة عوامل أهمها:

أ- تولية أرباب الشوكة أمورهم لليهود والمتمثلين في رؤساء القصور، أو ما اصطلح على تسميتهم بالغلائف.

ب- طغيان اليهود على الأحكام الشرعية وإظهارهم لما يتنافى والشريعة المحمدية تجيروا واستكبروا وتعالوا.

ج- امتناعهم عن دفع الجزية لبيت مال المسلمين، فطرح السائل عدة أسئلة حول هذا المنع اللاشرعي على ذمي يعيش بين ظهران المسلمين.

د- انتشار التعامل الربوي من طرف اليهود وإمساكهم بدواليب التجارة والأسواق.

هـ - وضع في يد اليهود المكاييل والموازين والأعيرة والأصوعة.

و - استحواذهم على العديد من الفقاقير والقيام بتخريص وتخميس مياهها ربويا.

ز - تلقي أرباب ورؤساء القصور للرشاوي من اليهود بدل دفع الجزية لبيت المال.

كما أن هذه المخطوطة تعرفنا على أن منطقة توات لم تكن تابعة لأي جهة، فقد كان أمرها بيد رؤساء قصورها اقتصاديا، واجتماعيا، وإداريا، وهيدرولوجيا، وقضائيا، وتشريعيا، يثبت ذلك انتقال الإمام المغيلي لمدينة فاس وتحاوره مع سلطا ـا بالندية (الشيخ بن زكريا الوطاسي المريني) لما بعد سنة 891هـ. /1487م. هذا من جهة ومن جهة أخرى تظهر لنا أن الاتصال والتواصل كان عن طريق مثل هذه الرسائل العلمية.

يقول الشاعر:

يهود هذا الزمان قد بلغـ . ـوا ∴ غاية آمالهم وقد ملكـ ـوا
العز فيهم والمال عندهـ . ـم ∴ ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إني نصحت لكم ∴ ودوا قد ـود الفلـ ـك[1]

اعتماد خطة الحكم لرؤساء القصور

منذ بداية القرن العاشر ميلادي بدأت ملامح القبض على دواليب الأمر لرؤساء القصور الذين طورا أساليب الحكم ونظام الحكامة داخل قصورهم.

1 - أنظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للإمام جلال الدين السيوطي، ج2، ص117.

الفصل الأول

نظام التقنين الاجتماعي الأسرى بقصور توات وأحوازها خلال القرن 17 و18 ميلاديين

المحور الأول: النظام الأسري وكيفيات تثبيت ضبطياته

يعتمد هذا النظام الأسري على الحالة الأبيسية إذ يصبح للرجل فيه اليد العولى، على اعتبار أن الأم تكون في كل حالا ـا وأحوالها تابعة لما يصدع به الأب، والابن مرغما في هذا النظام أن يساير ما حدده الأب والأم، لأن في كل الأحوال الابن يجسد قوله مع الأم، ويصارحها بما يريد ولا يتحدث مع أبيه.

لذلك نجد للأب الحكم الكلي في كل أحوال البيت علاوة على أن الكبير أو ما يطلق عليه العمود أو العرصة (كبير العائلة) هو الذي يقضى في كل الأحوال بما قد يحدث من خلاف، ترجع إليه العائلة، استشارة، وحكما. أما البنت في نظام التقنين الأسري ليس لها أي دخل في كل ما يصدر عن الجماعة، عليها أن تسمع وتطيع أو تعد خارجة عن نطاق ما تسطره العائلة، لذلك يتم تزويجها بما تراه أمها وأبوها. قد تكون حالة الخطبة من أصدقاء الأخ أو أصدقاء الأب، أو أبناء إخوانه.

أولا: كيف كانت تتم ملامسة الخطْبة بين الشباب :

المحور الثاني: مساهمة الفرد والجماعة في تقنين عناصر التوافق الاجتماعي الأسري

كانت البنت تخرج لجلب الماء من الساقية، مع شلة من قرينا ـا، يترصدها الخاطب من بعيد فكأن يبعث لها حبة علك، أو محرمة، أو سوانقوا مع أخته أو إحدى صديقا ـا، وهكذا كان يتم أحيانا اللقاء الخارجي دون تدخل الأولياء لأن اللقاء كان عيبا فادحا. ومع هذا كثيرا ما كان يرفض من الأولياء هذا التدخل بين الشباب، فقد كان الحراك الاجتماعي، أو التراتب الاجتماعي سيد أي علاقة زواجية بين الشباب.

فالحرطاني لا يمكنه أن يتزوج شريفة الحراك بين هذه الفئات مقطوع، هذا خلال الفترة المدروسة، أما الآن فقد تحول الأمر وتبدل وأصبح بإمكان أي شاب له مستوى علمي ومالي، ومن عائلة معروفة أن يتزوج مما يشاء وهذا يرجع لردات الفعل الاجتماعية الشبابية التي أصبح يقوم ـا الشباب من الزواج الخارجي، والذي حاولت الأسرة تقنين سلوك الشباب ولكنها فشلت في ذلك، فقد وضعت ضوابط منها مساعدة المتزوجين المحليين، وعدم حضور زواج المتزوجين من خارج المدينة، ولكن الانفتاح الجامعي والتعليمي أدى إلى زيادة الأعراس الخارجية، فأصبح الطالب الدارس بجامعة وهران أو

الجزائر أو تلمسان يصطحب إحدى طالبات مستواه التعليمي معه، يقدمها لأبيه وأمه فلا يجد غضاضة في رفضها بل يبارك ذلك ويدرك أن له بنتا طال أمل زواجها من أحد أقرا ا محليا، ومع هذا يقبل، فهي انتفاضة التراتب الماضي باقية في رحم ا تمع حملها الشباب نيابة عن الأبوين.

أولا: المأثور التوافقي لتقنين عواصب الحاكمية القصورية

بداية من القرن السابع عشر ميلاد إلى اية القرن الثامن عشر ميلادي، أصبحت ملامح التقنين (أو ما يمكن أن نطلق عليه) نظام الحاكمية بيد شيوخ القبائل ورؤساء القصور داخل المقاطعات، كما أصبح الجهاز التنفيذي للمقاطعة بين أيديهم، وهذه الوظيفة تعد من أقدم الوظائف التي اعتمدها سكان القصور. حيث يمارس شيخ البلد سلطانه طبقا للعرف الاجتماعي الموروث المتمثل أساسا في الحفاظ على المصالح الإسلامية، فرؤساء الأحياء ومجلس الجماعة، وموظفي البلدة ومسؤوليها تحاسب عن أعمالها أمام رئيس القرية لأ ا الساهر على مصالح أهل البلد بتشاور مع مجلس جماعة القصر فيما يخص تنظيم توزيع الضرائب التي كان يقدرها أو يقدرو ا بعشر الإنتاج، وثمة ضرائب أخرى مثل ضريبة الموقع، وضريبة الإنتاج وضريبة الملك، وضريبة الإنتاج، يترع منها جزء يحول لبيت مال المسلمين الموجه ما به لبناء الترع، وفك الفقاقير، وإطعام الفقراء، ودفع أجور الأئمة ومعلمي القرآن وفك التراعات المستحدثة بين الناس. كما كانت تدفع للأرامل والفقراء منها كل موسم.

وفي هذا الإطار راسل شيوخ توات الشيخ ابن العباس أحمد بن يحيى الونشريسي يقولون فيها (سيدي أدام الله وجودكم، جوابكم في أمرنا، وهم ناس أهل القبلة ليس عندهم إلا شيوخا، أيجوز لهم أن يتخذوا بأجرة عن تمام كل عام معلومة، وهذه الأجرة مفرقة على الشيوخ كل يأخذ مقداره من أهل قريته ويدفعه تمام العام) [1].

هذه الضريبة تدفع سنويا في مجلس الجماعة عند إصداره لأن حكم على المتهمين كان يشارك فيه مجلس الجماعة المتكون من كبار القوم وأعوان الشيخ، إذ نطلق على أعوانه (بالدهمان)[2].

1- أنظر ابن مبارك في تاريخ توات، مخطوطة توجد بالخزانة العامة بالرباط، ص8.

2- الدهمان: نقول دهم إذا دخل على غرة وبدون استئذان فدهم البيت دخوله على غير غرة. أنظر إقليم توات خلال القرنين 18 و19) محمود قرج، ص28.

يمثل الدهمان عيون حاكم الحاكمية على مستوى القصر يجمعون له المعلومات وينفذون تعاليم يصدرها لأن اختصاصات مجلس الجماعة كبيرة تتناول محاكم المتهمين وتوقيع العقوبة على المعتدين لتبدأ أشكال تنفيذ الحكم تدريجيا كما يلي:

1- الربط في جذع النخلة.

2- الجلد بالسقط الذي تحضره الجماعة.

3- السجن تعذيرا بحسب تقديم الإمام والجماعة.

4- النفي من القصر لقصر آخر.

5- الإعدام[1]، الذي يكون آخر العقوبات المتخذة.

6- المقاطعة أو الهجران لمدة ثلاثة أو أربعة أيام بحسب تقديرات الحاكم والجماعة.

إن قرارات مجلس الجماعة لا تناقض يقوم بتنفيذها الدهمان.

ثانيا: تكوين مجلس الجماعة

يتكون هذا ا لمس الحاكمي لدى كل قصبة أو قصر بحسب أحوال كل بلد فهو صاحب الأمر الناهي فيه:

1- رئيس القصر ويكون من الأعيان أو العصبية الغالبة.

2- الإمام أو ما يطلق عليه بالشاهد.

3- مقدم الزاوية المتعبة أو المستحكمة بالقصر.

4- كيال الماء أو ما يسمى بالمعلم.

5- المؤذن أو البراح.

يجتمع هذا ا لمس لتنفيذ الأحكام وإصدارها مهمات تتعلق بالزواج، والطلاق، والودائع وفك الخصومات المتعلقة بالمياه، والمواريث، وفي نفس الوقت الإشراف على العقوبات وتنفيذها فله حق العقوبة وحق إلغاؤها، كما هو الذي يقدر العقوبة والحكم.

هذه النظم أو ما أطلق عليه بالتقنين الاجتماعي لم يندثر كلية رغم محاولات الاستعمار طمسه وإلغاؤه، بل حاول إدخال نظما بدبلة عنه رفضها ا تمع جملة وتفصيلا، فحاول إدخال الأطفال للمدرسة ليخلق فريقا للطرجمة، ودراسة حالات ا تمع المستعصية عليه، وبناء فئة حاملة لثقافة الحضارة الغربية بحسب زعمه ولكنه قوبل بالإكراه والابتعاد.

1- أنظر لمزيد من التفصيل الفنية البلبالية لمحمد بن عبد العزيز البلبالي.

ثالثا: العلاقة بين النظام الأسري والتقنين الاجتماعي

هناك علاقة ترابط بين النظامين يكمل بعضهما البعض فالأسرة وعاء للمجتمع النواة الأولى فيه، وبالتالي علاقتها وقوانينها تنبع من رحم تلك العلائق المتواجدة داخلها، فا تمع يخلق الظواهر والأسرة مرغمة على إتباع ما يصدر عن ا تمع من تقنين ونظام حياتي.

رابعا: عوامل ا يار نظام التقنين المقاسي

لقد بدأت ملامح انتهار هذا النظام تنهار بفعل البهرجة والتطور الحديث الذي حصل في ا تمع، فلم يعد للأب والأم ذلك الزخم التطاوعي والانحيازي من طرف الأبناء، كما أن البنت بعدما ملكت مستواها الثقافي والتعليمي أصبحت تأخذ على عاتقها مكونا ا الأساسية، فتعددت مداخل الأسرة، وارتفع مستواها عاهد أحسن، وبالتالي تحولت وتبدلت العلاقات السائدة في ا تمع فلم تعهد تلك القوانين تساير حياة الناس، فتطلع الناس لما هو أحسن وأفضل وأقوى، والسؤال المطروح هل يمكن أن يعيد ا تمع للجماعة ما كانت تتمتع به سابقا، الجواب لا أعتقد ذلك.

خامسا: مساهمات الفرد والجماعة في تقنين ضبطية عناصر التوافق والانسجام الاجتماعي الأسري

يحتاج الفرد والجماعة للعديد من عوامل الترابط والتوافقات لبناء الانسجام وخلق فرديات عناصر بناء لحمة جديدة تعمل على رص صفوف النسيج الاجتماعي وترابطه مع حياة الناس أخلاقيا، واجتماعيا، ونفسيا، ودينيا، وهيدرولوجيا، واقتصاديا.

إذ لا يمكن أن نغفل ذلك الصراع الخفي في حياة الفرد والجماعة، والذي تقويه النعرات الجاهلية من طرف بعض المفتنين المغرضين، ومع هذا يمكن خلق الانسجام، والتوافق بين الفرد ومحيطه، والجماعة وعناصر ترابطا ا، لهذا يبقى الفرد في ا تمع التواتي ذلك العنصر الأوحادي لا يعذب عنه مالا يمكنه إلا لضم لحمته لغيره، ويبقى ا تمع بعيدا كل البعد عن كل تجسيد وتغير مالم يؤخذ به عنصر علم أو ثقافة منفتحة.

سابعا: مساهمات الفرد والجماعة في تقنين ضبطية عناصر التوافق والانسجام الاجتماعي والأسري

دعني أجد تلك الإرهاصات الفردية والجماعية وما يكن في خلجات الفرد في اعتماد أسس التواقف وضبط عناصر الانسجام الأسري والجماعي.

لقد حاول ومنذ ردحا من الزمن أن يخلق الفرد التواتي عناصر توافقه مع نفسه، ومع الجماعة حين، فكانت الجماعة مصدر الحكم، ومصدر العلم ومصدر الرزاقة والانفاقة، والفاقة فجمعت تلك الجماعة في يد ا:

- الحكم بقوة الدين.
- السلطة بفعل الملك.
- الملك بفعل الاستحواذ على العقار.
- المال بفعل الخدامة والندامة.
- الحشر والنشر الإنساني في زمن تعرج فيه الفكر.

والمعنى أن التصدير والتأمين لم يكن لصالح أفراد الجماعة وا تمع بل كان لصالح المالك والحاكم، وهو ما أدى لصراع دفين كان ا تمع يعرفه يخمد كلما لوح الآخر في وجه المنتفض على الظلم، والقهر، والحرمان، بالخروج عن الدين، وطاعة الوالي، والحرمان من بركة المقدس إذ أن الريعيون الجدد يلبسون لكل مظهر لباسه يتلونون لون الرحلة والمرحلة، ينفثون في روح ا تمع والساكن تلك العبارات القاهرة التي قد لا يجد لها العامي أي تفسير كقولهم من قلد عالما لقي الله سالما، فقد لا يدرك مغزاها عامي، ويتغاضى عن مضامينها العالم، ولكنها تحمل محمل السد في وجه أي تغيير وتغريب لصالح من أراد أن يكون ا تمع على ما هو عليه فتقاعس الفرد ونام في خط لا يرى فيه عوجا ولا أمتى، والله في خلقه شؤون.

يشير صاحب كتاب فتح الشكور في ذكر علماء التكرور حيث يقول: (لما كان الإمام المغيلي ثاويا) [1] في قصور توات، هاله ما رأى وشاهد وسمع، فأمر بالتغليظ على اليهود الذين بنوا بيعا بدون إذن مسبق، فجعل جائزة لمن يقتل يهوديا قدرها سبعة مثاقيل من الذهب ومن ماله الخاص فقامت النفرة فيهم فغادروا البلاد، واستكان العباد فغادروا للسودان واستقروا (بأهير، وتكدة[2] وكشانا، وكانو، وقاو) عاصمة ملك صنغاي الحاج محمد أسكيا الكبير، الذي حدثه عن الشريعة وهو ما يشبه ما كتبه (لمحمد رفنا بن يعقوب) أمير (كانو). فأدخل الطريقة القادرية لمنطقة إفريقيا الغربية[3]، واللغة العربية، وثقافتها

1- اقتبس هذه الجملة من قوله تعالى: ﴿**ولَكنا أَنشأْنا قُرونا فَتطَاولَ علَيهِم الْعمر وما كُنت ثَاوِيا في أَهلِ مدين تتلُوا علَيهِم آياتنا ولَكنا كُنا مرسلين**﴾ (القصص: 45)

2- أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي مؤلف كتاب فتح الشكور في تعريف علماء التكرور، فقيه المغرب الأقصى يشير إلى تولية يهوديان من قبل السلطان (عبد الحق المريني) وضمهما لوزراء حكومته هما (هارون، وشاويكا) فعاملوا غطرسة وظلما على العامة فأصبحوا يضربون المسلمين ويسلبون أموالهم ويهينو م ويحتقرو م، فتحكموا في المدينة وفي كل الفرق بما فيهم الأشراف، والفقهاء، والعلماء. لمزيد من التفصيل، أنظر: الاستصقا لأخبار المغرب الأقصى للمناصري، تحقيق محمد وجعفر الناصري دار الكتاب البيضاء 1955، ص04.

3- لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي دوره في نشأة الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ . /15م، ص60.

العربية الإسلامية. كما تأسى وتمثل بتقاليد العرب حكام وأمراء وسلاطين إفريقيا الغربية بعد أن أصحبت العربية وعاء التعامل هناك.

المحور الثالث: العلماء الذين تأثر بأفكارهم ومعارفهم

لقد عاش وترعرع الإمام محمد بن عبد الكريم في القرنين الثامن والتاسع الهجريين الخامس عشر والسادس عشر ميلاديين، تأثر برعيل العلماء المعاصرين له.

في هذه البيئة نشأ الإمام المغيلي وترعرع فأثر وتأثر فكان علامة بادية، وطفرة حضارية متقدة في عصر خالف فيه بعض العلماء دورهم وارتكنوا بعيدا عن الروح العلمية الكاشفة لمفاسد وطغيان الكفر والكفار، فكان حجة في المنقول والمعقول كثير التآليف، كثير الحركة والأسفار استخلص من هذه الميزة دراسة ومخابرة عوالم المغرب العربي الكبير، والمشرق والجنوب الغربي فتحصل على رؤية شاملة وتعرف على أحوال الناس في مواطنهم فاطّلع على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية وخاصة في تلك الدول التي كان يزورها. كما تعرف على العلماء وإنتاجا م من الناحية الدينية نوازل، ومناظرات، وتآليف، ونقل مخطوطا م لمكتبته الخاصة. فكان يملك مجموعة من الطلاب مهمتها خطب ونقل المخطوطات وأمهات الكتب

إن معاصرته لهذا الرعيل من الأعلام والعلماء المشهود لهم بالمعرفة والتقوى، وقوة التأليف والآراء في كل ا الات ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

1-***الشيخ العقباني***: المتوفى سنة 811هـ. /1408م كان مفسرا، وفقيها، وأصوليا اشتهر بباع طويل في علم الفرائض، والمنطق، والجبر، تولى خطة القضاء.

2-***محمد بن مرزوق الحفيد***: المتوفى سنة 842هـ. /1438م لقد كان فقيها، أصوليا، ومفسرا له باع طويل في علم الحديث، والنحو، واللغة، والبيان، والعروض. وكان مجتهدا.

3-***محمد الحباك***: المتوفى في سنة 867هـ. /1463م لقد اشتهر بعلم الفلك والفرائض والحساب.

4-***محمد أبو الفضل المشدالي***: المتوفى سنة 865هـ. /1461م لقد كان مفسرا ومحدثا وأصوليا، متضلعا في علم الفرائض والحساب.

5-***محمد بن أحمد العقباني***: المتوفى سنة 871هـ. /1467م صاحب كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر.

6- ***عبد الرحمان الثعالبي***: المتوفى سنة 875هـ. /1471م كان مفسرا وصاحب طريقة. خلّف الكثير من الكتب تزيد عن السبعين تأليف أكثرها في القرآن وعلومه، والفقه والتصوف كان متصوفا زاهدا ورعا.

7- ***محمد بن يوسف السنوسي***: ولد سنة 830هـ. /1427م، وتوفى يوم الأحد 18 جمادي الأخيرة سنة 895هـ. /1490م اهتم بالتفسير، والفقه، والفرائض، والنحو، والمنطق والطب ونبغ في علم الكلام له تصانيف فيه.

8- ***محمد بن عبد الله التنسي***: المتوفى سنة 889هـ. /1494م كان أديبا، ومؤرخا، ومحدثا وفقيها، عرف بالحافظ التنسي، له كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، احتل مكانة مرموقة بين معاصريه، كما اشتهر بعلم فائق وتقوى زائدة.

9- ***أحمد الونشريسي***: المتوفى سنة 914هـ. /1508م، حامل لواء مذهب الإمام مالك على رأس الأئمة الأربعة، اشتهر بكتابه المعيار المُعرب في ذكر فتاوى إفريقيا والمغرب.

10- ***الشيخ الرصاع***: هو أبي عبد الله محمد الأنصاري بن قاسم بن عبد الله الشهير بالرصاع قاضي الجماعة بتونس ولد سنة 831هـ. /1428م وتوفي سنة 894هـ. /1495م له العديد من التصانيف منها فهرس الرصاع.

11- ***الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي***: لقد ولد سنة 849هـ. /1445م، وتوفي سنة 911هـ. /1505م له ما يزيد عن 600 مصنف منها الإتقان في علوم القرآن، وثلاثة كتب في تحريم علم المنطق[1].

12- ***الشيخ عبد الله العصنوبي***: عاصر المغيلي وله معه مناظرة طويلة حول هدم أو عدم هدم كنائس وأديرة اليهود، كما قامت بينهما معركتين حاول كل طرف تجيش فريقه، كما راسلا علماء المغرب بفاس[2].

1- لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا مدونة الفقه الجدلي، ج1، طبع دار القدس العربي، 2012، ص76-77.

2- لقد اختلف المؤرخون في أصل كلمة فاس، فما أورده الإمام إدريس بن إدريس قوله: لما شرع في بنائها كان يعمل معهم فيها بيده فوضع له بعض خاصته فأسا من ذهب وفضة ليعمل ا فسميت فأس لأجل ذلك، ويقال عندما شرع في البناء وجد في إحدى أسس المدينة فأسا فسمت فأسا، كما يقال عندما شرع في البناء، وقيل أن إدريس لما شرع في البناء قيل له كيف تسميها قال سموها باسم أي رجل يطلع عليكم، فمر م رجل فسألوه عن اسمه فقال فارس؛ حيث أسقط الراء، فقال الإمام سموها بما نطق. وأهل فاس لا ينطقون الراء بلكنة وراثية فيهم. أنظر: كتاب الأنس المطرب بروضة القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص45، لأبي الحسن علي بن عبد الله إبن أبي زرع الفاسي.

13- ***الشيخ عمر بن عبد الرحمان***: لقد خلف العصنوني على خطة القضاء بقصر تمنطيط فوقع خلاف بينه وبين الإمام المغيلي حول ما اصطلح على تسميته (بنازلة يهود توات) فقامت الحرب الثالثة لعمر بن عبد الرحمان والإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ولما علم المغيلي باغتيال ابنه عبد الجبار مستخلفه على القصور التواتية عند غيابه[1]. وهو بإمارة كانو بنجيريا وقد كان الخلاف بينهما (حول من له الحق في الاستفادة مما يدفعه اليهود لرؤساء القبائل) وهل ما يقدمه اليهود لأرباب القصور أو (الغلائف) يدخل في نطاق الجزية الشرعية أم هو غير ذلك؟ لأن الجزية الشرعية تدفع لبيت المال وكل ما يقدم لرؤساء القصور عبارة عن غلول على رأي الإمام المغيلي ورشا حرام بالكتاب والسنة والإجماع.

14- ***يحيى بن عتيق التدلسي أبو زكريا***: عالم فقيه أخذ عنه الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لما دخل تمنطيط أول مرة ثم غادرها متجها للجزائر وعند عودته وجده قد توفي وخلف لخطة القضاء والتدريس الإمام عبد الله العصنوني توفي بتمنطيط يوم الجمعة 877هـ . الموافق لسنة 1473م[2]، وهناك من يقول أن وفاته بقسنطينة.

لقد عاصر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي هؤلاء العلماء الأجلاء فكان بينه وبينهم اتصالات ومراسلات، ومناظرات وفتاوى حول القضايا المطروحة على الساحة العامة سواء أكانت سياسية، أو دينية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو هيدرولوجية، أو منطقية، أو أدبية، وحتى كلامية بشذرات شعرية. أما العلماء المعاصرين للإمام المغيلي في إفريقيا الغربية فهم على التوالي:

1- ***الشيخ أحمد بن عمر أقيت***: لقد كان عالما من بين العلماء الذين عاصرهم الإمام المغيلي لقيه بحضرة الأمير محمد أسقيا الكبير أمير إمارة كانو بنجيريا وهي إحدى الإمارات السبع من إمبراطورية الصنغاي.

2- ***الشيخ عبد الرحمان بن علي بن محمد القصري***: ذهب لفأس وتولّى الإفتاء ا سنة 870هـ . /1518م[3].

1- لقد عهد الإمام المغيلي لابنه لاستخلافه حين غيبته، فكان ينظم أحوال الناس ويؤدي الحقوق والواجبات بين السكان إلى أن اغتالته مجموعة من اليهود على مستوى سبخة تمنطيط. لم تعثر ولم نقف على قبره حتى هذه اللحظة.

2- لمزيد من التفصيل، أنظر: الحفناوي، ج2، ص228. لقد اجتمع الإمام المغيلي والعصنوني على مقعد الحاكمية عند عودته (الثانية) بتمنطيط سنة 888هـ . /1483م، أنظر: كتابنا الأمام محمد بن عبد الكريم من خلال المصادر والوثائق التاريخية، ص142.

3- أنظر: نيل الابتهاج في تطريز الديباج لاحمد باب التمبكتي، ص176.

3- ***محمد أيد أحمد التدختي***: لقد تتلمذ على جده الفقيه الحاج أحمد بن عمر، وعلى خاله الفقيه الصالح، لقي الإمام المغيلي (بتكدة) وحضر دروسه، ثم رحل للمشرق بمعية الفقيه محمود ليلتقي العلماء ومنهم شيخ الإسلام زكريا، وبرهان الدين القلقشندي، وابن أبي شرف، وعبد الحق السنباطي، وعند عودته للسودان توطّن كتشنة فتولى خطة القضاء ـا، توفي سنة 936هـ ـ /1529م.

فلما ذهب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لمدينة (كانو) كانت ممالك السودان الغربي متصلة اتصالا وثيقا بكل المنتوجات الصادرة من حوض البحر الأبيض المتوسط؛ حيث كانت تحتلّ خلال هذه الفترة مركز الصدارة للبلدان الواقعة على شواطئه، فيما يخص جودة الإنتاج وكثرته في آن واحد، إلا أن بلدان السودان الغربي لم تكن مستوردا فقط، بل كانت مصدرة أيضا، ومن اهم تلك السلع المصدرة:

1- **الذهب**: بالدرجة الأولى فهو المادة الأساسية لتلك الحركة التجارية الواسعة بين العالم الخارجي لبلدان البحر المتوسط والسودان الغربي.

2- **العبيد**: لقد كانت أسواق النخاسة على هذه الأيام في غاية النشاط؛ فقد كانت أسواق السودان الغربي عامرة بالعبيد من مختلف الأعمار، كانوا يأتون با لموبين من مناطق الغابات الكثيفة والأحراش الوثنية، وأحيانا كانوا يجلبون بعض المسلمين ويبيعو م في أسواق النخاسة[1]، كما كانوا يباعون في أسواق المغرب، ومصر، وبقصور توات حيث كانت ثمة ثلاثة أسواق للنحاسة بتمنطيط وبأدغا وبتميمون، وعلى السواحل الإفريقية للتجار الأوروبيين الذين يحملون أعدادا هامة إلى الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط عن طريق المحيط الأطلسي، فقد كان أهم مركز الجزيرة الحمراء بالسنغال والتي لازالت شاهدة ومزارا لأحفاد العبيد يقدمون من الولايات المتحدة الأمريكية، والبرازيل، وهايتي وكندا.

3- **ريش النعام**: لقد كان له رواج كبير في الأسواق وعليه إقبال منقطع النظير لدى الملوك والرؤساء، والأمراء، والقواد وأصحاب المال، فقد كثر استعماله خاصة في حشو الأرائك والوسائد في البيوت، والقاعات، واعتماده مراوح من قبل الأمراء الميسورين للزينة، لذلك كان التجار يجلبونه بمقادير كبيرة أثناء رجوعهم من السودان الغربي، فالمثل القائل آنذاك (الجرب دواه القطران والفقر دواه السودان) فأين تلك الأيام التي

1- أنظر: فتوى أحمد باب التمبكتي حول ا لموبين القادمين من بلاد أهلها مسلمون (معراج الصعود) طرحها سنة 1023هـ ـ /1614م وقد سماها أيضا (الكشف والبيان بحكم مجلوب السودان) ثم قال وإن شأت سمه (معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود) تحتوي 19 ورقة توجد بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 1893، بين أيدينا نسخة منه.

كان يتداولها الناس والتي أصبحت بعد عين ما كانت سلة غذائية إن لم أبالغ بذهبها وخيرا ا، أصبحت خرابا قفرا لا تنبت زرعا ولا ترضع ضرعا تأكلها الفتن والصراعات على الحكم والتزعم جيوشها بنهشها فقر الصراع والصداع ما أن يعتلي رتبا حتى يخط لانقلاب والله في خلقه شؤون.

4- **بيض النعام**: فقد كان يستعمل في تركيب الأدوية، كما كان يوضع فوق المناضيد، ويعلق على حيطان القاعات للزينة، والتباهي، كما يعلق داخل قبب وأضرحة أولياء الله الصالحين بقصور توات بعد ربطها بسير من الجلد فقد لا تخلو قبة منه إلى هذا الزمان.

5- **التوابل**: وكانت تجمع من الغابات والأحراش، وقد عملت على قلته ونقصانه في الأسواق تلك الحملات التي كان يقوم ا بعض الملوك والأمراء وأعوا م بالقبض على بعض العائلات وبيعها في أسواق النخاسة على أساس الصراعات التي كانت تنشب بين الممالك والأمراء حول مقدرات البعض، ولتوسيع ا الات الرعوية والتحكم في منابع المياه لضمان مراعي أوسع للقبائل الغالبة. لقد كانت تسلب الممالك الضعيفة من رجالها، ونسائها وأطفالها ليتم بيعها كما يتم استبدالها بالبضاعة، ثم تؤمر بالعمل لدى العصبية الغالبة وما كبر منها يباع في سوق النخاسة.

تعتبر عملية الإكراه والسلب والظلم التي كان بعض الممالك يقوم ا ضد آخرين من بين العناصر الأساسية التي جعلت المغيلي ينصب نفسه مدافعا عن مظالمها وأثارها السلبية التي أضرت بالإسلام وبالمسلمين، وأزهقت حقوق الآخرين؛ هذا التوجه لف حوله الكثير من المغلوبين والمقهورين، فاتسعت رقعة أفكاره وعمت كل الإمارات الإفريقية، وحسن بدعواته إسلام الكثير من الناس. ولما استقر المغيلي بكانو تزوج وأنجب ثلاثة أطفال هم (أحمد، وعيسى، والسيد الأبيض) هم المغيليون الذين تصدروا الشجرة المغيلية بإفريقيا الغربية، فقد كان الأمراء يطلبون حضور أحفاد المغيلي للتبرك م بمجالس الأمراء كما فعل أمير كانو؛ إذ كان يحضرهم ليكونوا في حاشيته[1].

المحور الرابع: آراء العلماء والمؤرخين والفقهاء في منهجه وفلسفته بالداحل والخارج

لقد أشاد العديد من العلماء والمؤرخين والفقهاء بتلك الخصال الحميدة التي اتصف ا الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي؛ فقد تواصل إشعاعه لمشارق الأرض ومغار ا، فكان من أبرز علماء القرن الثامن والتاسع للهجرة. ولم يقتصر تأثيره على الديار التواتية، بل وصل صداه وانتشرت أفكاره في الديار الإفريقية، وزاد من عامل التواصل لتلك الآراء ما

1- د.أحمد سعيد شيخو غلادثني، يعد من أبرز المثقفين المهتمين بالتراث الإسلامي في نيجيريا ومن أبناء مدينة كانو. أنظر: حركة اللغة العربية وآدا ا، ط2، الرياض، سنة 1993، ص42.

كان يتسم به من حركية وتنقل ورحلات سفرية أعطته طابعا مميزا عن غيره من علماء عصره خاصة بقصور توات؛ لذلك جاء فكره متميزا متناظرا، متناسقا، ومترابطا مع الأحداث والصور التي عاشها بتلك الدول التي زارها؛ فتجده يكتب في السياسة فلا تمل من متابعته، ويكتب في الاقتصاد المعاشي، والفقه السلوكي وأصوله، والآداب وفنونه، والشعر وأغراضه، والمنطق. كما كتب في فقه المعاملات، والتفسير والتصوف، والتجارة، والمكاييل والموازين والقراطيس، والمائيات، وفي تنظيم الملك والإمارة، وفي كل واحدة من هذه تجده خبيرا عليما لا يعزب عنه منها شيء؛ لذلك حمل فكره طابع التعميم والشمولية كحال علماء ذلك العصر. ومما صعب علينا الوقوف على مكان التصنيف، والتوصيف شمولية المعطى وغزارة التأليف في كل الفنون. كما كان من الصعب بمكان احتساب المرات التي زار فيها إمارات الهوسا وحتى زياراته المتكررة للجزائر والمغرب الأقصى، ودخوله وخروجه من القصور التواتية. وقد حاول بعض العلماء المحليين التأريخ لرحلاته لمدينة تمنطيط ولكنها كانت بعيدة كل البعد عن الحركة التي كان يقوم ا لكثر ا وتعدادها. وعدم اعتماد من يسجلها، وأعتقد أن سبب ذلك أ ا لم ترتبط بحادث أو حالة ليتم تسجيلها؛ لهذا كثرت آراء العلماء فيه، وقد وقع اختيارنا على اليسير منها:

1- رأى **أحمد بابا التمبكتي** يقول: إنه (خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفقه والتقدم، متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين) [1].

2- وقال عنه **إبن القاضي أحمد بن محمد**: (إنه الرجل الصالح) [2].

3- أما الشيخ **مخلوف محمد** فيقول عنه: (إنه خاتمة المحققين والعلماء العاملين مع البراعة والتفنن في العلوم، والصلاح والدين المتين).

4- وقال عنه صاحب كتاب **دوحة الناشر**: (أنه من أكابر العلماء وأفضل الأتقياء وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) [3].

1- أحمد بابا التمبكتي: هو أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التمبكتي الصنهاجي المسوفي، ولد بقرية عروان قرب تمبكتو، عاش في عصر ضتها أيام الأسقين سنة 899هأ/1494م إلى سنة 1000 هـ . /1492م. أنظر: نيل الابتهاج في تطريز الديباج.

2- درة الحجال في أسماء الرجال، لابن القاضي أحمد بن محمد تحقيق محمد الأحمدي.

3- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العشرين: لابن عساكر الشفشواني، تحقيق محمد حاجي ط1، دار الغرب الرباط، 1979، ص13-14.

5- وقال عنه صاحب كتاب **البستان**: (إن الإمام المغيلي خاتمة المحقيين، الإمام العالم العلامة المحقق الفهامة القدوة الصالح السني الخير، أحد أذكياء العالم، وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم والحسبة في الدين)[1].

6- وقد ذكره صاحب **الدوحة** فقال: (إنه الشيخ الفقيه الصدر الأوحد، أبو عبد الله بن عبد الكريم المغيلي كان من أكابر العلماء، وأفضل الأتقياء)[2].

فقد تم تتبع رحلات المغيلي وتنقلاته لأصقاع الأرض مشارقها ومغار ا، جنو ا وشمالها فقدرت المسافات التي قطعها طيلة حياته العمرية المقدرة ب. 75 سنة عاشها، منها 40 سنة كانت أسفارا وهجرات للدراسة، ليقطع ما قدر ب. 7543كلم، وحمل ما يزيد عن 20 سنة من عمره للتأليف إذ خلف ما يزيد عن 73 مخطوط في كل الفنون، فكان يكتب تقريبا 40 صفحة في اليوم، إن هؤلاء الرجال لا تقاس أيامهم عدة وعددا بقدر ما تعد بما خلفوا، ورغم أنه كان يملك خلوة يختلي فيها كلما ضاق به الحال ولازالت موجود لحد الساعة. وقد سجى ا عكازه، وشاشية، و ا أيضا ميضته كان يختلي ا للذكر، والقراءة، والتصوف، والبحث في ملكوت الخالق العليم.

الآثار الفقهية والثقافية للإمام المغيلي بالسودان الغربي:

نحن ندرك أن فكر الإمام المغيلي قد وصل لإفريقيا والسودان الغربي حتى قبل وصوله لها عن طريق:

- التجار العرب الذين كانوا يتنقلون ببضاعتهم وتعاليمهم الإسلامية السمحاء.
- الطلاب الدارسون في قصور توات أو المشرق العربي.
- الحجاج الذين يتوافدون كل سنة وهم في طريقهم للبقاع المقدسة، فقد كانت رحلا م تطول لمدة سنة أو سنة ونصف السنة يقطعو ا ذهابا وإيابا لزيارة قبر المصطفى عليه السلام.
- العلماء والفقهاء، والرحالة العرب الذين كانوا يقتفون جحافل القوافل التجارية المارة بالديار التواتية للتزود من بضائعها وتسويق ما تحمله معها.
- المخطوطات والكتب التي نقلت من المنطقة عن طريق التجار القراريين والتواتيين.

وبعد وصوله لإمارة (كانو) وجد الأرضية سانحة لتنفيذ وصية شيخه عبد الرحمن الثعالبي خاصة فيما يتعلق بنشر الإسلام والطريقة القادرية بالسودان الغربي، فقد أشار

1- البستان، لابن مريم المقدوني.
2- دوحة الناشر، لأبي عبد الله بن علي بن عمر بن مصباح الحسني، ص46.

بعض المؤرخين أن سلطان تمبكتو[1] قد أسلم على يديه مع أهله وعشيرته، وأفراد جنده وحسن إسلامهم. ويذكر آدم عبد الله الآلوري[2] أن حركة اللغة العربية والآداب في نيجيريا يرجع الفضل فيها لدور الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الفعال في ترقية العلوم العربية والثقافة الإسلامية، فقد اعترف بتأثيره الكثير في هذه الناحية جل العلماء في عصره أو من خلفهم بعده.

مما جعله يسمي قسما من الخمسة أدوار التي عرفتها عصور الأدب العربي بنيجريا منذ قيام هذا الأدب إلى العصر الحاضر باسمه؛ يعني به عصر كتابة الكتاب؛ فقد قسم كتابه إلى خمسة عصور هي:

1- **العصر البرناوي**: (عصر ظهور الإسلام بنيجيريا من القرن الخامس إلى القرن السابع هجري).
2- **العصر الونغري**: (من القرن السابع هجري إلى القرن التاسع هجري).
3- **العصر المغيلي**: (من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر هجري).
4- **العصر الفلاني**: (بدأ بظهور ابن فودي وقيام دولته إلى سقوطها).
5- **العصر الإنجليزي**: (القرن العشرين).

1- يعود تأسيسها للقرن الحادي عشر ميلادي من طرف الطوارق (إيغموراسن) حينما اتخذوها مشتا لهم، وخلال الصيف يعودون إلى (أروان) حيث مراجعهم الأصلية، لقد أخذ اسمها من امرأة عجوز عهد الطوارق بالبقاء في المكان حينما يغادرون (لحفظ الأمانات) في رحلتهم الصيفية، فتحرس لهم المخازن والبيوت، فيما لبث بعض التجار أن نظموا سوقا في المكان واتخذوا فيه مستودعات للبضائع، فأخذت بذلك طريقها للنمو التدريجي، وفي أيام (كنكان موسى ملك مالي) خلال القرن الرابع عشر ميلادي بني فيها قصرا كبيرا، وأسس أول مسجد ـا بناها الشاعر الساحلي مهندس غرناطي استقدمه معه حين عودته من الحج حوالي سنة 1326م، وفي الأثناء هاجر العديد من العلماء والفقهاء مدينة (أولاتا) المركز الثقافي الأول في غرب السودان فسكنوا تمبكتو، كما هاجر إليها التجار وبحلول القرن السادس عشر ميلادي جمعت تمبكتو بين التجارة والنشاط الثقافي لتبلغ مرحلة أوج العطاء خلال الفترة 1496 و1591م فاكتسبت أزقتها الشكل المعماري الأندلسي والمغاربي لمزيد من التفصيل أنظر عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان.

2- مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية: لأدم عبد الله الألوري، ط2، سنة 1992، ص19-20.

الباب الثالث
تواصف المروث العلمي الثقافي
والمنطقي للإمام محمد عبد الكريم المغيلي

المحور الأول: إصدارات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي.
المحور الثاني: تقنيات ترميزيات التحقيق.
المحور الثالث: توصيف مساريد مخطوطة رسالة الغلائف.
المحور الرابع: المساند النهجية والمنهجية للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بمخطوط رسالة الغلائف.

الباب الثاني
تواصيف الموروث العلمي، الثقافي، الفقهي، المنطقي
للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي

يقول الإمام الشافعي رحمه الله في هذه الأبيات:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ∴ فأرشدني لترك المعاصـ ـي
وأخبرنـ ـي أن العلـ ـم نـ ـور ∴ ونور الله لا يهدى لعاصي

لقد خلف لنا الإمام المغيلي ما يزيد عن السبعين مصنفا استطعنا ملامسة وحصر خمسين منها خلال فترة الخمس والعشرين سنة التي مضت؛ أي مند سنة 1985م، بداية من انطلاق الملتقى الأول للتعريف بتاريخ توات وعلمائها، وهذه المخطوطات منها ما كتب بقصور توات ومنها ما أنجز بديار الغربة بإفريقيا الغربية؛ لذلك يمكن تصنيف موروثه إلى ثلاثة أنماط أساسية:

النمط الأول: هو ذلك الفكر الديني الذي كان يحاول فيه معالجة القضايا المستجدة عن طريق الحوارات، والمناظرات، والفتاوي، والنوازل.

النمط الثاني: ركز فيه على الدراسات المعمقة في مصنفات الكتب الكبرى؛ كتفسير القرآن الكريم وشرح الحديث النبوي الشريف، وشرح متون علماء المالكية وضبط شروحات على مختصر خليل ابن إسحاق رحمه الله.

النمط الثالث: ركز فيه على ضبطيات إدارية وتوعوية، ومسلكية، وجهها للأمراء والممالك بإفريقيا الغربية؛ إذ كانت توجه إليه أسئلة ويطلب منه إعداد مساطر لتقويم بناء ورص قواعد الإمارة الإسلامية، فكان يعد الردود عليها، فأنتج كما لا بأس به من الأدب التنظيمي، والفقه التوجيهي لضبط قواعد وبناء الأمم التي كانت في حاجة ماسة للثقافة الإسلامية، وأصول الدين الجديد الذي أصبح الناس يتوافدون عليه فرادى وجماعات خاصة بعدما أسلم ملوك هذه الطوائف[1]؛ وهو ما يطلق عليه بالسياسة الشرعية وتنظيم الحكم الراشد.

1- أنظر كتابنا: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر ميلادي، ص31.

المحور الأول

إصدارات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي

منها :

1- **مختصر فيما يجوز للحكام من روع الناس عن الحرام.**

2- **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**؛ وقد حققتها سنة 2003م.

3- **جزية أهل الذمة**[1].

4- **تنظيم العمل في اليوم والليل.**

5- **البدر المنير في علم التفسير.**

6- **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**[2].

7- **مغني النبيل**؛ يدور حول شرح مختصر خليل.

8- **شرع بيوع الآجال**؛ يدور حول المعاملات.

9- **مختصر تلخيص المفتاح للقزويني**؛ يدور حول البلاغة العربية وعلم البيان والتبيين.

10- **تأليف حول المنهيات**، يدور حول المسائل الفقهية.

11- **مفتاح النظر في علم الحديث**؛ يدور حول الحديث.

12- شرح على جمل الخونج بعنوان **الفهرس في المنطق.**

13- **مقدمة في علم المنطق.**

14- **منظومة منح الوهاب في المنطق**؛ وقد حققتها وطبعت تحت عنوان مدونة الفقه الجدلي.

15- **شرح التحفة والمنح**؛ تدور حول الفقه.

16- **تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين.**

17- **شرح خطبة المختصر**؛ يدور حول المعاملات.

18- **مقدمة في العربية.**

19- **الفتح المبين في الفقه.**

1- أنظر لمزيد من التفصيل كتابنا: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي، ص35.

2- مصباح الأرواح في أصول الفلاح للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لقد حققته، طبع بدار القدس العربي، سنة 2012.

20- مجموعة قصائد أشهرها **الميمية على نظم البردة**[1].

21- **دالية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم** في الشعر.

22- **دالية في حث الناس على مقاتلة اليهود المارقين عن الدين.**

23- **وصيته لأمير كانو أبو عبد الله محمد بن يعقوب**؛ تدور حول أمور النهي عن المنكر والأمر بالمعروف.

24- **تاج الدين فيما يجب على الملوك**؛ حققتها سنة 2004[2].

25- **مختصر في علم الفروض**؛ يدور حول علم الميراث وحقوق الذكر والأنثى.

26- **الأرباح يدور حول تنظيم الإمارة.**

27- **المفروض في علم الفروض**؛ يدور حول علم الميراث.

28- **رسالة لكل مسلم ومسلمة**، وقد حققتها تحت عنوان مدونة نازلة يهود توات.

29- **رسالة الاستخلاف لابنه محمد عبد الجبار**، توجد بكتابنا رسالة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية.

30- **سراج الأرواح أو أسس السعادة** وجهها للشيخ السنوسي والشيخ ابن غازي تدور حول المعاملات والعلاقات الإنسانية.

31- **تفسير تأويلي للسور الأولى من القرآن** بين أيدينا نسخة منه.

32- شرح خليل بعنوان **الوجيز الكافي للرجل الذكي.**

33- **ما يلغي الوضوء وسبل البيع على حد خليل في الفقه.**

34- **شرح على البيع على حد ابن الحاجب** تحدث فيه عن أداء ابن عبد السلام وخليل.

35- **ملخص تلخيص المفتاح**، مرفوق بتعليق يدور في البلاغة والبيان.

36- **علوم السنة**؛ تحدث فيه عن آراء وأفكار مطروحة في مؤلف النووي (التقريب).

37- **مدخل لشرح الفهرس** حول المنطق.

38- **مدخل نوه فيه بمشايخه والعلوم التي درسها عليهم** (فهرسة).

39- **رسالة الرد على المعتزلة في اعتقادا م الفاسدة**، وقد حققتها تحت عنوان مدونة الفقه الجدلي، ج2.

1- أنظر كتابنا الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية حيث نجد القصيدة بكاملها ص66.

2- أنظر كتابنا الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ . /15م، ص78.

40- **هدية الأسرار بلسان الأنوار**؛ تدور حول حياة الناس بإفريقيا.

41- **الإجابة عن سؤال** حول: **(قبائل في آخر الصحراء لا تنالهم أحكام الأمراء)**

42- **فصل الخطاب في رد الفكر للصواب**؛ شرح لمنظومة منح الوهاب حول المنطق.

43- **تلخيص المفتاح الشرح الثاني** لمنظومة منح الوهاب.

44- **ما يجب على أبناء الملوك**

45- **أبيات كتبها لأمير كانو** وكتب له رسالة في السلطنة[1].

46- **شرح بيوع العجل لابن الحاجب.**

47- **أقرب المثال لتخليص المفتاح للقزويني** ومعه شرح.

48- **تأليف في المنسيات**

49- **مفتاح النظر في علم الحديث.**

50- **تعريف ما يجب على الملوك**، وقد حققه محمد مزيان بن محمد المأمون وزير بكشنا طبع ببيروت سنة 1931ن ص66.

51- **شرح لب الألباب في رد الفكر للصواب في المنطق** وهو الشرح الثالث على منظومة منح الوهاب.

52- **أحكام أهل الذمة أو رسالة في الغلائف، أسئلة وأجوبة**

53- **التحذير من مقاربة الكفار والنصيحة للبراهين الصحيحة.**

54- **شرح التبيان في علم البيان.**

55- **الأربعين المغيلية في الحديث.**

56- **إفهام الأنجال أحكام الآجال في البيوع**

57- **مختصر لب الألباب في رد الفكر إلى الصواب.**

58- **مقدمة في علم المنطق**

59- **رسائل بينه وبين الإمام السنوسي**، في التصوف عددها ثلاثة.

60- **مجموعته في السياسة الشرعية لأمير كانو محمد بن يعقوب.**

1- أنظر كتابنا الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع للهجرة الخامس والسادس عشر ميلادي، ص303-305.

61- **أسئلة الحاج محمد بن أبي بكر أسئلة وأجوبة الإمام المغيلي** لقد حققتها تحت عنوان أجوبة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وأسئلة الحاج محمد بن أب بكر السقيا الكبير.

62- **تفسير سورة الفاتحة** لقد تحصلت على نسخة منه.

63- **تفسير السور القصيرة** (حزب سبح).

64- **تفسير القرآن الكريم** لم يكمله.

65- **وصية في تنظيم الأسواق** كتبها بقرية أولاد سعيد محطته الأولى بقصور توات.

66- **وصية في أصول الاجتهاد دون القياس.**

67- **البرهان في المنطق.**

تمثل الصورة خزانة خاصة تحتوي على أكثر من مائة مخطوطة

في جميع الفنون لصاحبها، الشيخ "بن مالك محمد ببلدية أقبلي، دائرة أولف، ولاية أدرار

إن العناية بالموروث الشعبي تعني الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية، خلال الأحقاب السالفة والقادمة بتجديد الروح في الموروثات بأدوات حديثة معصرنة؛ ليتمكن الطالب والعالم من معرفة الحقبة، التي كان العديد من العلماء الجزائريين ينشرون الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في ربوع الدول والإمارات التي دخلوها كتجار، أو طلبة، أو

علماء محدثين، أو فقهاء، أو منظرين، أو مرشدين لأولئك الأقوام وملوكهم وأمرائهم الذين أحبوا العرب الفاتحين فقربوهم إليهم، وملّكوهم زمام أمور الدين والدنيا، فحصل بينهم التوافق والتلاحم وهو ما يحسب لهذا الرعيل الذي نقل الحضارة العربية الإسلامية وأوعيتها، كاللغة والثقافة.

1- إفاضات نثرية وشعرية للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

للوقوف على الملامح الأدبية لشخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي والإطلاع على ما تميز به عن غيره من علماء عصره داخل الوطن وخارجه؛ فقد جسد ثورته الإصلاحية انطلاقا من القرى والقصور التواتية لتمتد إلى المغرب الأقصى، وتونس، وأخيرا إفريقيا الغربية بإمارا ا السبع المنضوية تحت مملكة السنغاي، فقد دخلها منظرا ومفتيا ومجاهدا، ومصلحا، ذكر عبد القادر الكسنمي أن الإمام المغيلي مع عبد الرحمان السيوطي كان لا يقول له إلا عبد الرحمان، ولما ألف البرهان[1] قال: (أصبح الطالب عبد الرحمان عالما)، ولما ألف الإتقان قال بتبحر السيد عبد الرحمان[2] لا بد من السير على خطين متكاملين لمعرفة مقاصده الشعرية والنثرية.

- الأول: ما جاء للتوضيح والتعليم؛ فقد كان ينظم بعض الأشعار والنثور لتسهيل حفظ المعارف المتنية للطلاب، ولتمكين اكبر عدد من القراء حفظ ما يريد نشره وإيصاله.

- والثاني ما كان يجسد داخله أفكاره الإصلاحية والجهادية، والتي ضمنها مجموع رسائله التي بعث ا لأمراء كانو، وسنغاي، وكشانة. ويمكن تقسيم تلك الرسائل إلى قسمين: قسم جاء ردا على الأسئلة التي كانت تطرح عليه، وقسم آخر جاء للوعظ والإرشاد موجه للملوك والأمراء وإلى عامة الناس.

1- فرسالته التي جاءت جوابا عن سؤال طرح عليه حول: (ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار)، قال فيها: (إنه لا يقرب مؤمن كافرا يهوديا من نفسه أو عياله، أو يستعمله في أعماله، أو يجعل بيده شيئا من ماله).

2- وجاء في رسالته الموجهة لأمير كانو محمد بن يعقوب والتي تدور حول شؤون الإمارة وشروطها[3]، يقول: (أما بعد: وفقك الله للتقوى وعصمك من نزغات الهوى،

1- البرهان، مخطوطة للإمام المغيلي يدور حول علم المنطق، لم تحقق بين أيدينا نسخة منه أو لم نطلع له على تحقيق.

2- أنظر: البشرى شرح المرقاة الكبرى لعبد القادر الكسنمي، ص104-105.

3- الرسالة تحت عنوان (ما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة) وقد حققتها تحت عنوان (الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية).

فإن الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله، فما أعظم فضلها وما أثقل حملها، إن عدل الأمير ذبحته التقوى بقطع أو داج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أو داج التقوى فعليك بتقوى الله).

3- وكتب رسالته المتضمنة الرد على الأسئلة السبعة التي طرحها عليه الأمير محمد أسقيا الكبير، فكان الجواب على قدر الأسئلة المطروحة[1]، جاء في ردوده: (اعلم أعاننا الله وإياك أن الملك كله لله، وما النصر إلا من عند الله، فكن لله عبدا بطاعته، يكن لك ربا بحفظه وإعانته، إنما أنت مملوك لا تملك شيئا من عباده لتصلح لهم دينهم ودنياهم، لا لتكون سيدهم ومولاهم) ويسترسل قائلا: (أنظر لنفسك قبل الفوت، فإنه لا بد لك من الموت).

4- الرسالة التي كتبها للرد على الأسئلة التي طرحت عليه حول قوم بالصحراء لا تنالهم أحكام الأمراء ولا يعرفون عن الدين شيء يتخذهم اليهود أخلاء، وهي رسالة الغلائف، التي نحن بصدد تحقيقها.

5- وقد كتب عدة رسائل في فن الرسائل الديوانية، والإخوانية، والخطابية، والوعظ والإرشاد، والوصايا فجاءت وصيته للسلطان محمد بن يعقوب زنقا أمير كانو التي موضوعها (فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام).

ويلاحظ على جميع رسائله السجع المطاوع، والمحسنات اللفظية، والإطناب أحيانا أخرى وتوافق لآخر الكلمات؛ الأمر الذي أعطاه تنميقا فائقا رائقا في اختيار الألفاظ بأبعادها ومدلولا ـا لتصبح ذات أبعاد ودلالات توحي بعنايته بالأبعاد (كالزمان، الأوطان، الطغيان، السلطان، تلمسان) وفي رسالته لمحمد بن يعقوب سلطان كانو (التقوى، الهوى، ما أعظم فضلها، ما أثقل حملها)؛ وهي مقابلة معنوية في اصطلاح علماء البلاغة، كما نراه يستعين ببعض المحسنات اللفظية والبديعية الأخرى كالطباق، والمقابلة، والجناس مثل ما جاء في رسالته لأمير السنغاي محمد أسكيا الكبير حيث يقول: (فكن لله عبدا بطاعته يكن لك ربا بحفظه وإعانته)، وقد استعمل أحيانا الجناس الناقص كما في قوله: (فانظر لنفسك، قبل الفوت، فإنه لا بد لك من الموت) سجعية تقابلية تطابقية.

أما الوصية ورسائل الوصايا عنده فالظاهر عليها أن تكون من قلب الأب لابنه، ومن الأم لابنتها، ومن الراعي لرعيته في أمور معينة؛ ذات أبعاد تواصفية، وهو ما نجده يعمل به. لقد جاءت وصاياه تعكس صدق عاطفته وفطرته، وحب الخير للجميع. فهو مصلح

1- الرسالة جاءت تحت عنوان (أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي)، وقد حققتها تحت عنوان: (أسئلة الحاج محمد بن أبي بكر أسكيا الكبير وأجوبة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي).

بالدرجة الأولى وداع إلى الله ـدى القرآن وسنة النبي عليه الصلاة والسلام، فعبارات وصاياه موحية لمعاني مقاصده وموجزة تتصل بالنفس لتؤدي الغرض المقصود.

وبالنظر لطبيعة الغرض فإن أسلوبه لا يخرج عن الأسلوب الإنشائي، يقول: (أقم حق الله على جميع عباد الله بالتقوى لا بالهوى، ومن عارضك في شيء من ذلك فعاقبه بما فيه ردع له ولمثله، وإن لم يكن إلا بقطع يده، أو رجله، أو أنفه، أو صلبه، فافعله ولا تبالي، ولكن بعد ثبوت في ذلك ومقابلة كل واحد بما يليق به بحسب حاله من الخير والشر، والتواضع والطغيان، فتصرف في ذلك بالزيادة والنقصان، حتى يعتدل الميزان[1].

ومن الخصائص الفنية التي يمكن تسجيلها للكاتب نجد أغلب رسائله تعكس إخلاصه وغيرته على دينه وتبرز منهجه الإصلاحي، فاهتمامه بجانب المعاني لم يصرفه عن الاهتمام بالجانب اللفظي لمقتضى الحال، فجاء أسلوبه مزيجا بين الأسلوب الخبري والإنشائي تبعا لمقتضى المقام فاستعانته بألوان وصور البيان لتوضيح مراميه، كما يأتي في صلب النص بجمل منمقة محكمة ومنطقية كقوله: (إن عدل الأمير ذبحته التقوى بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التقوى) جاءت استعارته مزدوجة كنى فيها بالمشتبه؛ الشيء الذي أكسبه المعنى جمالا ورونقا وحول غير المحسوس إلى ملموس. وأسلوبه في معظمه تطغى عليه بدوره أساليب الأمر والنهي فلم يخرج عن النصح والإرشاد، كما في قوله: (لا تخرج من ذلك عالما ولا عبدا)، إلى أن يقول: (أقم حق الله، عاقبه، فافعله، تصرف)، كما نجده يستعين ببعض المحسنات البديعية؛ كالطباق في قوله: (التواضع، الطغيان)، والسجع في قوله: (تصرف في ذلك بالزيادة والنقصان، حتى يعتدل الميزان وليس الخبر كالعيان، والله المستعان وعليه التكلان) [2].

2- الإفاضات الشعرية للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

لقد أشرت فيما سبق للأغراض الشعرية التي كتب فيها، وقسمتها إلى ثلاثة أقسام أو أنواع أو أغراض كما يقول العروضيون:

النوع الأول: يتمثل في الأشعار الدينية المدحية على رأسها قصيدته في مدح الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام والمسماة (الميمية) جاءت على نظم البردة تحتوي على 27 بيتا.

1- مخطوطة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، بين أيدينا نسخة منها، وقد تم تحقيقها من قبلنا تحت عنوان جملة مختصرة فيما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة، طبع دار القدس العربي، سنة 2012، ج1، ص16.

2- سوف نأتي بشرح وافر لهذه العبارة التي يختتم ـا كل فصل في الجزء الثاني من هذا الكتاب. يقول أرسطو: لا يهمني من يجلس على الكرسي، إنما يهمني من يفكر لمن يجلس على الكرسي.

النوع الثاني: أشعار تعليمية تثقيفية تسهيلا للحفظ وترشيدا لملكة الطلاب والعلماء؛ لأنه يدرك أن الشعر في النفوس أوقع، وأبلغ، وأدوم، وأسرع انتقالا بين الناس، فقد أسمي هذا النوع بالأشعار التدريسية التعليمية التثقيفية، وخير مثال على ذلك أرجوزته (منح الوهاب) حول علم المنطق التي درسها للطلاب وجعل عليها ثلاثة شروح[1].

ومن أشعاره ما خلع نفسه من الدنيا بذمه لها واعتبارها غرورا في غرور؛ فيقول:

هي الدنيا غرور في غ . . رور ∴ وأحلام تمر على الدهـ . . ـور
هي الدنيا تكنى أم أنثـ . . . ى ∴ ومرجع من عليها للقبـ . . ـور
لها كيد عظيم مـ . ن نعيـ . . ـم ∴ وبيض قاصرات الطرف حـ . ور
ترى للناس بعض شـ . . . يء ∴ وتدلي نحوهم حبل الغـ . . رور
فمن يرقى لها يبقى صريعـ . . ـا ∴ ويرقى صدره بعض النسـ . ور
فطوبي لمن ولّى سريعـ . . . ـا ∴ وأولى نفسه خير الأمـ . . ـور

أما قصيدته الميمية[2] في مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام ارتجلها أمام الروضة الشريفة في حضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وصحبيه عليهم الرضوان، لما انصرف مدلجا لأداء فريضة الحج ورسم زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام. فجاءت القصيدة تحمل في طيا ـا أربعة أفكار رئيسية: في الفكرة الأولى خاطب نفسه مهنئا إياها بوصولها ووقوفها أمام الروضة الشريفة للسلام على خير البرية، وهو الأمر الذي أنساه همومه ومتاعبه وما قاساه من نصب وتعب وغلبة الأعداء وشماتة الإخوان، فالمقام فتح شهيته للدعاء وطلب الوسيلة. أما الفكرة الثانية: حاول فيها مخاطبة الرسول عليه الصلاة والسلام لضيافته، وأمنه، مذكرا نفسه بفضائل الرسول عليه السلام وعلى كافة الخلق أجمعين آملا نيل شفاعته وجبر كسره. وأما الفكرة الثالثة: عرج فيها كحال كل زائر للقبة الخضراء بالتحية والسلام على النبي المختار وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. والفكرة الرابعة: ختم ـا مدحه بالتضرع الله سبحانه وتعالى بأن يمن عليه بالعفو والرضوان بجاه المصطفى العدنان وبآله وأصحابه ما سار ركب لتلك الربوع. ففاضت قريحته واغرورقت عيناه فرحا وابتهاجا لتنفث مادحة من بالروضة عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

1- أرجوزة منح الوهاب للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لقد حققتها تحت عنوان (مدونة الفقه الجدلي لمحمد بن عبد الكريم المغيلي تحقيق: أ.مبروك مقدم، طبع دار القدس العربي بوهران سنة 2012..

2- قصيدة الميمة للإمام المغيلي جاءت بكتاب البشرى شرح المرقاة الكبرى للشيخ عبد القادر الكسنمي، ص104.

القصيدة الميمية للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التي ألقاها قرب الروضة الخضراء عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة؛ يقول فيها:

بشراك يا قلبي هذا سيد الأمـ . . . ـم ∴ وهذه حضرة المختاري في الحـ . ـرم
وهذه الروضة الغراء ظاهـ . . . . ـرة ∴ وهذه القبة الخضـ . ـراء كالعلـ . ـم
ومنبر المصطفى الهادي وحجرتـ . ـه ∴ وصحبه وبقيـ . ـع دائـ . ـم . . . . ـم
قطب وعر عن هموم كنت تحمليهـ . ـا ∴ وسل تنال كل ما يرجاه من كـ . ـرم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي ∴ فالعبد ضيف وضيف الله لم يضـ . ـم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيـ . ـدي ∴ فبحـ . ـر جودك مورد لكل ضـ . ـم
يا سيد الرسل يا من صيف ساحته ∴ ببيت في الأمن في خير وفي نعـ . . . ـم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي ∴ يـ . ـا من قاصديـ . ـه أم مـ . ـن السقم
يا أكرم الخلق من حاف ومنعل ∴ يا أفضل الناس في فلات في هيـ . . . ـم
يا أشرف الأنبياء يا من شفاعتـ . ـه ∴ عمت عن الخلق في الوجدان وفي العدم
يا صفوت الله يا مولى مكارمـ . ـه ∴ عمت عن الخلق من طفل وفي هـ . ـرم
يا صحب الحوض يا بحر فضائلـ . ـه ∴ عمت عن الخلق من عرب ومن عجم
إني فقير إلى عفو ومرحمتـ . . . . ـه ∴ وأنت أدرى بما في القلب من ألـ . ـم
إني أتيت أرج منك مكرمـ . . . ـة ∴ وأنت أهل الرضا والجود والكـ . ـرم
فاشفع لعبدك وجبر كسره فلقـ . ـد ∴ أودى له الكسر فيما نال من جـ . ـرم
يا أحمد يا أبا بكر ويا عمـ . . . ـر ∴ نزيلكم في أمـ . ـان غيـ . ـر منهضـ . ـم
لقد سعيت إلى أبواب حجرتكـ . ـم ∴ سعيا على الرأس لا سعيا على القـ . ـدم
أتى من أم القرى يرجو القري كرما ∴ من سيادتكم بحار الجود والكـ . . ـرم
فإن قبلتم فإن مفلـ . ـح بكـ . . . . ـم ∴ في زورة واعتراف وافـ . ـر القيـ . . . ـم
يا من أجل ملوك الأرض قاطبـ . ـة ∴ في باب أفضلهم أصفـ . ـر الخـ . . . ـدم
فهل عسى نظرة منكم لزائركـ . ـم ∴ يعني ـا عن جميـ . ـع الخلق كلهـ . . . ـم
محمود ضجيعه الدين . . . . . ـم ∴ ظنيا وغنيا عن الخسـ . ـرن والنـ . . . ـدم
يا رب يا رب يا مولى عبـ . ـدك في ∴ باب الرجي يرتجي أم عن النقـ . . . ـم
فجد عليه بما يرجه من كـ . . . ـرم ∴ لقد توسل في الدنيـ . ـا بحقهـ . . . ـم
ثم الصلاة وتسليم إله علـ . . . . ـى ∴ هذا النبي رافع القدر والشمـ . . . ـم[1]
محمد المصطفى وألالي ثم علـ . . . ـى ∴ أصحابه ما سراركب لربعهـ . . . ـم[1]

1- تحتوي القصيدة على سبعة وعشرين بيتا تقرأ بعد صلاة المغرب في مسجد الإمام المغيلي وقد تم حذف بيتا منها لعدم تمكننا من قرائه جيدا والقصيدة موجودة بمكتبة المغيلي بزاوية كنتة.

تمثل الصورة شاشية (طاكية) الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، عمرها 107 سنوات محفوظة بخزانة خاصة بزاوية الكنتة بالبيت الذي يحتوي (عكازه، وشاشيته، وخلوته وميضته ودكانته للصلاة والتهجد بالليل والتصوف لنقاء الروح وسريرة الخلق.

3- الإسلام بجمهورية نيجيريا (كانو)

لم بدأ الصراعات الطائفية بنيجريا منذ القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، وما أن بدأ حتى تعود للظهور مرة أخرى. يبلغ عدد سكان نيجريا الآن مائة وخمسين مليون نسمة مساحتها تبلغ (923768كلم^2) مقسمة لستة وثلاثين ولاية، منها اثني عشر ولاية تطبق الشريعة الإسلامية منذ سنة ألفين، وهي الولايات الشمالية؛ حيث تبلغ نسبة المسلمين ما 50 إلى 60% من السكان، وهي التي احتضنت الفكر المغيلي وتبنته إلى اليوم، وتعمل على توسيع التعامل به بمدارسها بوجود أحفاده ما خاصة بمدينة (كانو).

تحتوي الدولة على ما يفوق (200) مجموعة محلية أو قبلية تتناحر بعصبية، وتتعاضد فيما بينها قبيلتان كبيرتان قبيلة تعيش في الشمال وأخرى تعيش في الجنوب يتجدد صراعهما كلما حدث حادث، ففي سنة 1920م وعندما تم نقل سكان من (الهوسا إلى مدينة جورس) التي تعرف هذه الأيام حروبا بين المسلمين والمسيحيين؛ إذ يبلغ عدد سكان مدينة (جورس) نصف مليون ساكن أغلبهم مسلمون؛ وسبب الخلاف يعود لمحاولة المسلمين (بمدينة جورس) بناء مسجد ما، فاحتج المسيحيون على بناء المسجد هذه المدينة، وهذه ليست المرة الأولى التي يشتد فيها الخلاف بين المسلمين والمسحيين حول المعتقدات الدنية الإسلامية والمسيحية.

ففي سنة 1967م-1999م قتل مليون شخص بسبب الخلافات الدينية، وفي سنة 2001م نتيجة الأحداث بين المسلمين والمسيحيين قتل مائة شخص، أما في سنة 2008م ونتيجة الأحداث التي عرفتها مدينة (كانو) قتل سبعمائة شخص.

1- أنظر كتابنا مدونة الفقه الجدلي، ج2 طبع بدار القدس العربي، سنة 2012، ص309.

ومن نتائج هذه الصراعات المتكررة والمتجددة كلما حاولت أي قبيلة أو فرقة بناء مسجـ ـد أو كنيسة تتجدد الاشتباكات التي تغذيها أطرافا لها عدة فوائد في عدم الاستقرار، وربما تكون الطبقة السياسية من أكثر الفاعلين في تجديد الصراعات لامتطائها المقومات التالية:

1- اختلاف الدين،

2- اختلاف الأعراق،

3- اشتداد العصبية بين الفرق،

4- تناظر القوى السياسية؛ المتمثلة في السلطة والقوة السياسية ين الحزبين الكبيرين.

فقد أدت هذه المناوشات لمطالبة بعض الشباب المسيحي بنقل المسلمين من مدينة (جورس) بينما طالب الشباب المسلم بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على باقي ولايات الجنوب. وأعتقد أن السبب الرئيسي للعنف يكمن في الظروف الاقتصادية، وهبوط سعر البترول آنذاك أي سنة 2010م ورغم ارتفاع سعر البترول اليوم في حدود 120 دولار للبرميل إلا أن أطراف الصراع لازالت تتغذى على هشاشة الاقتصاد، والفواصل البينية بين سكان الشمال المسلم وسكان الجنوب المسيحي وقد يزيد ويعضد من الصراعات عاملين هامين أو ثلاثة عوامل في نظرنا هم:

- العامل الأول: ظهور بوادر العنف القاعدي بالمنطقة
- العامل الثاني: الضربات الموجعة للاقتصاد من قبل جماعة (بكو حرام)
- العامل الثالث: ما تتعرض له خطوط الغاز من تدمير وسرقة من طرف القرويين الذين أنشئوا اقتصادا عياشيا يعتاشون من سرقة الغاز المار في الأدغال والقريب من مساكنهم.

إن هذه العوامل سوف تؤدي حتما إلى نزوع الاستثمارات من الدولة وهروب اليد الفنية خاصة تلك الشركات وبترول غاز، وشركات التكرير والتنقيب الصينية والتي استحلت الفراغ فاستحكمت في الاقتصاديات الإفريقية. علاوة على هذه المصاعب مرور الاقتصاد العالمي بفترة ركود لم يعرفها من قبل، كما أن هبوط قيمة الدولار للتضخم الذي تعرفه الولايات المتحدة الأمريكية، وأزمة منطقة اليورو التي ملامحها توحي بدين تعرفه معظم دول السوق العربية المشتركة الناتج عن الركود الشامل للاقتصاد. في حين أدى هذا الوضع إلى عدم التوزيع العادل للخيرات والمقدرات الوطنية مما زاد من شدة الانقسامات الطائفية والعصبية بين السكان[1].

1- لمزيد من التفصيل، أنظر كتابنا: البنيات الانقسامية في ا تمع القصوري التواتي تحت الطبع بدار القدس العربي، ص60.

وما لم يتم التوزيع العادل للخيرات، وتطوي عناصر الانقسامات التي تدق الأسافين في جسم الدول التي تعرف مثل هذه الانقسامات لا يمكن أن يهدأ ا تمع، أو يصلح حاله، فكلما حاولت طائفة إحداث كنيسة أو مسجد إلا ووجدت من يعارض ذلك، ولا نغفل دور الدول الغربية في تذكية مثل هذه الصراعات، خاصة الدول التي حباها الله تعالى بنعمة الغاز والبترول، فالدول العظمى تتكسى بأثواب مختلفة لتصدير الخبراء، وجلب المادة الأولية لتحريك اقتصاديا ا، والتحكم بالأساس في أسعار هذه المواد عن طريق المنظمة العالمية للطاقة. تشير الأرقام في نيجيريا إلى موت 460 شخصا في الأحداث الأخيرة، أغلبهم مسلمون وفي المنطقة الشمالية المسلمة. هذا حال تلك الإمارات التي بنى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي أسسها خلال القرن 9هـ. الخامس عشر ميلادي.

4- وفاة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني:

بعدما علم الإمام باغتيال ابنه (محمد عبد الجبار) من قبل اليهود؛ حيث تآمر عليه اليهود ومناصريهم بقصر تمنطيط؛ إذ أشاروا عليه بوجود قوة عسكرية متكونة من عشرة فرسان قادمة من مدينة تونس، وبما أنك خليفة أبيك عليك بلقائهم، فلبس درعه وبدلته العسكرية واتجه للقائهم عند مدخل مدينة تمنطيط، فالتفوا حوله وقطعوا رأسه دون سابق إنذار وتركوه في مكانه ينـ.زف، ولما بلغ الخبر عمر بن عبد الرحمان بن عمر حاكم تمنطيط وقاضي قضاة جماعتها، وباقي قصور توات، لم يحرك ساكنا ولم يتعقب القتلة الجناة، بل وحسب مجريات الأمور كان على علم بالواقعة قبل حدوثها. لما بلغ الأمر الإمام المغيلي اغتاظ واشتاط لتلك الفعلة والخديعة النكراء التي لحقت بابنه محمد عبد الجبار وخليفته على قصور توات.

لقد كان انتقال الإمام المغيلي لمدينة (كانو) من مدينة[1] تغزة وكانت (عاصمة مملكة الصنغاي) فاتصل بأميرها الأسقيا محمد الطوري الذي استخلق عائلة (زنقا) فكان يحاول إصلاح إمارته وعلاج مشاكلها وقيل استدعاه الأمير وطلب منه؛ أي أمير كانو (محمد

1- لقد كانت مدينة كانو من أشهر بلاد الهوسا القديمة والحديثة من حيث الشساعة والأرقام الكبرى، والغنى. ويرجع تأسيسها للقرن العاشر الميلادي الرابع الهجري، وهي تقع على طريق القوافل التجارية المختارة من المغرب إلى الشرق، أول ملوكها هو (بغودة بن باو ابن أبي زيد با يزيد) البطل العربي الذي يرجع له أصل ملوك (الهوما) السبع، دامت أسرته تحكم مدينة كانو مائة وأربعين سنة قبل أن يقوم على أنقاضها أسرة (زنقا) وأشهرها (محمد زنقا بن يعقوب) الذي كان عهده أزهى العصور، في عهده وصل المغيلي لمدينة (كانو) ومكث ا مدة فتولى خطة القضاء والإمامة والإفتاء وتزوج ا وخلف ثلاثة أبناء كما أشير إلى ذلك في متن هذا البحث، وقد كتب المغيلي (للأمير محمد زنقا) وصيته تحت عنوان (فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام). أنظر عبد الله الألوري الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره في الحكومة بالقرون الوسطى بنيجريا.

زنقا) من الإمام المغيلي أن يزوده بمكتوب حول تنظيم أمور الإمارة وقد كتبها له سنة 897هـ. /1492م، وهو ما تزامن مع سقوط أخر معقل للمسلمين بالأندلس، غير أن وصول خبر اغتيال ابنه محمد عبد الجبار سرع من عودته لقصور توات.

ولما وصلها أقام النفرة الثالثة على اليهود ومناصريهم، فقامت حرب غير متكافئة بين الطرفين، أعد خصومه فيها العدة، واستعدوا للحرب بعدما علموا بمقدمه، و يئته الظروف المواتية للنفرة الثالثة في اليهود.

فقد أعدوا العدة بالسلاح، والجند، والبارود، وساعدهم اليهود، وأرباب القصور على قتاله فالتقى الجمعان عند مشارف مدينة تمنطيط فاشتعلت الحرب بين الطرفين ودامت ثلاثة أيام بلياليها. غير أن ضعف الزاد والعتاد، وضعف المناصرين، أدى إلى تراجع جيوشه للناحية الخلفية فآواه ونصره البرامكة، وأتوا به إلى قصر بوعلي ففتح مدرسته وجامعه. وبدأ يدرس الطلاب ويؤم الناس ويقوم بختم البخاري، والقرآن الكريم كلّ شهر لملازمة الحزب الراتب كل يوم يقرأ حزبين؛ حزب بعد صلاة العصر وآخر بعد صلاة المغرب.

فكون مجموعة من الطلاب الدارسين عنده ولم يمض أكثر من ثلاث سنوات حتى وافته المنية في أول محرم 909هـ. /25 جوان 1503م، ويحكى أن أحد اليهود الملاعين المخزيين لما علم بوفاة الإمام المغيلي، ذهب لقبره وبال عليه، فأصيب بالعمى في الحين، ويقال: إن مدينة تمنطيط أصيبت بمرض عضال أهلك الحرث والنسل فاجتمع كبار البلد واتفقوا على القدوم لمقام الإمام المغيلي، لختم القرآن الكريم بجوار قبره، وإطعام الفقراء والمساكين وختم السلكة (ستون حزبا) فرفع الله عنهم البلاء، تقام كل سنة لتاريخ وفاته وعدة (زيارة) بثلاثة أمياز.

واليوم الثالث تتجير فيه الروضة بالجير الأبيض ويغلّف (القربوز أي السياج الحديدي بالقبر) بلبوس جديد، ويبيت من المغرب إلى صلاة الصبح حفاظ القرآن الكريم تالين لكتاب الله؛ فتختم السلكة قبل صلاة الفجر، ومن المفارقات الغربية والتي حدثت في التاريخ الوسطى الجزائري سقوط مدينة وهران في يد الأسبان بعد ثلاثين سنة من وفاة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وقد أشرت لذلك فيما تقدم من هذا البحث. فقد بدأت الحملات الصليبية على دول المغرب العربي الكبير والشمال الإفريقي، كما استفحلت ظاهرة نقل و جير السكان الأصليين الأفارقة قهرا واغتصابا من داخل الإمارات الإسلامية، ومن الغابات والأحراش الإفريقية الغربية، وكثفت الطلعات الاستكشافية للمستكشفين الأوروبيين للأدغال الإفريقية.

مما ساهم وبصورة أكثر في نقل أعداد كبيرة من السكان بعد تجميعهم في الجزيرة الحمراء بالسنغال على شواطئ المحيط الأطلسي ليتم نقلهم إلى أوروبا وأمريكا، والبرتغال وإسبانيا وهايتي وكوبا، والبرازيل. فنصبوا بالجزيرة الحمراء مراكز للتسمين، وفتحوا أسواقا للنخاسة في كل من السنغال وفلتا العليا وغانا، وغينيا، وكينيا؛ لتأتي السفن من البرازيل، وفرنسا، وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا وأمريكا لشراء العبيد، فيكدسهم في أسفل السفن رجالا ونساء وأطفالا العديد منهم يموت في الطريق بسبب الجوع، والاختناق، والبرد. لقد كان الأوربيون يجمعون كل ما وصلت إليه أيديهم مسلما كان أو مسيحيا[1].

5- بماذا نبدأ الجهبذ

وكيف لي ـذا الطود الشامخ مع قصور الباع وقلة المتاع، وترعرع الدماغ، من الكسل وقلة الخبرة والإطلاع في بواطن غور شخوص هذا الجهبذ المطود.

فقد قيل قديما من حرر مقالة أو أحبر قصيدة، فإنما فتح ونشر عقله ليتصفحه الأدباء والكتاب والعلماء، فأنى لمثلي الامتثال للممثالة، والاندراج في سلك ذوي العرفان، أهل العلم؟ الذين يخشون الله تبارك وتعالى فأكرمهم مصداقا لقوله في كتاب العزيز: ﴿ **إنما يخشى اللَّه من عباده الْعلَماء إنَّ اللَّه عزيز غَفُور**﴾[2]، في آيات أخرى قوله تعالى: ﴿**فَاسأَلُواْ أَهلَ الذِّكْرِ إن كُنتم لاَ تعلَمونَ**﴾[3] وقـ ـال سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ هلْ يستوِي الَّذين يعلَمونَ والَّذين لَا يعلَمونَ إنما يتذَكَّر أُولُواْ الأَلْباب**﴾[4]. فَرمت السباحةَ في بحر يغشاه موج كالظلل لأكون قُرابة أهلَ ومرامي البيان، وهي مجاهَل أعرف صعاب سهولها، وفيافيها، شعاب لا ينال منها إلا ذو حزم وعزم، وأسهر جفونه ليال وأيام وأعوام وأنفق نفيس عمره تتبعا وتتابعا لضبط قوانينها، ومثاقفة رجالها لَتفْتح له ما خفي من غامض صعا ـا.

إن حسن الظن بنا دافع للمضي في غور مآثير الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني فنبش مخطوطاته ساكن سويداء قلبي وينطلق قلمي كلما حملَ للبحث في مأثوراته الذاخرة بالخبرة والعلمية، فهذا بعدما حملَني على ما لا قيل لي فيه، ولكن لَمَّا أسلمت وحسن الظن بنا قويت فينا مجاسرة للكتابة لمآثر ذا الجهبذ الشامخ.

1- أنظر كتابنا: البنيات الانقسامية في ا تمع الواحي القصوري، تحت الطبع بدار القبس العربي، ص76.

2- سورة فاطر، الآية: 28.

3- سورة النحل، الآية:43.

4- سورة الزمر، الآية:9.

5- قمنا باستكمال الآيات القرآنية التي جاءت في النص تدليلا، لأ ا تأتي بالمعنى أو مقتبسة فتم إخراجها كما هي في المصحف الشريف على رواية ورش عن الإمام نافع.

6- أخرجنا بما توفر لنا رواة الأحاديث التي وردت في النص.

7- تم تعويض واستخلاف ما رأينا أن النص لا يستقيم بوجوده بنقاط ثلاث داخل عريضتين (- -).

8- اعتمدنا التهميش بالصفحة لكل صفحة هامشها.

9- أشرت في الحواشي لما التبس من النص وصعبت قراءته بعبارة (في الأصل هكذا).

10- تم تصحيح الأخطاء الإملائية والنحوية الناتجة عن كثرة النسخ للمخطوطة وتعدادات استعمالها.

11- أخرجت الفواصل بين الجمل ووضعتها في أماكنها.

12- أحدثت تباويب للمخطوطة ليسهل على القارئ أخذها مع وضع عناوين جانبية مستخلصة من النص المحقق مستجريئة مما عاهدنا عليه الكاتب.

13- تم إعادة الرجوع أو فن الرجوع للسطر، والفصل بين الآيات القرآنية بوضع قوس حولها.

لقد اطلعت على هذه المخطوطة في أماكن تواجدها إذ توجد بـ. :

1- خزانة أحمد ديدي البكرية بتمنطيط، تتكون من 43 صفحة من الحجم الصغير، تم نسخها من قبل محمد بن عبد الرحمان بن عمر شهر شوال من سنة 1208هـ. /30 ماي 1794م.

2- بخزانة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بقصر زاوية كنتة.

3- بخزانة كوسام لصاحبها شاري الطيب.

4- نسخة توجد بالمكتبة الوطنية بالجزائر سجلت تحت رقم 3392.

5- كما علمت بوجود نسخة بالمكتبة الوطنية بالرباط سجلت تحت رقم 20/30.

6- وعلمت أيضا بوجود نسخة بدار الكتب القومية بالقاهرة في شكل ميكروفيلم سجلت تحت رقم 37425.

المحور الثالث

توصيف مساريد مخطوطة رسالة الغلائف

عند تصفحي لهذا المخطوط مرة تلو المرة، وبعد كل قراءة تتزاحم عندي كثيرة الأسئلة. أولها: لماذا هذا المخطوط بعد ما صرغَ لنا كل ما تعلق بنازلة يهود توات في رسالته لكل مسلم ومسلمة، وثانيها: وجدنا أن أغلب محتويا ا استنباطات من مجامع كتاباته السابقة عنها، وثالثها: أ ا بحسب السرد النصي كتبت بعد (رسالة لكل مسلم ومسلمة)، ورابعها: لماذا اختار لها أسلوبا فنقليا يختلف بعض الشيء عن جميع كتاباته التي حققتها، وخامسها: لماذا أعتمد منهجية جديدة في كيفية السرد والطرح، والتلقي، والأخذ بأذن القارئ، وسادسها: لماذا أختار نوعا معينا من المصادر للاعتماد عليها، هذه الأسئلة وغيرها أثارت فينا عديد الأسئلة التي تزاحمت بمخيلتي، استفضالا واستحضارا، فتم التناول لها عقب انتهائنا من تحقيق (رسالة لكل مسلم ومسلمة) المطبوعة في إطار تلمسان عاصمة الثقافة العربية الإسلامية، فتمت قراء ا، وبعد الاستخارة عزمنا على الأخذ ا، فإن وجد نقص أو تقصير أو خلل منهجي فهو مني قصورا لضعف الباع وقلة المتاع.

فلقد طغى على المخطوطة أسلوب الفنقلة بشكل لافت مما يوحي لك أنك أمام شارح أو مشرع لهذا الأسلوب، بحيث يختار كعادته (الطارح والمتلقي) كأني به يجسد ملحمة ومشهدا دراميا فوق مسرح غص بالمشاهدين يملي عليهم طريقة الأخذ بأسلوب الحياة، محذرا إياهم من خطر داهم يعظّم ذلك الخطب مرة تعنيفا، ويخفف الوطأ حينا آخر، لكأني به يحدد السبب والمسبب، ثم يعطيك كيفية الخروج وكيفية التلقي، واصفا منهجه وصفا فنيا يليق به وبأسلوبه الساحر، مستنكرا لظروف الحياة التي عليها العامة وأهالي العمامة.

ثم ما يلبث أن ينعطف بك لوجهة أخرى دون الإحساس بذلك الخروج، أسلوبه سهلا ممتنعا يرشد القارئ فيه ويوعظه ويعلمه، ويشده إليه كما يحذر القارئ من بوائق الدهر، ثم يسترسل في لبق لتوصيف حياة الناس وأحوالهم، وذكر الأحداث التي حصلت في القرن التاسع هجري، الخامس عشر ميلادي، ثم يشرح أسباب قيامه بالنفرة على اليهود وذلك لخروجهم عن المواثيق والعقود الشراعية، وأنه لو توفرت للإمام أسبابا أخرى كما يقول لكانوا معززين مكرمين كما وصفهم في هذا المخطوط، حيث طلب معاملتهم معاملة جيدة تليق بالذمي في بلاد الإسلام وتحت يد المسلمين.

ثم يقسم المخطوط بمنهجية متناهية ودقة فائقة قسمها لثمانية فصول، كل فصل قسم بحسب المحتوى لأقسام وتنبيهات، وهذا الأسلوب لم نعهده عنده إلا ضمن مخطوطته جملة مختصرة فيما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة.

إن سبب ودوافع اختيار هذا المخطوط للتحقيق يرجع إلى تطابق العديد من المسائل التي احتواها لما يحدث في العالم الحالي، فقد جاء بالكثير من الأحداث التي يعيد التاريخ صياغتها وطرحها في ظل الحركات السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والحكامة الراشدة، فقد أعجز فيه بذلك السرد والطرح المتوافق للأسئلة وملازمة الإجابة عنها تفصيلا متناهيا، ثم إنه يختم كل فصل بعبارة دأب على تضمينها ـاية كل فصل، وهذا توافقيا مع ما وجد عند علماء القرن الرابع عشر والخامس عشر ميلاديين، وعلى رأس الطارحين لهذا الأسلوب عبد الرحمان بن خلدون في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. فهو يختم أبواب كتابه بعبارة واالله الموفق للصواب وعليه التكلان، ومرة أخرى بغيرها كقوله والله في خلقه شؤون، وفي ـاية كل قسم يشير لنا سوف يأتي إن شاء الله ذكر ذلك وهذا ما يعني حالة من اثنين إما أنه كان على عجلة من أمره أو أنه أملاها لغيره فلم يستوفي النص بكامله. كما يستنشق من السرد النحي أن هذه الأسئلة التي طرحت عليه جاءت في أواخر أيامه للأسباب والدواعي الاستشهادية بحسب ما أعتقد.

1- إشاراته وتعاليقه على حواصل القرن التاسع هجري وبعبارته يقول كما هو الحاصل في أواخر القرن التاسع، فقد كثرت إشاراته للقرن التاسع هجري فهو بذلك يعد على رأس ذلك القرن وفخره.
2- حملَها مقاطيع من تصانيفه السابقة فعند قراء ـا تلاحظ أنه يستنبط من كتاباته السابقة استدلالا.
3- كو ـا تسترتب وتتبين خصالُها كأ ـا محاكاة من (رسالة لكل مسلم ومسلمة) الخاصة بنازلة يهود توات لأن معظم مراجعها اعتمدت في هذه الرسالة، كما أن الآيات القرآنية والأحاديث كأ ـا هي.
4- سردها يختلف عما عودنا عليه في إطار التحليل والتصنيف والتمثيل.
5- فإذا أمعنا النظر نجدها مقسمة بطريقة جديدة عن الطرائق السابقة المعتمدة منه، فقد قسمها لفصول، وأقسام، وتنبيهات.
6- كما أنه أدرج في ـاية كل فصل مجموعة الأسئلة التي طرحت عليه، وهو بذلك ينهج منهج الأسئلة المطروحة، وفي ـاية كل فصل يختمه بعبارة وسيأتي إن شاء الله ذكر عقوبتهم على ذلك، ولكن الشرح قد لا تلمسه في آخر كل قسم، يستدل ـذه الجملة (وفي بعض هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله الهداية، وما يتذكر إلا أولوا الألباب، ويتوب الله على من تاب واالله الموفق للصواب).

فهو يبدأ دائما كتاباته بالحمد وهو الثناء الجميل على جهة التعظيم والتبجيل، ثم يصلي على النبي المختار، وبعد البسملة والصلاة على محمد بن عبد الله، يوصف نفسه تسمية، ولقبا ونسبا، ثم يبدأ بإدراج عناصر الأسئلة ضمن فيالق الرد المحمول.

ففي أثناء رده على الأسئلة تلاحظ بداية طرح الأسئلة والتي يبدأها بقوله (إنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة) ويختتم الردود عادة بعبارة لا يكاد القارئ يحس أ ا مكررة فيقول (وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله الرعاية والهداية، والله الموفق للصواب وإليه المآب والحمد لله رب العالمين).

فالسمة الغالبة على كتابات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي أنه لا يضع عنوانا لما يكتب فالقارئ قد يستنبطه من خلال الدراسة والمتابعة، كما حاصل للعديد من الكتاب السابقين واللاحقين فهذه المخطوطة لم يضع لها صاحبها عنوانا، مما جعل الخطاطين والناسخين والعلماء المتابعين كل يضع لها عنوانا، وهذه سمة كتاباته. فقد عنو ا حمادي عبد الله بقوله (ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وعما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، وما عليه يهود بعض الأقطار من منع الجزية، وإظهار العزة بقوم كبار)، هذا العنوان يحتوي على ثلاثة عناوين جاء في مخطوطة الإمام المغلي (رسالة لكل مسلم ومسلمة)، ذات الثلاثة فصول، والتي حققتها بكتابي مدونة نازلة يهود توات.

إن وضع مثل هذه العناوين في وقت توفرت لنا فيه كل سبل الاتصال والبحث ينم عن عدم دراية فليسمح لي الأستاذ عبد الله أن أقول له أن عنوانك هذا يشوبه ملمط الخطأ فلا يمد بصلة للمخطوطة الحقيقية، وأعتقد أ ا شويطحة لا تغفر للأستاذ الباحث والمطلع حسب علمي به والصحيح ما أورده صاحب المخطوطة ضمن النص، وهي (رسالة في الغلائف) فنحن نتعرف على العنوان من الموضوع ونضعه يشمل كل عناصر النص، وإذا ما تابعنا النص لوجدناه مبني في أساسه على هذه الأسئلة التي طرحت على الإمام وهي في الأساس متعلقة بقوم في صحراء لا تنالهم أحكام الأمراء ولا يعرفون عن الجزية شيء يتخذهم اليهود أخلاء، وهم غلائف لهم يحمو م ويرعون مصالحهم.

ويرى آخرون أن عنوان المخطوطة وهذا العنوان شائع بين الكتاب من خارج المنطقة التواتية (رسالة في أهل الذمة) غير أن هذا العنوان لكتاب غير هذه المخطوطة، وهو بذلك يستنبط هذا العنوان من كتاب ابن قيم الجوزية (أحكام أهل الذمة).

المحور الرابع: المسانيد النهجية المنهجية للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي

تظهر المراجع المسارد المسانيد النقلية والعقلية التي تم الاستقاء والاستيفاء منها لبناء مساريد ومسانيد هذه المخطوطة، وهم ثلاثة مصادر أساسية:

أولها: الآيات القرآنية النصوص النقلية.

ثانيها: الأحاديث النبوية الشريفة النصوص السنية.

ثالثها: المراجع والمتون النصوص العقلية والمتون المراجعية.

أولا: الآيات القرآنية الواردة في المخطوطة

نحمل هذه المصادر النقلية في جدول الآيات دون ترتيب حملناها كما جاءت في صلب النص.

1- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿ **ومن يتولَّهم منكُم فَإنه منهم**﴾ (الآية :53).

2- سورة الرعد: قوله تعالى: ﴿ **إنما يتذَكَّر أُولُواْ الأَلْباب**﴾ (الآية: 21).

3- سورة النور: قوله تعالى: ﴿ **الْخبيثَات للْخبيثين والْخبيثُونَ للْخبيثَات**﴾ (الآية: 26).

4- سورة التوبة: قوله تعالى: ﴿ **الْمؤمنونَ والْمؤمنات بعضهم أَولياء بعضٍ**﴾ (الآية :9).

5- سورة الشعراء: قوله تعالى: ﴿ **وسيعلَم الَّذين ظَلَموا أَي منقَلَبٍ ينقَلبونَ**﴾ (الآية: 226).

6- سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿ **كُنتم خير أُمة أُخرجت للناسِ** ﴾ (الآية: 110).

7- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿ **إنما وليكُم اللّه ورسولُه**﴾ (الآية: 57).

8- سورة الفتح: قوله تعالى: ﴿ **محمد رسولُ اللَّه والَّذين معه أَشداء علَى الْكُفَّارِ رحماء بينهم**﴾ (الآية: 29).

9- سورة المائدة: قوله تعالى:﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ الْيهود والنصارى أَولياء بعضهم أَولياء بعضٍ ومن يتولَّهم منكُم** ﴾ (الآية: 53).

10- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ الَّذين اتخذُواْ دينكُم هزوا ولَعبا**﴾ (الآية: 59).

11- سورة التوبة: قوله تعالى: ﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ آباءكُم وإِخوانكُم أَولياء إِن استحبواْ الْكُفْر علَى الإِيمان**﴾ (الآية: 23).

12- سورة ا ادلة: قوله تعالى: ﴿ **لَا تجِد قَوما يؤمنونَ بِاللَّه والْيومِ الْآخرِ يوادونَ من حاد اللَّه ورسولَه** ﴾ (الآية: 21).

13- سورة النساء: قوله تعالى: ﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ الْكَافرين أَولياء**﴾ (الآية: 143).

14- سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ بطَانةً من دونكُم لاَ يأْلُونكُم خبالاً ودواْ ما عنتم قَد بدت الْبغضاء من أَفْواههِم وما تخفي صدورهم أَكْبر قَد بينا لَكُم الآيات إِن كُنتم تعقلُونَ** ﴾ (الآية: 118).

15- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿ **لَتجِدنَّ أَشد الناسِ عداوةً لِّلَّذين آمنواْ الْيهود والَّذين أَشركُواْ**﴾ (الآية: 84).

16- سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿ **ما يود الَّذين كَفَرواْ من أَهلِ الْكتابِ ولاَ الْمشرِكين أَن ينزلَ علَيكُم**﴾ (الآية: 104).

17- سورة البقرة: قوله تعالى:﴿ **ود كَثير من أَهلِ الْكتابِ لَو يردونكُم من بعد إِيمانِكُم**﴾ (الآية:108).

18- سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿ **ودت طَّآئفَةٌ من أَهلِ الْكتابِ**﴾ (الآية: 69).

19- سورة هود: قوله تعالى: ﴿ **ولاَ تركَنواْ إِلَى الَّذين ظَلَمواْ فَتمسكُم النار** ﴾ (الآية: 113).

20- سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿ **لاَّ يتخذ الْمؤمنونَ الْكَافرِين أَولياء**﴾ (الآية: 28).

21- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿ **ولَو كَانوا يؤمنونَ بالله والنبيِ**﴾ (الآية: 83).

22- سورة الحشر: قوله تعالى: ﴿ **أَلَم تر إِلَى الَّذين نافَقُوا يقُولُونَ لإِخوانِهم**﴾ (الآية: 11).

23- سورة النساء: قوله تعالى: ﴿ **بشرِ الْمنافقين بِأَنَّ لَهم عذَابا أَليما**﴾ (الآية: 137-138).

24- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿ **ترى كَثيرا منهم يتولَّونَ الَّذين كَفَرواْ**﴾ (الآية: 82).

25- سورة ا ادلة: قوله تعالى: ﴿ **أَلَم تر إِلَى الَّذين تولَّوا قَوما غَضب اللَّه** ﴾ (الآية: 14).

26- سورة النساء: قوله تعالى: ﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ الْكَافرِين أَولياء من دون الْمؤمنِين**﴾ (الآية: 143).

27- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿**واحفَظُواْ أَيمانكُم كَذَلك يبين اللّه لَكُم آياته لَعلَّكُم تشكُرونَ**﴾ (الآية: 91).

28- سورة فصلت: قوله تعالى: ﴿ **وقَيضنا لَهم قُرناء فَزينوا لَهم**﴾ (الآية: 24).

29- سورة الفرقان: قوله تعالى: ﴿ **ويوم يعض الظَّالم علَى يديه** ﴾ (الآية: 27).

30- سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿ **ربنا لاَ تزِغْ قُلُوبنا بعد إِذْ هديتنا**﴾ (الآية: 8).

31- سورة التوبة: قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آباؤكُم وأَبنآؤكُم**﴾ (الآية: 24).

32- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿ **سماعونَ للْكَذبِ أَكَّالُونَ للسحتِ**﴾ (الآية: 44).

33- سورة الممتحنة: قوله تعالى:﴿ **يا أَيها الَّذين آمنوا لَا تتخذُوا عدوي وعدوكُم أَولياء**﴾ (الآية:1).

34- سورة ا ادلة: قوله تعالى: ﴿ **لَا تجِد قَوما يؤمنونَ باللَّه والْيومِ الْآخرِ**﴾ (الآية: 21).

35- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿**والْمحصنات من الَّذين أُوتواْ الْكتاب**﴾ (الآية: 6).

36- سورة النساء: قوله تعالى: ﴿ **أَو ما ملَكَت أَيمانكُم**﴾ (الآية: 3).

37- سورة الروم: قوله تعالى: ﴿ **وجعلَ بينكُم مودةً ورحمةً**﴾ (الآية: 20).
38- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿ **الْيوم أُحلَّ لَكُم الطَّيبات**﴾ (الآية: 6).
39- سورة النحل: قوله تعالى: ﴿ **فَاسأَلُواْ أَهلَ الذِّكْرِ إِن كُنتم لاَ تعلَمونَ** ﴾ (الآية: 432).
40- سورة الممتحنة: قوله تعالى: ﴿ **لَا ينهاكُم اللَّه عنِ الَّذين لَم يقَاتلُوكُم في الدينِ**﴾ (الآية: 8).
41- سورة الفرقان: قوله تعالى: ﴿ **إِنْ هم إِلَّا كَالْأَنعامِ بلْ هم أَضلُّ سبيلًا**﴾ (الآية: 44).
42- سورة النحل: قوله تعالى: ﴿ **ثُم إِنَّ ربك للَّذين عملُواْ السوءَ بِجهالَة** ﴾ (الآية: 119).
43- سورة الزخرف: قوله تعالى: ﴿**إنا وجدنا آباءنا علَى أُمة** ﴾ (الآية: 22).
44- سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿**وإِذَا قيلَ لَهم اتبعوا ما أَنزلَ اللّه**﴾ (الآية: 169).
45- سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿**أُولَئك الَّذين اشتروا الضلاَلَةَ بالْهدى**﴾ (الآية: 15).
46- سورة النساء: قوله تعالى: ﴿**بشرِ الْمنافقين بِأَنَّ لَهم عذَابا أَليما**﴾ (الآية: 137).
47- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿ **لَتجدنَّ أَشد الناسِ عداوةً لِّلَّذين آمنواْ الْيهود**﴾ (الآية: 84).
48- سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿ **ما يود الَّذين كَفَرواْ من أَهلِ الْكتاب** ﴾ (الآية: 104).
49- سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يا أَهلَ الْكتابِ لم تصدونَ عن سبِيلِ اللّه**﴾ (الآية: 99).
50- سورة الحشر: قوله تعالى: ﴿ **فَاعتبِروا يا أُولي الْأَبصارِ** ﴾ (الآية: 2).
51- سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿ **قَد بدت الْبغضاء من أَفْواههِم وما تخفي صدورهم أَكْبر** ﴾ (الآية: 118).
52- سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ إِن تطيعواْ فَرِيقًا من الَّذين أُوتواْ الْكتاب**﴾ (الآية: 100).
53- سورة آل عمران: قوله تعالى:﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ بِطَانَةً من دونِكُم**﴾ (الآية:118).
54- سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿ **إِن تمسسكُم حسنةٌ تسؤهم وإِن تصبكُم سيئَةٌ يفْرحواْ بِها**﴾ (الآية: 120).
55- سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿ **ضربت علَيهِم الذِّلَّةُ أَين ما ثُقفُواْ إِلاَّ بحبلٍ من اللّه وحبلٍ من الناسِ وبآؤوا بغضبٍ من اللّه وضرِبت علَيهِم الْمسكَنَةُ ذَلكَ بِأَنَّهم كَانواْ يكْفُرونَ بِآيات اللّه**﴾ (الآية: 112).

56- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿ **ومن يتولَّهم منكُم فَإِنه منهم إِنَّ اللّه لاَ يهدي الْقَوم الظَّالمين**﴾ (الآية: 53).

57- سورة الشعراء: قوله تعالى: ﴿ **وسيعلَم الَّذين ظَلَموا أَي منقَلَب ينقَلبونَ**﴾ (الآية: 226).

58- سورة النور: قوله تعالى: ﴿**وَمن لَّم يجعلِ اللَّه لَه نورا فَما لَه من نور**﴾ (الآية: 39).

59- سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿**لاَ إِكْراه في الدينِ قَد تبين الرشد من الْغي** ﴾ (الآية: 255).

60- سورة ص: قوله تعالى: ﴿ **يَا داوود إِنا جعلْناك خليفَةً في الْأَرضِ فَاحكُم بين الناسِ بِالْحق ولَا تتبعِ الْهوى فَيضلَّك عن سبيلِ اللَّه**﴾ (الآية: 25).

61- سورة النحل: قوله تعالى: ﴿ **فَاسأَلُواْ أَهلَ الذِّكْرِ إِن كُنتم لاَ تعلَمونَ**﴾ (الآية: 43).

62- سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿ **فَويلٌ لِّلَّذين يكْتبونَ الْكتاب بِأَيديهِم ثُم يقُولُونَ هذَا من عند اللّه ليشترواْ به ثَمناً قَليلاً**﴾ (الآية: 78).

63- سورة التوبة: قوله تعالى: ﴿**يا أَيها الَّذين آمنواْ إِنَّ كَثيرا من الأَحبارِ والرهبان لَيأْكُلُونَ أَموالَ الناسِ بِالْباطلِ** ﴾ (الآية: 34).

64- سورة الأنعام: قوله تعالى: ﴿ **وأُوحي إِلَي هذَا الْقُرآنُ لأُنذركُم به**﴾ (الآية: 20).

65- سورة التوبة: قوله تعالى: ﴿ **قَاتلُواْ الَّذين لاَ يؤمنونَ باللّه ولاَ بِالْيومِ الآخرِ**﴾ (الآية: 29).

66- سورة الأنعام: قوله تعالى: ﴿ **ولاَ تقْربواْ مالَ الْيتيمِ إِلاَّ بِالَّتي هي أَحسن حتى يبلُغَ أَشده**﴾ (الآية: 153).

67- سورة آل عمران: قوله تعالى: ﴿ **ربنا لاَ تزِغْ قُلُوبنا بعد إِذْ هديتنا وهب لَنا من لَّدنك رحمةً إِنك أَنت الْوهاب**﴾ (الآية: 8).

68- سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿**والْمحصنات من الَّذين أُوتواْ الْكتاب من قَبلكُم**﴾ (الآية: 6).

69- سورة المعراج: قوله تعالى: ﴿**أَو ما ملَكَت أَيمانهم فَإِنهم غَير ملُومين**﴾ (الآية: 30).

ثانيا: الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في المخطوطة

1- حديث: (القابض على دينه، كالقابض على الحجر).

2- حديث: (ادوا تحابوا وتذهب الشحناء).

3- حديث: (كلكم راع وكل راع مسؤول عن راعيته).

4- حديث: (لا ترفع فيكم يهودية ولا نصرانية).

5- حديث: (لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر).

6- حديث: (إن الله لا ينتزع العلم إنتزاعا من الناس).

7- حديث: (اللحد لنا والشق لأهل الكتاب).

8- حديث: (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه).

9- حديث: (من ولى من أمور أمتي شيئا ثم لم يجتهد).

10- حديث: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة، ووزراء فجرة، وأمناء خونة، وقراء فسقة سمتهم سمة الرهبان وليس لهم رعبة أو قال رعة فيلبسهم الله فتنة غبراء مظلمة ينهكون ا وك اليهود في الظلم) رواه البزاز.

11- حديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع وروى ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب) رواه البخاري ومسلم.

ثالثا: أهم المصادر المعتمدة في هذه المخطوطة

1- البيان والتحصيل: لابن رشد القرطبي.

2- مدونة: الإمام مالك بن أنس.

3- الذخيرة: للإمام القرافي.

4- المستصفى: للإمام أبا حامد الغزالي.

5- العتبية أو المستخرجة: لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي.

6- المعونة: للقاضي عبد الوهاب البغدادي.

7- النوادر: لابن أبي زيد القيرواني.

8- الحكم: لابن عطاء الله.

9- تفسير ابن رشد القرطبي.

10- الجواهر الحسان لعبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي.

11- المقدمات لابن رشد القرطبي.

12- تفسير القرآن للقرطبي الجامع لأحكام القرآن.

لقد اعتمدت وضع جدل بقول الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، ومصادره، فهو لعمري تشريح دقيق اعتمدنا لإظهار بنائية النص لجعل الإفادة والرفادة منه أمرا ميسرا، ثم تزييل هذه المباحث بالتعريف بالمنهج المتبع في التحقيق.

وهو ما في رأي قد يرشد القارئ لشروط الصناعة والحرافة الكتابية، فلو جاز لي أن أضيف لما سبق من حرافية مبسطة، فقد يجد القارئ في الفصول والأبواب المشتقة ـذا الكتاب، عما آلت إليه كتاباتي السابقة في خصال موروث الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، فرسالة الغلائف أو ما سماها البعض برسالة في أهل الذمة، فقد استوقفني موضوعها الجدير بالاهتمام، حيث تم فيها إعادة صياغة فواصل نوازل سابقا ـا وعلى الخصوص (نازلة يهود توات) والتي ترتكز مفاصلها على الركائز التالية:

1- بناء الكنائس بعد شراء قطعة أرض من مسلم.

2- استعلاء اليهود على المسلمين.

3- الاختلاط بين بعض المسلمين والذميين

لقد تناول فقهاء المالكية هذه المواضيع كما تناولها غيرهم من المذاهب الأربعة، وكانت محصلة ذلك أعدادا وكتابة عددا كبيرا من الفتاوى الفقهية المتواجدة في كثير من ثنايا كتب النوازل كأحكام ابن سهيل، والمعيار المعرب للونشريسي وجامع الأحكام للبرزلي، والجواهر المختارة للزياني، والمعيار الجديد للوازني.

وقد غَرف الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من هذه ا ـموعة المشار إليها، والتي شملت مصادر موضوع المخطوطة، ولا يغيب عنه النقل الحاصل في بعض الأحيان، فقد كانت له المشاركة في الرأي الفقهي، بل مشاركته لم تتجاوز أحيانا تأييد وترجيح أراء العلماء والفقهاء السابقين من أعلام المالكية وبعض علماء الشافعية على حد سواء.

لقد ولد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ومسقط رأسه يعرف اضطرابات سياسية وتنازع بين الأمراء الزيانيين، وقادة دويلات المغرب العربي الكبير اشتد بينهم الصراع على الملك والسيطرة على الأرض، أفضت هذه الصراعات إلى هجرة العديد من العلماء، فالعلم لا يستقر ولا ينبت إلا إذا كانت الأرض الخصاب مبتلة صالحة للزرع والإنبات، فتلك الصراعات الداخلية والخارجية أعقبها أيضا عقم فكري وثقافي، وفتاوى كانت البلاد والعباد تستزاد منها وتستفاد من حل نوازلها الظاهرة.

ففي الداخل ثمة صراع حاد بين الأمراء والسلاطين الزيانيين على العرش والسلطنة والنفوذ، وبين الأعراش النافذة في الريف ذات الأطواق التأسيسية العصابية مع غيرها من القبائل ا ـاورة للمدينة وذات النفوذ السياسي لدى العرش الزياني.

إذ يرى ابن خلدون أن وظيفة العصبية تنشأ في بمبدأين أساسين هما:

الأول: ضرورة التجمع الإنساني، أي العيش للأفراد داخل مجتمع انطلاقا من شعور كل فرد بضرورة تعاونه مع الآخرين من بني جنسه لاقتضاء الحاجات الضرورية لبقائه لعجزه عن القيام بكل حاجاته منفردا.

الثاني: ضرورة وجود الوازع لأن الشر أو العدوان أمر طبيعي متأصل في النفس البشرية على اعتبار الإنسان مجبولا على الخير والشر معا.

أولا: أسلوبه العلمي وطرائق اعتماده في الكتابة:

تبرز السمة الأساسية الطاغية عليه في هذا الشأن في نزعه التعليمي القائم في جانب مهم منه على الحوار السقراطي الفنقلي إذ نجده يضمن كتاباته جملا دعائية اعتراضية، وقد ألفنا اعتماده أسلوب الفنقة (إن قلت قُلت) وهذا الأسلوب إنتحاه في جميع كتاباته، ويظهر أكثر عنده في المناظرات والحوارات، يعود هذا الأسلوب إلى تكوينه العلمي وميله المنطقي، والظروف التي أحيطا ا، وما كانت تنتاب ا تمع التواتي القصوري من نازعتين شدتا البلاد والعباد لمخالبِها.

أولها: تواجد العنصر اليهودي وخروجه عن المواثيق الشرعية. وثانيها: تشتت وتبعثر الساكنة في أحضان أرخبيل واسع الأطراف يحكمه قائد ولا ينتسب لوازع، مما أدى لاختلاف الرأي حول هاذين المحورين وانقسام العلماء والفقهاء والأعيان إلى زمر واشعاث متناثرة متفرقة، في مجالات السياسة الشرعية والعلمية والعلوم العقلية، والفتاوى، فأسلوبه بالمرة سهل ممتنع يصيب به الغرض، ولعلى أصيب أو أجزم أنه يكتب لفئتين في آن واحد وعن وعي وإدراك وثبات، علاوة على أنه يفعم ما يكتب بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية شريفة صحيحة وأبيات شعرية ذات الصلة بالموضوع سواء من أشعاره أو أشعار غيره.

كما يدعم ذلك نظما نثريا، وأمثال شعبية وعربية قديمة، علاوة على أنه يستشهد بحكايات ما مضى لعلماء عانوا مثله، ولأن النظم ملكة استغلها لبناء فروق آطام تآليفه في مختلف العلوم التي كتب فيها، فتجده ينحو دوما للتجديد والتجدد فيما يصدر عنه لمتابعته الأحداث.

فبسبب كثرة ترحال وتنقلاته بين أصقاع المعمورة علاوة على رحلاته الداخلية بقصور توات، تمكن من اكتساب تجارب ضمنها كتاباته، فلقد ترحل لما يزيد عن 7534 كلم خلال حياته كلها، مما مكنه من معاشرة الأقوام في كل الآطام التي حل ا، واكتساب التجارب المعيشية للناس في مختلف أوطا ا، لذلك أسلوبه متجدد معاشي، حياتي واقعي، تجاربي، وكذلك إقناعي حتى على مستوى عصرنا هذا، ومما زاده تلك الصفة الإقناعية للعقول اعتماده

على المنطق للإقناع، والأخذ بالنقل لإثبات الحجة، فقد أثر بأسلوبه على العديد من العلماء المشهود لهم بالعلمية، والتصانيف منهم على سبيل المثال الإمام السنوسي، شيخ العقائد، وابن غازي علامة المغرب والسيوطي إمام وحجة عصره.

فهو لا يفتأ يحافظ في خطاباته على استهلال ما يكتب بقوله دوما، (إعلم أو واعلم وفقنا الله لما يحبه ويرضاه).

وعلى العموم أسلوبه يمتاز بالجاذبية والاستشارة رغبة في الإجماع، لقوله عليه الصلاة والسلام (ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد)[1].

وبالتعاون على رد العدوان، لقيام الحياة الاجتماعية يتطلب ضرورة وجود وازع، والوازع عنده هو الحاكم بمقتضى الطبيعة البشرية هو الملك القاهر المتحكم على اعتبار أن للعصبية وظيفة سياسية هي الوصول للحكم والاحتفاظ به، فهذه العصبية لا تبقى على الدوام قوية صلبة، بل تنتهي و دم ليقوم على أنقاضها عصبية أخرى قوية، وذلك أمر طبيعي في حياة العصبيات، فكلما ضعفت العصبية واهتزت قو ا وتحللت علائقها واستكثرت ترفا، وتعلقا با د، والانغماس في الترف والنعيم أدت حالتها لا يارها وزوالها، فلا يزال الملك ملجأ للأمة إلى أن تنكسر صورة العصبية منها أو تفنى سائر عشائرها[2]. وفي الخارج كثرت الغارات والقرصنة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط من قبل الأوروبيين خاصة من مسيحي الأسبان والبرتغال، وعلى موانئ الإمارة الساحلية وكل سواحل بلدان المغرب الإسلامي الأخرى شرقا وغربا على الجهتين المتوسطية والأطلنطية.

فمنذ القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي أصبح الإقليم التواتي يتصدر مركزا هاما وأماميا في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية بما فيها الطريقة القادرية التي حل ا الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي للإقليم لأول مرة، فكانت أول طريقة صوفية تحفل ا قصور توات والتي لازالت تمثل الطريقة الثانية بعد الطريقة الطيبية الوزارية، ثم تأتي في المرتبة الثالثة الطريقة الموساوية، والطريقة التجانية في التربة الرابعة لمحدوديتها بمناطق قرارة.

وانتقل ذلك المد الديني والصوفي لإفريقيا الغربية ودائما عن طريق الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، فبعد استقرار المغيلي بتوات والتي قدمها في المرة الأولى سنة

1- الحديث رواه الطبراني في معجمه الكبير والصغير بسند وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد، رواه الطبري في الصغير.

2- مقدمة عبد الرحمان بن خلدون، الفصل السابع في أطوار الدولة واختلاف أحوالها باختلاف الأطوار.

877هـ. /1472م حيث كان عمره 44 سنة خلت، ثم جاءها مرة أخرى سنة 878هـ. /1473م، وهذه التواريخ تضبط جيدا حركاته داخل توات وخارجها.

ثانيا: مصادره العلمية والفكرية

تتجسد لنا المصادر التي يعتمدها ويستقي منها معلوماته، حيث يتم الاختيار بدقة متناهية بالغة الأهمية، فلا يعتمد إلا على موثوق مشهود له لا يأخذ بالآراء الارتجاحية، يعتمد دائما الآراء والأفكار الجماعية التي لا يختلف فيها إثنان، ويعتمد حصولها على الإجماع.

ودقة الاعتماد والاختيار، تجعله يقتطف من كل بستان زهرة، فلا ينحصر اعتماده على علماء وفقهاء المذهب المالكي، فقد نجده يعتمد على المرجوح في المذهب الشافعي، أو الحنفي، أو الحنبلي. وأذكر من المصادر التي قلما لا يكتب إلا مستصدرا منها أسراب فكره منها:

1- ***ففي ميدان البلاغة والأدب***: يأخذ من كتاب (أسرار البلاغة) للجرجاني.

2- ***وفي ميدان شروح القرآن الكريم***: يعتمد على (تفسير الكشاف) للزمخشري، و(تفسير الجواهر الحسان) لعبد الرحمان الثعالبي، وكتاب (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)، وتفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل أي القرآن) وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن).

3- ***وفي ميدان الفقه***: يأخذ كثيرا من كتاب (المدونة) للإمام مالك، والذخيرة (للإمام القرافي) و(المستخرجة أو العتبية) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي عتبة الأموي، ومن (المعونة) للقاضي عبد الوهاب البغدادي، ومن كتاب (النوادر) لابن حبيب، ومن كتاب (الحكم العطائية) للعلامة الصوفي بن عطاء الله السكندري.

4- ***وفي ميدان المنطق***: يأخذ عن: أبو حامد الغزالي (إحياء علوم الدين)، (والبيان والتحصيل) لابن رشد القرطبي، ومن كتاب (المقدمات) لابن رشد القرطبي.

5- ***وفي ميدان الأصول***: يأخذ من كتاب (المستصفى في الأول) لأبي حامد الغزالي.

6- ***وفي ميدان الشروح حول علم المنطق***: اعتمد كثيرا على (مفتاح العلوم) للشيخ أبو يعقوب يوسف السكاكي، ويأخذ من كتاب (تلخيص المفتاح والإيضاح) للقزويني، ومن (مختصر تلخيص المفتاح) للتفتازاني.

7- ***وفي ميدان الحديث النبوي الشريف***: نجده يعتمد على المتون المالكية في أغلب حالات الاستحضار، فقد اعتمد كتاب (موطأ مالك)، والبخاري، ومسلم، والجامع الصحيح للترميذي، وسنن ابن ماجة، وسنن أبي داوود، وسنن النسائي.

ولعل ما ينتاب القارئ وهو يتصفح مأثوره تتزاحم في مخيلته عديدات الأسئلة، أهمها من أين كان يجد الوقت الكافي للإطلاع على هذه الكتب كلها إذا ما نظرنا أن بعضها به 24 مجلد والحال أيضا كيف وقف بين السفر الاستطرادي والتعليم وتأليف هذه المتون واعتماد خطة القضاء والإمامة والإفتاء والتناظر والتحاور بين علماء زمانه، كذلك أعتقد أن هؤلاء يوسع الله لهم ويبارك في أعمارهم ويمد في أيامهم ولياليهم، فلا تقاس أعمارهم عدة وعددا بل بما خلفوا للبشرية من مأثور ورصائد علمية وفكرية.

ولكن ومن جهة ثانية ينتابنا شعور أن الرجل كان موهوبا، وواهبا عمره لطاعة المولى جل وعلى، فينتاب القارئ شعور بإخلاص الصحبة الله سبحانه وتعالى ولرسوله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فكتاباته تمثل صلةَ وصلٍ بين عالمٍ متفان يختصر الطريق للقصد، وبين متلق يتمتع بخلفية منطقية كما يحسبه، وحكمة، ومرجعية لغوية تنم عن مستوى عال لصاحبها. فإنك تستطيع إحصاء ترداده واعتماداته المرات لبعض الكلمات، لكنها لا تشعرك بالسأم، فهي موضعة بأحيازها مبنية شعوريا كقوالب من أسمنت فهي لتبريز المعاني، واستجلابا للاهتمام، واستفزازا للجدل، فهو دائما يعمل على شحذ الفكر، وتنشيط الذاكرة المتلقية بسبغيات اقترابية من محاصيل التدني، بصقل الملكة وإيقاظ الموهبة، لذلك نراه يعتمد على المنطق عند صياغة حججه، لأنه يعتبره أنشطاً للذهن خاصة عند التزاوج بين ثروته اللغوية العريضة، وعلميته الواسعة في مجالات عدة، فالمغيلي جمع فأوعى، وألف فوعى.

ثالثا: عقيدته واستشراقات تصوفه

يشير في مقدمة شرحه لكتابه التبيان في علم البيان عن نفسه، أنه أشعري، نسبة للإمام السني أبي الحسن الأشعري بن إسماعيل، بن إسحاق الأشعري، المزداد بالبصرة سنة 260هـ. / 874م، والإمام الأشعري كان تلميذا للإمام الجبائي المعتزلي لكن عند ما بلغ الأربعين سنة تحول لمذهب أهل السنة والجماعة بسبب نزاع بينه وبين شيخه والمعتزلة، وهذه صفة عامة على علماء الفقه والتفسير خاصة المالكين دائما يشيرون لعقيد م يقول عبد الواحد بن عاشر :

وبعد فالعون من الله ا يـ . ـد ∴ في نظم أبيات للأمى تفيد

في عقد الأشعري وفقه مالك ∴ وفي طريقة الجنيد السالك

رابعا: مذهبه الفقهي

أشار في غير ما مرة أن مذهبه مذهب الإمام مالك بن أنس لقد ناسب وتناسبت عرى هذا المذهب طبائع وعادات وتقاليد أهل الصحراء، فأبدوا عزما وحزما ورضي به،

بالإضافة إلى أن ملوك، وأمراء، وسلاطين الممالك الإسلامية خلال القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي، أبدوا الرضى بتعاليمه فظلوا يمكنون له، ويوسعون مدارس وزوايا اعتماده.

وفي غرب إفريقيا ومنذ عهد منسا موسى سنة 1301م إلى 1332م وكذلك في عهد منسا سليمان المتوفى سنة 1360م، والذي عرف عنه أنه يستجلب العلماء ويعظمهم خاصة فقهاء المذهب المالكي، فجاءه العلماء من كل حدب وصوب خاصة علماء المالكية لتتواصل بلادهم المغرب العربي الكبير مع بلاده عن طريق القوافل التجارية وبعثات العلماء والفقهاء فتوضدت العلائق بينهما.

فقد هاجر الكثير من علماء المالكية لإفريقيا الغربية وخاصة خلال القرن الخامس عشر ميلادي، فكان تأثيرهم بقدر تأثيرهم ببلاد المغرب العربي.

وتظهر لنا إحاطة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بالمذهب المالكي في مناظراته مع الإمام السنوسي المتوفى سنة 895هـ . 1490م، فبالإطلاع ودراسة تلك الرسائل الثلاث التي جمعت بينهما يظهر ذلك التعلق وتلك المكانة، والإحاطة العلمية والقدرة الفذة على الاستيعاب والإنتاج والغرف المتين من معائن المذهب المالكي وفطاحل علمائه أمثال ابن القاسم والإمام مالك.

وبحكم أن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ظل ينازع غيره من فقهاء وعلماء عصره حاول إصلاح الدين واستقامة الراعي والرعية، مما سهل عليه الاشتغال بالتأليف والتفسير، والحديث كمدرس وواعظ وإمام، ومؤلف، فكتاباته يطغى عليها الشاهد القرآني، وهذا طبيعي بالنسبة له، كما صاحب الآيي القرآنية وأحاديث نبوية شريفة موثوقة المصدر والراوي، ففي مجموع الأحاديث التي صاغها ضمن هذه المخطوطة، والبالغة أكثر من ستة عشر حديثا، وما يزيد عن خمسة وسبعين آية قرآنية، لكأنه في صلب النص يقدم الدرس بحدين حد شرح العلم اللساني، وحد يقوم على تفسير آيات القرآن الكريم، كما يعتمد على صيغة التصويب لبعض الآراء الواردة في النصوص التي يأخذ منها.

ويعمل على تصويب الشارد باعتماد بلاغة الكلمة النبوية، أي استحضار معاني الحديث الشريف واعتماد بلاغته وكلماته وصيغه وعباراته وفنياته الاستيحائية من نور الله لقوله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو الأوحى يوحي**﴾ [1]. هذا الطابع الشرعي الذي مزجه بعلوم البلاغة والبيان، والشعر، والنثر، والحكم أحيانا أخرى قل نظيره عند غيره من العلماء، خاصة علماء عصره.

1- سورة النجم، الآية 3و4.

خامسا: منهجيته التأليفية ومنهجه المعتمد

يعتمد في منهجيته ومنهجه البحثي على الطابع التعليمي الوعظى الإرشادي، بعباراته وأسلوبه، واختصاره، وأسلوب منهج وصف الحالة.

فكان مصدرا ذا قيمة علمية في وقت لم تظهر بعد فيه معالم الأخذ بالطرائق المنهجية الحديثة، فنجده سباقا في فن الهومشة، والمخيطة، وفن القميش، والتصدير، وفق المناهج المعتمد خلال القرن الثالث والرابع والخامس عشر ميلادي، أي ـميش المصدر داخل الصدر. فطرائق تصانيفه تكون على نحو مألوف نجده دائما (يتحافا الحشو مسائيا عند الشزر متهيبا من بعض السأم) إذا ناظر طارح في إطار أسلوب الفنقلة، وقد لا يكتفي بذلك بل بتجاوزه لملاحظات في شكل فوائد أو تنبيهات يبرز فيها رأيه معززا برأي غيره، مع أعطاء التمثيل، وسرد أحيانا لقصص رويت عليه.

كما نجده في هيكل التصنيف أو إطار المحاور الكبرى للمخطوط يرتب المواد في أبواب يتصرف فيها تصرف العارف الذي حذق صنعة لبوس العالم وأتقنها، فإذا ساق دعما لكتاباته حديثا أو آية، فإنك لا تكاد تلاحظ أ ـا أقحمت حشوا في غير موضعها، تسرى عليك سريان جدول به ماء بارد، فلا هي حشوا، ولا زيدت استطرادا.

ولعل منهجه في التدليل بالأحاديث والآيات القرآنية هو منهج غيره من معاصريه.

سادسا: المشارب الصوفية الاستشراقية لمحمد بن عبد الكريم المغيلي

على اعتبار أن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي صاحب مشرب صوفي سني، فلا هو من أهل الحلول والاتحاد، ولا من أهل البدع وعزلة الناس. فقد قال فيه ابن مريم المديوني إنه (متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين) شديد الإنكار على المبتدعة، فقد حاول الرد على المعتزلة في اعتقادا ـم الفاسدة، وقد تم تحقيق المخطوطة من قبالنا، حين لم يؤسس للفكر الإبداعي بقصور توات ذلك العهد وما بعده من عهود خلت خواليها وأسدلت مراويحها، ولم تدلج العقيدة، وتدجن، ليسيطر أصحاب الأسطرة والغرائبية محاولين دلج الدين بما ليس فيه معتمدين على العقل الصرف فأمخلوا محاولين تفريع الفروع من الأصول، ما دفعه لتشديد الإنكار على المبتدعة في زمان تمخيلت خوائل عرائن الطوائف، فنادى مستوحيا قوله:

مولاك لا تفتحه أبدا فإنـ . . ـا ∴ يقهقه الأعمى ويزداد عمـ . ـى

وكن على الصمت حريصا دائما ∴ فقلما يسلم مـ . ـن تكلمـ . ـا

وإن لا بد فاختـ . ـر محكمـ . ـا ∴ واخفض من الصوت للا تندما

يعتبر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي قادري الطريقة تلقاها عن سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وهي من بين الوصايا التي أعطاه إياها حين مفترقهما، يقول الشيخ سيد المختار، والشيخ محمد الكنتي عند تعرضه لذكر رجال السلسلة القادرية في كتابه[1] أنه أخذها عن السيوطي ثم الثعالبي، ولما ركب سفينة الشريعة وغاص في بحر الطريقة نادته الحقيقة الكاملة في أحشائه فلم يلبث أن لبى نداءها،ولازال مجتهدا حتى تمكن قدمه من مناهل الكمال وارتقى ذرى مقامات الرجال لينتقل من حال لحال. فأثنى عليه شيخه الثعالبي بما هو أهل له، وناهيك ا ولما آنس منه الرشد والخير تمت بينهما الصحبة فزوجه ابنته زينب، فانتقل ا لتلمسان ثم إلى قصور تيميمون بأولاد سعيد ونصحه بما يلي:

1- ألا يعاشر أهل سفاهة، ولا يستوطن مكان إهانة.
2- طلب منه الانتقال لقصور توات لأن ا اليهود عانوا فسادا طغوا وتجبروا وتكبروا واستكبروا وعتوا عتوا كبيرا.
3- أن ينقل الإسلام وتعاليمه لإفريقيا الغربية.
4- أن ينقل الطريقة القادرية للقصور التواتية ولإفريقيا الغربية إلباسها، أمرائها، وملوكها وسلاطينها وقوادها وعشائرهم، ومن لا يدين بالدين الإسلام، وسكان الأحراش.

فكان أول من نشرها بالسودان الغربي (بكانو، وقاو، وكاتسين، والنيجر ومالي) إن انتشار أفكار هذا العالم له صلة بالأدب الأندلسي والمغاربي الذي كانت ثقافة تمبكتو تتسرب جذورها العميقة فيه، فلقد بقيت مناطق شنقيط مركزا للتصوف بفضل جولات وفكر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وحين رحل أخذ شعلة نشرها تلاميذته منهم الشيخ أحمد الكنتي، والشيخ عمر ابنه.

1- ما هو علم التصوف:

يطلق على العلم والعمل، فلا تصوف بدون علم ولا علم بدون تصوف، به تعرف أحكام الله الظاهرة، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عبرة بفقه إلا بصحبة وصدق التوجه، لذلك قال الإمام مالك بن أنس (من تصوف ولم يتفقه فقد تزندقن ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق). وعلى هذا يجب معرفة هذا العلم.

2- مبادئ التصوف:

هناك مسائل يتوقف عليها علم التصوف لا يحصل إلا ا، كقول بعض الصوفية:

تخالَف الناس في الصوفي واختلفـ ـوا ∴ فيه فظنوه مشتقا من الصـ ـوف

1- الكواكب الوقادة في شرح الأوراد للشيخ سيد المختار الكنتي.

ولست أمنح هذا الإسم غير فتـ . ـى ∴ صفا فصوفي حتى سمى الصـ . وفي

ويقول آخر:

ليس الصـ . وف ترقعـ . . . . . ـة ∴ ولو بلاؤك إذا غنى المغنونـ . ـا
ولا صياح ولا رقص ولا طـ . رب ∴ ولا نعاس كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بـ . ـلا كـ . ـدر ∴ وتتبع الحق والقرآن والديـ . ـنا
وأن ترى خاشعـ . ـا الله مكتئبـ . ـا ∴ على ذنوبك طول الدهر محزونا

وقال البعض اشتق من الصوف لأنه زى أهله غالبا أثروه تواضعا وتقبلا من الدنيا واتباعا للسلف، أو لأ م يرون أنفسهم كصوفة ملقاة. ولأن هذا اللفظ مشتملِ على ثلاثة أحرف متقطعة، من ثلاث كلمات دالة على معاني ثلاثة هي:

أوصافه المختصة به (ص، و، ف).

فالصاد: من الصفاء، والواو: من (الوفاء)، والفاء من: الفَناء.

3- مجالات علم التصوف:

يبحث هذا العلم في ا المالات الرئيسية للروح، والقلب والعقل، والنفس، وفي علم العقائد، وفي ا المالات العلمية التحقيقية بالكتاب والسنة[1].

سابعا: مكانة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي العلمية

لقد كان رحمه الله حافظا، عالما، أخلاقيا ترجع إليه الفتوى أصوليا ماهرا، نظارا، فرضيا حسابا، محققا كبيرا، نقادا، معددا للمشاكل والصعوبات مشاركا في التفسير مشهودا له في الحديث وعلومه، مؤلفا قادرا نبيها عارفا بعلوم القراءات السبع، متضلعا في علم الأدب، صوفي المسلك متخلقا بخلق الصالحين، قال عنه صاحب كتاب فتح الشكور في معرفة أعلام التكرور (كان آية في تحقيق العلوم بإطلاعه المفرط، وباعه الطويل، في المنقول والمعقول، والسهر على تحصيل الفنون لا يجارى في علم الفقه).

وقال عنه: صاحب المرقاة (هو العالم العامل العلامة النحرير الفهامة ذو الخوارق المتواترة، والحقائق المتوافرة ذي الثبت والمهارة).

وقال فيه صاحب كتاب نيل الابتهاج في تطريز الديباج (خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة القدوة الصالح الفهامة السني أحد الأزكياء ممن له بسطة في العلم والفهم والتقدم متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين).

1- لمزيد أنظر كتابنا مدونة الفقه التصوفي، ج1، ص36، طبع دار القدس العربي، سنة 2012.

وقال فيه صاحب دوحة الناشر: (هو الشيخ المصدر الأوحد أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي).

وقال فيه الشيخ محمد الكنتي: (لقد كان الإمام شاعرا متفوها، وناثرا جل أشعاره في مسائل الأحكام والأمداح النبوية، والنفحات الصوفية، والحقائق الربانية).

ثامنا: التصدي للنوازل التي تترل بالناس

تعريف النازلة لغة: هي إسم من نزل يترل فهو الانحطاط والهبوط من علو، يقال نزل الرجل عن دابته، ونزل من الجبل والسطح، يقول صاحب (تاج العروس) هي الشديدة من نوازل الدهر، شدائده، تترل بالناس نسأل الله العافية.

واصطلاحا: عرفها ابن عبد البر الأندلسي في كتابه (جامع بيان العلوم وفضله)، إ ا اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص، في حين تترل النازلة فهي الأمر الذي يترل بالناس، ولم يصلوا فيه إلى دليل من الكتاب والسنة، فلقد قسم العلماء الشريعة إلى: عقائد، وعبادات، ومعلومات وسلوكات، وأخلاق، ومن هذه الأقسام قسم فقه النوازل.

ينتمي فقه النوازل إلى العلم النظري، وهو العلم الذي يحتاج إلى نظر وتدبر لمعرفة حقيقته كالنظر في المسائل الفقهية، وفي مقابل العلم النظري ثمة العلم الضروري الذي يعلمه كل أحد لا يحتاج لجهد فهو العلم البديهي، مثل معرفة النار حارة، وأن الثلج بارد، فالنازلة عبارة عن سؤال فتأتى الفتوى للإجابة عنه، وسميت فقهيا على أ ا (الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة التي تحتاج إلى حكم شرعي)، فللنازلة قيود تتأتى لتكون نازلة هي (الوقوع، والجدة، والشدة)، فعرفوا القيود على أ ا (ما استدعى حكما شرعيا من الوقائع المستجدة)، أو هي الوقائع المستجدة الملحة، لذلك يظهر الفرق بين (النوازل والوقائع، والمستجدات).

- فالنوازل: تطلق على المسائل الواقعة إذا كانت مستجدة وكانت ملحة تتطلب حكما شرعيا.
- والوقائع: تطلق على كل واقعة مستجدة كانت أو غير مستجدة فقد تستدعي حكما شرعيا وقد لا تستدعيه بمعنى أ ا قد تكون ملحة، وقد لا تكون.
- والمستجدات: تطلق على كل مسألة جديدة سواء كانت من قبيل الواقعة أو المقدرة، فقد تستدعي حكما شرعيا وقد لا تستدعيه فقد تكون ملحة وقد لا تكون.

ويعرف فقه النوازل على أنه: (معرفة الأحكام الشرعية للوقائع المستجدة الملحة).

وفي اصطلاح علماء المالكية خصوصا ببلاد الأندلس والمغرب العربي يعرف على أنه (القضايا والوقائع التي لم يفصل فيها القضاة طبقا للفقه الإسلامي)، وقال ابن عبد البر في باب اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص يشترط في النازلة ثلاثة شروط: هي (الجدة والوقوع، والشدة)، من ذلك وضع الفقهاء مراحل للنظر في النازلة الفقهية.

المرحلة الأولى: إعداد الفقهاء، وتأهيلهم.

المرحلة الثانية: التدريب على الإستنباط الفقهي.

المرحلة الثالثة: تصور المسألة النازلة ومعرفة حقيقتها.

المرحلة الرابعة: تقسيم المسألة النازلة وتجزئتها.

المرحلة الخامسة: مراجعة الدراسات السابقة في موضوع النازلة.

المرحلة السادسة: جمع الأدلة الشرعية المتعلقة بموضوع النازلة النقلية والعقلية.

المرحلة السابعة: تطبيق القواعد الأصولية على الأدلة المتعلقة بالنازلة.

المرحلة الثامنة: تطبيق قواعد الجمع والترجيح بين الأدلة المتعارضة.

المرحلة التاسعة: ملاحظة مآلات الفتوى وموافقتها لمقاصد الشريعة.

المرحلة العاشرة: التكييف الفقهي للنازلة.

المرحلة الحادية عشر: تحديد المناطق التي تطبق فيها أحكام فتوى النازلة.

ولمعرفة جودة الفتوى نتخذ ميزانا لذلك، فنطبق عليها المعايير التالية:

1- الكفاءة الفقهية.

2- مراعاة نظام الاستدلال.

3- مدى الفترة الزمنية للبحث.

4- معرفة الواقع التأثيري السلوكي.

تاسعا: فتواه في بناء الكنائس وتجديد ما خرب منها:

لقد عرفت المناطق التواتية خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي نزول وظهور عدة نوازل لم يعهدها ا تمع، ولم يقض في تأثيرها ونواتجها علماء المنطقة، إذ حاول اليهود بناء كنيسة لهم بعد شراء قطعة أرض من مسلم، وكان الموقع داخل النسيج العمراني للمسلمين، ولم يكونوا إذ ذاك يدفعون الجزية الشرعية، وما زاد من تفاقم الأوضاع، أن أصبح اليهود يتزوجون بالمسلمات وينجبون لهم أطفالا، مما سهل عليهم خرق النسيج العمراني والاجتماعي والبناء العصامي للمسلمين.

فلقد أجمع علماء الأمة على عدم تمكين الذمى من بناء دير أو كنيس في أرض العنوة التي قسموها لثلاثة أقسام.

1- الأرض الخراجية:

لقد اختلف العلماء في الأرض المفتوحة عنوة، يقول الإمام مالك لا تقسم الأرض المفتوحة عنوة خراجها في مصالح المسلمين من أرزاق المقاتلين، وبناء المساجد.

أما الإمام الشافعي فيرى تقسيم الأرض المفتوحة كما تقسم الغنائم.

أما الحنفية فيرون أن الإمام مخير بين التقسيم أو يضرب على أهلها الكفرة فيها خراجا، والخلاف عائد لقوله تعالى: ﴿**واعلَمواْ أَنما غَنمتم من شيءٍ فَأَنَّ للّه خمسه وللرسولِ ولذي الْقُربى والْيتامى والْمساكينِ وابنِ السبيَلِ**﴾ [1].

فعلماء توات عندما حلت م نازلة: بناء الكنائس، وعدم تأدية اليهود لحقوق الله (الجزية) وعدم الامتثال للأحكام الشرعية والاستعلاء على المسلمين، وملازمة غلائفهم، وعدم دفع الجزية لبيت المال.

واختلفوا في تفسير تأثير تلك النوازل كلها، وكل فهم الأمر المحدث بحسبه. فقد رأى فريقا أن نقاش وإثارة هذه القضايا يعد (تشغيبا)[2] مؤدي للفتنة والمشاحنة، والجدال العقيم فالفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

فقد أفتى الإمام أحمد بن محمد بن زكري التلمساني، لعدم هدم الكنائس المقامة، فقال (هدم الكنائس المسؤول عنها لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية على رأى المحققين في الفقه المالكي النازلين به في القضية، والتشغيل فيها من عدم التحقق في أصول المسائل العلمية فيغتر (المشغب) في المسألة بظاهر عموميات هي مخصوصة، والمطلقات من النصوص وهي مقيدات، على أن موضوعها إحداث الذمي كنيسة في بلاد الإسلام، وموضوع قضية التراع هدم ما وجد من الكنائس مبنيا محوزا بيد الذميين دهرا طويلا.

ويرى عبد الرحمان بن سعيد إذ يقول بعد البسملة والحمدلة يقول (لذا أخذ الناس ومفت عليه الأمصار والإعصار وعمل بذلك الخلف بعد السلف وهو عين ما أجابه الفقيه فوق هذا الكتاب وهو الحق وعليه العمل فلا ينبغي التتبع والتعمق، والتشديد (والتشغيب) على الناس فيما أقره العلماء.

ويرى الشيخ أبا القاسم العبدوسي، بتكفير من منح لهم الأرض لبناء الكنيسة.

1- سورة الأنفال، الآية: 42.

2- ربما هذه الجملة كان وقعها كالرصاصة في صدر ضعيف خرقته غدرا فقد تكررت استعمالا ا في الردود على النازلة من قبل أربعة فقهاء، في ذلك الزمان هم (الإمام عبد الله العصنوني، الإمام أحمد بن يحي الونشريسي والإمام السنوسي، وأخيرا الإمام عبد الرحمان بن سعيد).

وأفتى الإمام السنوسي: حيث يقول بعثتم لنا مكتوبا تستنهضون همم أهل العلم والإنصاف ويبينوا الحق فيها بيانا شافيا قاطعا لكل تخليط (وتشغيب) يرِ أهل الهوى والانحراف. كما أشار في معنى التشغيب القاضي عبد الله العصنوي حيث قال (لقد شغب علينا المغيلي وابنه سيدي محمد عبد الجبار تشغيبا كاد أن يوقع فتنة)، فكلمة التشغيب سادت واعتد بمدلولها على إثارة الفتن وخلق بواطن الصراعات بين المسلمين، وإلا كيف نحتسب تكرارها بين كبار علماء القرن التاسع، وكلها جاءت كردات فعل عن واقعة يهود توات.

فيرى الإمام صغار أهل الذمة وإعطاء الجزية لبيت المال وهم صاغرون، بأن يلزموا الذلة والمسكنة في أقوالهم وأفعالهم، وجميع أحوالهم ليكونوا تحت يد المسلمين. فقد كفر الإمام المغيلي كل من باع لهم الأرض، أو كرى بيته لقيام متعبدا م، أو أفتى ببناء كنيسة أو آواهم بعد النفرة عليهم، أو قبض منهم عطاء بدل إعطاء الجزية فقد بنى ذلك على ثلاثة أبنية.

الأول: كونه لا دين له

الثاني : كونه لا عقل له

الثالث: كونه عديم المروءة[1].

إن نازلة يهود توات أخذت حيزا، وأعقبت بذلك مشارب محاورية جعلت منها في عالم الفكر والفقه الرحى التي يدرس حولها كل تنظير خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي، كما أن دراسة التاريخ الوسيط لقصور توات ترتكز على أسس بنائية لا يمكن للباحث إلا أن يعتمدها وهي:

1- أخذ مصنفات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي كمرجع لدراسة العصر الوسط عند دراسة تاريخ توات الوسيط والحديث.
2- دراسة ما كتب عن نازلة يهود توات.
3- الوجود اليهودي بقصر تمنطيط، وقرارة عناصره فيما كتبه المعمرين حول المنطقة.

ومن العناصر الأساسية لتلك النازلة الإفتاء بعدم تولية اليهودي أمور المسلمين، فقد أفتى علماء الأندلس والمغرب بعدم تولية اليهودي أمور المسلمين.

ففي ميدان الصيرفة أفتى النووي بقوله: (لا يحل تولية يهودي ذلك ولا يجوز إبقاؤه فيها لقوله تعالى ﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ بِطَانةً من دونِكُم**﴾[2]، ولا يحل لمسلم

1- أنظر لمزيد من التفصيل كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ص135-136.
2- سورة الأنفال، الآية 118.

أن يوكل كافرا على سمسرة أو بيع أو شراء أو صيرفة لأن الله حقوق أوجب علينا القيام ا وحقوق الله تعالى لا يؤمن كافر عليها) فقد أمر عمر بن الخطاب أن لا يكونوا جذارين، ولا صيارفة (لأن الله تعالى أغنى المسلمين بالمسلمين).

وفي مسألة بناء الكنائس: يقول علماء المالكية في (الجواهر) إن كانوا في بلدة بناها المسلمون فلا يمكنون من بناء كنيسة، وكذلك لو ملكوا رقبة بلدة من بلادهم قهرا، وليس للإمام أن يقرها بل يجب نقض كنائسهم، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا تحدثوا كنيسة في الإسلام ولا يجدد ما ذهب منها).

الباب الثالث
تحليل وتقميش مخطوطة رسالة الغلائف

المحور الأول
صياغة وطرح أسئلة السائل لبناء عناصر المخطوط

بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والرسل* الحمد[1] لله الذي أنزل الكتاب[2] تبيانا[3]. لكل شيء وهدى ورحمة

---

*- لقد أضفت التصلية على النبي المختار رأيت ضرور ا أعتقد أن الناسخ حذفها من كل النسخ.

1- لقد بدأها بالحمد وهو الثناء الجميل على وجه التعظيم والتبجيل سواء أكان باللسان أو بالأركان، أو بالجنان لقوله (ص) (كل امرئ بدأ ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد الله فهو أبتر، وفي رواية أقطع، وفي رواية قليل البركة) فالثناء كالجنس جامع للحمد والذم لقوله (ص) (أنتم شهداء الله في أرضه فمن أثنيتم عليه بالخير وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه بالشر وجبت له النار) وهو بداية الصفحة الأولى من الرسالة بلفظ كاتبها.

2- المقصود بالكتاب القرآن الكريم هاهنا الذي جاء تبيانا لكل شيء وهدا ورحمة للمؤمنين فقد أشار للمؤمنين ولم يقل المسلمين مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **قَالَت الْأَعراب آمنا قُل لَم تؤمنوا ولَكن قُولُوا أَسلَمنا ولَما يدخلِ الْإِيمانُ في قُلُوبكُم**﴾ (سورة الحجرات:14)، وقال تعالى: ﴿**وأَنزلْنا إِلَيك الْكتاب بالْحق مصدِقًا لِّما بين يديهِ من الْكتاب ومهيمنا علَيه فَاحكُم بينهم بما أَنزلَ اللّهُ ولاَ تتبِع أَهواَءهم عما جاءك من الْحق لكُلٍّ جعلْنا منكُم شرعةً ومنهاجا**﴾ (سورة المائدة:48) فقد ركز فيها على تصديق ما أنزل من الكتب السماوية (التوراة، والإنجيل..إلخ) مهيمنا عليها بتساويها يزيد عليها هذا الكتاب مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية، فهو أقوى وأشمل أنزله على محمد رحمة للعالمين مساويا للكتب التي نزلت قبل القرآن الكريم، يقول الشعراء في وصف القرآن الكريم

كلام قديم لا يمـ ـل سماعـ ـه ∴ تتره عن قوله وفعل ونيـ ـ ـة
به اشتفى من كل داء ونوره ∴ دليل لقلبي عن جهلي وحيـ ـرتي
فيارب متعنى بسر حروفـ ـه ∴ ونور به قلبي وسمعي ومقلـ ـتي
وسهل على حفظه ثم درسه ∴ بجاه النبي والآل ثم الصحابـ ـة

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **ولَو جعلْناه قُرآنا أَعجميا لَّقَالُوا لَولَا فُصلَت آياته أَأَعجمي وعربي قُلْ هو للَّذين آمنوا هدى وشفَاء والَّذين لَا يؤمنونَ في آذَانِهِم وقْر وهو علَيهِم عمى أُولَئك ينادونَ من مكَان بعيد**﴾ (فصل: 44).

3- التبيان، من بان يبين تبيانا أي أوضح توضيحا واستبان استبانة.

للمؤمنين[1] ونصر الحق على الباطل وأظهر دين الإسلام على كل دين، والصلاة والسلام الإئتمان على النور المبين[2] محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين[3].

أما بعد: فيقول عبد الله تعالى محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني لطف الله به[4].

لقد سألني سائل[5] عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار[6] وعما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار[7]. ثم ورد على سؤال آخر فيما عليه يهود بعض الأقطار من منع الجزية[8] وإظهار العزة[9] بقوم كبار، ولما رأيت هكذا السؤال من المسائل ما أندرج

1- خص المؤمنين لأ ا تشمل المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات فقد جاء لجميع الخلق تبيانا وهدى ورحمة من جنه وأنسه قال تعالى: ﴿**وما خلَقْت الْجِن والْإِنس إِلَّا ليعبدون ما أُرِيد منهم من رزق وما أُرِيد أَن يطْعمون**﴾ (الطور: 56-57).

2- النور المبيَّن يقصَد به الرسول صلى الله عليه وسلم، نزل عليه الكتاب الذي فرق بين الحق والباطل، دحض فكر سابق وكل دين كان متعبدا من العرب فجاء محمد بالدين الجديد الذي محى كل عبادة كانت لغير الله تعالى.

3- هذه التوطئة صادرة عن الكاتب، كلما بدأت الكتابة يوطأ ذه الكلمات، وهي عاداته في كل بدأ كتاب منه.

4- حدد هنا نسبه ولقب عائلته داعيا المولى أن يلطف به ليتمكن من الاسترسال في تكملة ما هو بصدده ويملك القوة الكافية للرد على السائل.

5- لم يشر للسائل أ مه لم يظهره ولم يحدد مكان ولا رتبة السائل طالب أو عالم من داخل قصور توات أو من خارجها جنوبا من الإمارات الإفريقية أو بلد من البلاد الإسلامية التي كان يتردد عليها فاستبهم علينا شطر السؤال.

6- لقد أعطى الكثير من النساخ والكتاب هذا العنوان لهذه الرسالة، وهو خطأ.

7- كما شاهدت العديد من النسخ استصدرت ذا العنوان كما حال مخطوطة مكتبة سيدي ديدي، ومكتبة كوسام ومكتبة لمطارفة فقد أعطوا هذه العناوين لهذا المخطوطة والحال أ ا لا تدل على محتوى المخطوطة، ولا حتى على زما ا ومكان استصدارها، هذان السؤالان هما في الأصل عناوين الفصل الأول والثاني من مخطوطة (رسالة لكل مسلم ومسلمة) لمزيد من التوضيح أنظر كتابنا: مدونة نازلة يهود توات، ص121 و141، طبع دار القدس العربي بوهران سنة 2012.

8- استبيان توضيحي للفصل بين مضامين الأسئلة الثالثة، فالسؤالين السابقين أجاب عنهما في مخطوطة (رسالة لكل مسلم ومسلمة) والتي حققناها ضمن كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ص141. وهذا يدل على أن رسالة لكل مسلم ومسلمة كانت قد خطت قبل رسالة في الغلائف بحسب سياق السرد الانصافي المقدم.

9- من الأسباب الأساسية لتقدمه للرد على السؤال المطروح عليه منع دفع الجزية لبيت مال المسلمين من قبل اليهود وثانيا لبس الثياب الفاخرة وركوب الخيل والتعدي على المسلمين بمسامحة كبار ورؤساء القصور، وثالثا لما رأى في السؤال الأهمية التي تقضي الرد والبحث في الموضوع سارع للإجابة عن السؤال الجديد، ورابعا ضرر ونواتج معقبات السؤال لا تنطبق على القصور التواتية بل تعدت لأقطار، وإن لم يسميها ففي الظاهر خارجية.

أندرج فيه مقصد ذلك السائل[1] اقتصرت على تفصيل جوابه وإيضاحه ونصه بعد سطر افتتاحه[2]، ما تقولون[3] في مسألة قبائل في آخر الصحراء، حيث لا تنالهم أحكام الأمراء[4]. يتخذهم اليهود أخلاء[5].

1- نظرا لتعدد الأسئلة التي تطرح عليه من كل الجهات فإنه خص هذا السائل بالإجابة الاستفاضية عن سائله، سائله، وهذا ما يدل على اعتماده مرجعية لحل القضايا والنوازل التي تحل بالقوم، وتوحي بأنه كان متصدرا للفتوى أينما حل وارتحل.

2- هنا انتهى الاستطراد الذي وضعه الإمام المغيلي قبل البدء في طرح السؤال تفصيلا واستدلالا.

3- لقد بدأ طرح السؤال بما الموصولية والتي دخلت على الفعل المضارع ليستتر الموجه له السؤال والضمير المستتر (أنتم) تعظيما للتدليل على تمكن المسؤل على كنه الإجابة كأن السائل يدرك أن الجواب يأتي لا محالة عند السؤال، وإذ ثمة أربعة أفعال يشترط فيها أن تتقدمها (ما) فيه نفي سواء أكان باستخدام الحرف أو الاسم أو الفعل، أم النهي، أم الدعاء حتى تفيد الاستمرار واللزوم، أنظر لمزيد من التفاصيل كتاب النحو الواضح، ج1 للدكتور إبراهيم إبراهيم بركات، دار النشر للجامعات، مصر، ص310.

4- هنا يتضح الجواب الكافي عن تحديد العنوان مع اختلاف النساخ في تحديد عنوان المخطوطة فمن قائل بعنوان (ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار) وعنوان ثاني (ما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار)، وعنوان ثالث (رسالة في أهل الذمة)، ورابع تحت عنوان (رسالة الغلائف) مع الاختلاف في تحديد مصطلح كلمة (الغلائف) لقد تم توضيح ذلك في مقدمة الكتاب، تحدث عن القبائل في آخر الصحراء لا تنالهم أحكام الأمراء يتخذهم اليهود غلائف لهم وهنا الخلاف الكبير حول كلمة غلائف هل هي كلمة (يهودية) اعتمدت من الإمام لتداولها خلال ذلك الزمان إلا أن البعض يرى أن كلمة غلائف تعني أبناء اليهود الذين ولدوا من أمهات مسلمات اتخذهم اليهود جواسيس لهم ينقلون لهم أخبار المسلمين وتحركات القوافل التجارية، كما يمدو م بأسعار السلع ومخاصات الأسواق.

5- أشار إلى هؤلاء لا تنالهم أحكام الأمراء فيتخذهم اليهود أخلاء، وبما أن هذه الأماكن لم تكن تحت إمرة حاكم يغلب أو أمير يردع أو قاضيا يقضي أصبح الأمر كله سياسيوه، واقتصاديوه، وعلائقه، وعاداته ومقاليده بين يد أرباب القصور. فقد أشار محمد الخليفة بن سيد المختار الكنتي إلى البلاد السائبة أو السيبة فقال هي (الخالية من سلطان أو أمير أو رئس يدفع من ظلم الظلمة وجور الجورة، وعدوان العادين، وسطوة المعتدين) لمزيد من التفصل أنظر كتابنا أسئلة الحاج محمد بن أبي بكر أسكيا الكبير للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ط/ دار الغرب للطباعة والنشر وهران، ص36. يشير الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في جوابه عن السؤال الرابع ردا على أسئلة الأمير حيث يقول (إن الأرض كلها الله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. والتقوى مخالفة الهوى (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله). ثم أعلم إن البلاد ثلاثة أقسام:1- بلاد سائبة: ليس لها أمير بل مهملون فهؤلاء أجبرهم إلى مبايعتك، والدخول تحت طاعتك، فإن أبوا ذلك فأجبرهم عليه، بما استطعت لأنه لا يحل لطائفة من المسلمين أن يكونوا هملا، فجاهدهم بالسيف حتى يدخلوا كلهم تحت طاعتك على طاعة الله ورسوله وذلك من أفضل الجهاد. ويرى بعض العلماء إقامة الحدود في البلاد الذي لا يحكمه حاكم أو به سلطان فاقد للعدالة مضيع لأحكام الشريعة، في هذا الإطار سئل الشيخ حمى الله التشبيتي (عن جماعة المسلمين) هل تقوم مقام الحاكم في كل شيء ولو في الحدود فأجاب: الجماعة في البلد الذي لا حاكم فيه تقوم مقام الحاكم في الحدود وغيرها. أما محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري يقول: كل بلد لا سلطان فيه يقيم الحدود أو فيه سلطانا غير عادل فعدول الموضع أهل العلم يقومون مقام السلطان في جميع ذلك. لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ص14. يجدر بنا استحضار السؤال التالي وهو ما سبب اختلاف النساخ والكتاب اعتمادهم عديد العناوين لمخطوطة واحدة.؟ لماذا الاختلاف، أعتقد أن مرده لموقف الفقهاء من الحكم الشرعي في مسألة الكنائس بقصور توات، فمن كان مع البقاء لها والإبقاء على القديمة منها أو مع الأحداث للجديد بأمر الإمام تحاشى في رده كلمة الهدم فعوضها بالبنيان. ومن كان يرى تمرد أهل الذمة على الأحكام الشرعية بنقضهم عهد ذمتهم، استعمل كلمة الهدم والواسطة استعمال الفسحة بين الرأيين، فقد يكون ذلك للاجتهاد وقد يكون لغلق بابه. وإذا كانت كلمة الهدم تصريح واضح بموقف صارم حيال وجود الكنائس وهو رأي الإمام المغيلي، أما الفريق الآخر اعتمد كلمة البنيان لما في معناها الظاهر من الاعتدال.

ويلقبو ـم بالغلائف[1].

1- الغلاَئف جمع غُلُف والغلْف من الغلاف والتغليف تكون بضم الغين المعجمة وتسكين اللام. والغلْف: شجر ينمو تلقائيا فهي شجرة متصلة ببعضها البعض على شكل سلسلة، له أوراق خضراء دائرية الشكل، وقد تكون بيضاوية الشكل ومختلفة الأحجام، والإمام المغيلي يشير للغلائف على أ ـم حماة ورعاة قوم يعيشون أرضا سيبة لا يحكمهم حاكم ولا يدير أمورهم أمير أو سلطان اتخذهم اليهود أخلاء وأعوانا وإخوة وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿**يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ الْيهود والنصارى أَولياء بعضهم أَولياء بعضٍ**﴾ (المائدة: 51). وقد يكون جمع غُلْف مفرد، ويكون بمعنى القلوب المغلقة والملفوفة في أغلفتها، تسترها عن الفهم والتميز لوجود الغشاوات التي تحجب القلب الغلْف عن الوصول للحق، لقد قسم العلماء القلوب لستة أصناف:

أولا: القلوب البيضاء

وهما التي لا تفتح لصاحبها مساما ـا لغير الحق، إذا تعرضت للفتنة انكمشت مساما ـا لدرجة الغلاف.

- المطمأنة: قال تعالى﴿**الَّذين آمنواْ وتطْمئن قُلُوبهم بذكْر اللّه أَلاَ بذكْر اللّه تطْمئن الْقُلُوب** ﴾ (الرعد: 28).
- السليمة: قال تعالى ﴿**إِلَّا من أَتى اللَّه بقَلْب سَليمٍ**﴾ (الشعَراء: 89).
- الوجلة: قال تعالى ﴿**إِنَما الْمؤمنونَ الَّذين إِذَا ذُكَر اللّه وجلَت قُلُوبهم**﴾ (الأنفال: 2)
- المنيب: قال تعالى ﴿ **من خشي الرحمن بَالْغيب وجاء بقَلْب منيب** ﴾ (ق:33).
- المربوطة: قال تعالى ﴿**أَلَم يأْن للَّذين آمنواَ أَن تخَشع قُلُوبهمً لذكْرً اللَّه** ﴾ (الحديد: 15)
- المقشعرة اللينة: قال تعالى ﴿**اللَّه نزلَ أَحسن الْحديث كتابا متشَابها مثاني تقْشعر منه جلُود الَّذين يخشونَ ربهم ثُم تلين جلُودهم وقُلُوبهم إِلَى ذكْرِ اللَّه**﴾ (الزمر: 22)

ثانيا: القلوب السوداء

أصحاب هذه القلوب مساما ـا مفتوحة للفتن ومنها:

- القلوب الغليظة: قال تعالى ﴿ **ولَو كُنت فَظا غَليظَ الْقَلْب لاَنفَضواْ من حولك** ﴾ (**آل عمران**:159).
- **القلوب الزائغة**: **قال تعالى** ﴿**فَأَما الَّذين في قُلُوبهم زيغٌ** ﴾ (آلَ عمران: 7).
- القلوب الغافلة: قال تعالى ﴿**ولَا تطع من أَغْفَلْنا قَلْبَه عن ذكْرنا واتبع هواه وكَانَ أَمره فُرطًا**﴾ (الكهف: 28).
- القلوب القاسية: قال تعالى ﴿ **ثم قَست قُلُوبكُم من بعَد ذَلك** ﴾ (البقرة: 73).
- القلوب المغلفة: قال تعالى ﴿ **وقَالُواْ قُلُوبنا غُلْف** ﴾ (البقرة : 87).
- القلوب المريضة: قال تعالى ﴿ **فَيطْمع الَّذي في قَلْبه مرض** ﴾ (الأحزاب: 32).
- القلوب المختومة: قال تعالى ﴿ **وختم علَى سمَعه وقَلْبه** ﴾ (الجاثية: 22).
- القلوب المطبوعة: قال تعالى ﴿ **وقَولهم قُلُوبنا غُلْف بلْ طَبَع اللّه علَيها بكُفْرهم** ﴾ (النساء: 154).
- القلوب المكنونة: قال تعالى ﴿ **وقَالُواَ قُلُوبنا في أَكنة مما تدعونا إِلَيه وفَي آذَاننا وقْر**﴾ (فصلت: 4).
- القلوب العمى: قال تعالى ﴿ **فإِنها لَا تعمى الْأَبصار ولَكن تعمى الْقُلُوب الَّتي فيَ الصدور** ﴾ (الحج: 44).
- القلوب المقفلة: قال تعالى ﴿ **أَفَلَا يتدبرونَ الْقُرآنَ أَم علَى قُلُوب أَقْفَالُها** ﴾ (محمد: 25).
- القلوب اللاهية: قال تعالى ﴿ **ما يأْتيهم من ذكْرٍ من ربهًم محدث إِلَّا استمعوه وهم يلْعبونَ لَاهيةً قُلُوبهم** ﴾ (الأنبياء: 2، 3).
- القلوب الزانية: قال صلى الله عليه وسلم (العين تزني، والقلب يزني، فزنى العين النظر وزنى القلب التمني والفرج يصدق ما هنالك أو يكذب).

فيوارو م، ويترلو م في قصورهم[1] ويجعلون الموازين[2] والسكة[3] بأيديهم دون أمير يكون عليهم[4] فيغشون المسلمين[5] ويخونو م، ويحجزو م شيئهم[6] ويخدعو م. ومتى

1- القصر: جمعه قصور: ومصدره قصر، والقصر هوبيت فخم كبير عال يقال قصرك أن تفعل كذا، أي مستنبطا عنك، ونقول قصر يقصر قصرا، قيد الجمل ضيقه، وقصر الصلاة ترك جزء منها، قال تعالى ﴿ **إنها ترمي بشرر كَالْقَصر كَأَنه جمالَت صفْر** ﴾ (المرسلات: 33).

2- لقد كانتَ الموازين المعتمَدة قديماً تحدد بأشياء ثابتة مثل الحبوب فكان الشيكل يساوي ثقل (32 حبة شعير) وبمرور الزمن استخدمت أوزان من الحجارة كوحدات لوزن الأشياء، فتطورت وحلت محلها المعادن، فاستخدم الميزان ذي الكفتين، فقد كان التجار يحملونه معهم لخفته، كان من الجلد، أو من السعف، وجعلُ الموازين بين أيديهم يعني تحكمهم في التجارة البينية، والخارجية وتحكمهم في الأسعار، وفرض المعايير القومية للسلعة بحسب مبتغاهم والناس بذلك مجبرون على اعتماد ما فرضوه من (قيمة تجارية للبضائع، وقيم سوقية معيارية) وضرب الضريبة على النازل بالسوق، وحق المبيت وعلف الحيوانات.

3- السكة كلمة تحمل عدة معاني يقصد ا تلك القطع النقدية المعدنية على اختلاف أنواعها وأوزا ا ومعانيها التي يتعامل الناس ا في جميع مجالا م التجارية والمالية، وقد كانت تطلق على الختم في الدينار والدرهم بطابع حديد تنقش عليه كتابات أو صور، وقد تكون النقود، تم توسع مدلول الكلمة فأطلق على الوظيفة فرغم النص القرآني الصريح بإيفاء الكيل والميزان لقوله تعالى﴿**وأَوفُواْ الْكَيلَ والْميزانَ بالْقسط** ﴾ (الأنعام:152)، فقد ى تعالى عن التلاعب بالكيل والميزان لأنه الحق فقد دأب اليهودَ على تطفيف الكيل وخداع الميزان، ومع هذا وضع رؤساء القصور السكة، والميزان بين أيديهم قال تعالى: ﴿ **ويلٌ لِّلْمطَفِّفين الَّذين إِذَا اكْتالُواْ علَى الناسِ يستوفُونَ وإِذَا كَالُوهم أَو وزنوهم يخسرونَ أَلَا يظُن أُولَئك أَنهم مبعوثُونَ ليومٍ عظيمٍ يوم يقُوم الناس لربِّ الْعالَمين**﴾ (المطففين: 1 إلى 6). لمزيد من التوضيح، أنظر كتاباً الأنماط الإنتاجية التقليدية في القصور التواتية، ج5، ص68، طبع دار هومة، سنة 2008.

4- يعني أن القوم همل لا رادع ولا وازع عندهم أمرهم بين أيد رؤسائهم المتحكمون في دواليب الحياة لقد أشار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في رده على السؤال الرابع لمحمد اسقيا الكبير (إلى أن الأرض ثلاثة أقسام: سائبة: ايس لهم أمير بل مهملون فهؤلاء أجبهم إلى مبايعتك والدخول تحت طاعتك فإن أبوا أجبرهم ما استطعت لأنه لا يحل لطائفة من المسلمين أن يكونوا هملا فجاهرهم بالسيف ليدخلوا تحت طاعتك على طاعة الله ورسوله، وذلك من أفضل الجهاد) للمزيد، أنظر كتابنا أسئلة الحاج محمد أسكيا لمحمد بن عبد الكريم المغيلي، ص96. فقد أجاب محمد الخليفة الكنتي (أن الجماعة في البلد الذي لا حاكم فيه تقوم مقام الحاكم في الحدود وغيرها)، أنظر الرسالة الغلاوية، تحقيق د/حماة الله ولد سالم، ط1، 2007، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص201.

5- يغشون المسلمين جاءت بلفظ المسلمين لتشمل المسلم والمسلماني والمؤمن فقد كانوا ينقصون المكاييل يطففو ا ينقصون المعايير، يخلطون الفاسد بالصحيح يبيعون اللحوم الفائحة الكريهة لعدم وجود ثلاجات، وهذا كله لامتلاكهم المكاييل والموازين، والمعايير، فهم الذين يحددون قيمة البضائع كما يحددون قيم القيراط، فتحكموا في ناصية الخلق.

6- هذا في كل النسخ، وقد تكون بمعنى أشياءهم.

قام عليهم[1] أحد من المسلمين كفته غلائفهم[2] عنهم، وخاصمته دو م حتى لا يتوصل إلى أخذ الحق منهم.

والفَرض أن هؤلاء الغلائف جهال ليس عندهم علم، بموجب الجزية[3] وغير مدارين[4] من من حقوق المسلمين على اليهود[5]. فإذا قيل لهم إنكم أعنتم اليهود على التمرد ومنـ ـع الجزية[6]

1- يعني متى عارض عالم الفعل الصادر عن هؤلاء اليهود قام ضده حما م مدافعين مهادنين متطالبين الدفع عنهم وإعطائهم الحق فيما يفعلوا.

- لقد اختلف في تحديد المعنى المراد من كلمة غلائف، فالغلف بضم الغين، وتسكين اللام قال تعالى﴿**وَقَالُواْ قُلُوبنا غُلْف بل لَعنهم اللّه بكُفْرهم فَقَليلاً ما يؤمنونَ** ﴾ (البقرة:88). والغلف مأخوذة من الغلاف والتغليف، وثمة غلف بسَكونَ اللام وغلف بضمه مثل كتاب وكتب فالقلوب الغلف المغلقة وفيها من العلم ما يكفيها فإ م يقولون إننا لسنا في حاجة إلى كلام الرسل أو قلوبنا غلف أي مغلفة ومطبوع عليها أي أن الله طبع قلو م وختم عليها حتى لا ينفذ إليها شعاع من الهداية عن أبي عبد الله النعمان بن المنذر رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات قد لا يعلمهن كثير من الناس، فمن إتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، إلا وإن حمى الله محارمه، إلا وإن في الجسد مضعة إذا صلحت صلح سائر الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) رواه البخاري ومسلم.

3- ما يتحاكمون إليه مقتول بجهالة لا يعرف من الدين حتى حقوق وواجبات ما فرض عليه من الجزية الشرعية يقول الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في رسالته لكل مسلم ومسلمة ما نصه (عن تصريف الجزية وعمن تجب ومقاديرها فتصرف مصرف الفيء وسيرة أيمة العدل في صرفه، أن يبدأ بسد ما لا بد من سده من حصن وسلاح وغيره، لمزيد من التفصيل أنظر: مدونة نازلة يهود توات للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، تحقيق أ.مبروك مقدم، طبع دار القدس العربي، 2011، ص66.

وقد استفاض في شرحها الشيخ ابن قيم الجوزية في باب الجزية مستدلا بالآية القرآنية، قوله تعالى ﴿**قَاتلُواْ الّذين لاَ يؤمنونَ باللّه ولاَ بالْيوم الآخر ولاَ يحرمونَ ما حرم اللّه ورسولُه ولاَ يدينونَ دين الْحق من الّذين أُوتواْ الْكتاب َحتىَ يعطُواْ الْجزيةَ عن يد وهم صاغرونَ**﴾ (التوبة: 29)، فالجزية في اللغة مشتقة من مادة (جزى) تقول العرَب جزى يجزي إذا كافأ عما أسدي إليه، والجزية مشتق من وزن فعلة (فعل مرة) من ا ازاة بمعنى أعطوها جزاء ما منحوا من الأمن على أرواحهم وأموالهم وعيالهم قال ابن المطرز بل هي من الأجزاء لأ ا تجزى عن الذمي، للمزيد أنظر الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص114.

4- لقد كتب في النسخة ج (غير مدا) وهو نقص حاصل من الناسخ، والصحيح ما ثبت في –أ–

5- يقصد بالحقوق التي على اليهود نحو المسلمين دفع مقادير الجزية على المستطاع كل سنة.

6- على تمردهم ومجاهر م بالعداء والاعتداء ومنعهم دفع الجزية لبيت مال المسلمين لأ م يدفعون رشا لمن يحميهم ويزود عنهم، فطغوا واعتلوا وتجبروا واستحكموا في دواليب الحياة بفعل الدعم والمساندة لهم من الغلائف.

وإذاية المسلمين[1]، يقولون على هذا أدركنا أبائنا وعليه أدرك آباؤنا آباءهم، ولم نسمع[2] قط من أنكر ذلك ولا من غيركم من الفقهاء[3]. ونحن إن قهرنا اليهود[4] يرحلوا عنا إلى من يحميهم[5]
يحميهم[5]

1- إذاية المسلمين: تعددت الإذاية في المال، والعرض، والتجارة، والجورة، والحاصل استفحل الضرر وعم البلاء على الضرع والزرع، تجدني بين مفصلتين دائما يشير الإمام المغيلي لكلمة مسلمين بدل المؤمنين وأعتقد أن الهدف واضح منه مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فقد تعم لأن ا تمع هجين من القبائل هجين من المؤمنين والمسلمين والمسلمانيين (اليهود الذين دخلوا في الإسلام) فعندما تعددت النفرات من جند الإمام المغيلي عليهم وكان كل مرة يجليهم من القصور كثيرهم أسلم وتخلى عن دياناته اليهودية، وخاصة أولائك الذين تزوجوا من مسلمات اشترط عليهم الدخول في الإسلام.

2- لقد كتبت في النسخة ج (لم يسمع) بخلاف باقي النسخ.

3- من الأسباب والدواعي الأساسية في استصدار هذه الرسالة الخلافات القائمة في ا تمع التواتي القصوري الواحي، فقد صنف الإمام علماء عصره بعلماء السوء، لمساير م ربابية المال والتجارة في استصدار الأحكام فثلاثية التسلط تكونت من (رؤساء القصور، الغلائف، العلماء) الذين اعتبرهم تصنيفا علماء السوء فوضعهم ضمن المهمات التي يخوضها لاستقامة إعوجاجات ا تمع التواتي برمته، فالعلاقة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة، فعلماء الدنيا علماء السوء الذي قصدهم من العلم التحكم بالدنيا وزخارفها وزينتها، والتواصل مع قرباء الجاه والمترلة. روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (العلم علمان علم على اللسان فذاك حجة الله تعالى على خلقه، وعلم في القلب فذاك العلم النافع) للمزيد، أنظر أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص4، فعلماء السوء هم الذين يفقهون معاني كتاب الله ويعلمون حكمه في المسائل التي يفتون أو يقضون فيها، ولكنهم يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما كان يفعل علماء أهل الكتاب وهم أخطر على الإسلام والمسلمين للأسباب التالية:

- لقدرا م على إظهار الحق في صورة الباطل
- لتمكنهم من عسلوة ومداهنة الفكر فينطلي على ضعفاء الأمة فيتبعونه ويعملون به.

4- يعنون بقهر اليهود ما كان يتشدق به مناصريهم ومحاميهم، فانتزاع من بين أيديهم المزيا المسيطرين عليها والتي اشترط أن تكون للمسلمين لأ م أهل الأرض وقاد ا، فالسائل ينقل وضعا سائدا فقد تطاول اليهود وقهروا المسلمين بسلوكهم مسالك الخزي، وبالأحرى الكذب والمشاككة وهي السمة العامة فيهم فهم يخافون من طردهم فتذهب المادة ويضعف سلطا م.

5- إن خوف رؤساء القصور على رحيل اليهود من ديارهم وقصورهم مرده ما كانوا يحصلون عليه من من عطايا وهدايا ورشا. مما مكن اليهود من امتلاك زمام الأمر والتحكم في دواليب الحياة فقد أفتى الإمام العصنوني قاضي قضاء تمنطيط بعدم التعرض لهم لأن بيدهم المال والتجارة والاقتصاد وخروجهم يضر بمصالح المسلمين فقد راسل علماء عصره حول نازلة يهود توات إذ يقول (لقد شغب علينا فيها المغيلي وولده سيدي عبد الجبار تشغيبا كاد أن يوقع فتنة). للمزيد، أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ج2، ص209، طبع دار القدس العربي، 2011، فقد إنتاب رؤساء القصور مكيدة وتدبيرا خفيا لليهود وغلائفهم لحمايتهم والزود عنهم ظانين أن خروجهم من القصور التواتية يضعهم في يد من هو أحسن مترلة منهم، فتتقوى م شكو م وعصيبتهم فقد يترل بنا مالا طاقة لنا به، لذلك إبقاؤهم تحت أيدينا نفعا لنا ومسرة لهم.

المعزة وتتعطل أسواقنا[1] وكله من كيد الطائفة الملعونة[2]. أن دخلوا بينهم بالتخريب، والتحزيب حتى صاروا يتنافسون في أمرهم ويرى من جعلوه غليفة أنه في غاية الشدة وحماية الجانب، إذ لو لم يكن كذلك لم تأويه اليهود فمن يتولهم ويقرب عنهم يقولون له في حل عنك إلى من هو أحمى منك وامنع فلا يريد ذلك، وحتى قطع اليهود لعنهم الله أن هؤلاء الغلفاء لا يسلمو م، واطلعوا منهم على حرص شديد في جانبهم الخسيس لأغراض خسيسة يطول وصفها بل نتره عنها أسماعكم طغوا وتكبروا وأنفوا من ذكر الجزية، واستهزؤوا بالمسلمين وصاروا يتمردون على الأحكام، ويتقولون في فقهاء الإسلام ويترلون بالزنانير، ويتزنون بالزي الرفيع، ويتخذون الرقيق، ويظهرون ما يشاءون[3] من شعائرهم[4] وآلات لهم، ويرفعون أصوا م بذلك في أعيادهم وأفراحهم ويحدثون الكنائس[5]. حيث شاءوا بين دور المسلمين[6] ويرفعون أصوا م بالقراءة، وغيرها متى شاء[7] وإحداث الكنيسة اتخذوا المسلمين لبنائها حرفة فيبنون لهم على وفق مرادهم،

1- فامتلاكهم السكة والموازين جعل منهم قوة اقتصادية، ومالية وتقديرية لمعايير التبادل التجاري، وقوة أساسية في تصريف واستقبال القوافل القادمة للمنطقة.

2- اية الوجه الأول في النسخة أ وب يعني اليهود.

3- لقد كتبت في ج و ب ما شاء وهو خطأ من الناسخ بخلاف –أ–.

4- كتبت من شعارهم في أ و ج والأصح حسب سياق المعنى من شعائرهم.

5- سبب خلاف الإمام المغيلي مع الإمام العصنوني شراء اليهود (لقطعة أرض وبدأ بناء كنيس ا داخل النسيج النسيج العمراني، فجمع الإمام أتباعه بعد أن ذهب للعصنوني وطلب منه منعهم من إكمال البناء، فهاجمها أتباعه وهدموا ما بنى منها، لقد أجمع العلماء على عدم جواز بناء الكنائس في أرض العنوة، فقد قسم الأرض: إلى أرض الخراجية؛ وهي ما فتحت عنوة ولم تقسم ولم يجل عنها أصحا ا خوفا، وما صولحوا عليها على أ ا لنا ونقرها معهم بالخراج لأن غير السواد لإخراج فيه. ثانيا: الأرض المفتوحة: اختلف العلماء فيها يقول الإمام مالك لا تقسم الأرض وتكون وقفا يصرف خراجها في مصالح المسلمين من أرزاق المقاتلين، وبناء المساجد، ويقول الإمام الشافعي الأرض المفتوحة تقسم كما تقسم الغنائم يعني خمسة أقسام. ويرى الإمام أبو حنيفة: الإمام مخير بين التقسيم على المسلمين أو يضرب على أهلها الكفرة فيها خراجا، والخلاف يرجع إلى تأويل قوله تعالى: ﴿ **واعلَموا أنما غَنمتم من شيء فَأَنَّ لله خمسه وللرسول ولذي الْقُربى والْيتامى والْمساكين وابن السبيل**﴾ (الأنفال:41). ثالثا: الأرض العشرية ما أسلم عليها أهلها، وما أحياه المسلمين واختطوه وما صولح أهلها على أ ا لهم بخراج يضرب ليهم لقوله (ص) (من أحيا أرضا موات فهي له). رابعا: الأرض العنوية: هي التي فتحت عنوة وقسمت، والأرض المملوكة لأهلها لا خراج فيها. خامسا: الأرض السائبة: هي الأرض التي لا مالك لها (أرض البور) (والرق) عندنا بقصور توات.

6- لقد اختلف العلماء حول بناء الكنائس ضمن النسيج العمراني للمسلمين فقال البعض ماكان قديما يترك شرط تضمنه كتاب عهدهم وآخرون يرون هدمها وخاصة الجديد المبني حتى ولو أعطوا موثقا عليه وهذا رأي الإمام المغيلي وأكبر من ذلك يطلب إلغاء الحكم الصادر من الإمام في هذا الموضوع.

7- متى (شاء) الأصح متى شاؤا كما في النسخة أ و ب فلقد اعتمد الإمام المغيلي جملة من الأحاديث النبوية الشريفة ليبنى عليها فتواه هذه منها قوله عليه الصلاة والسلام (لا ترفع فيكم يهودية ولا نصرانية) وقوله (ص) (لا تكون قبلتان في بلدة واحدة) الحديث رواه أبو داود ضمنه الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة

ويتترهون عندما يتناولوا خدمة الطين بأيديهم مع وجود ضعفاء المسلمين وشرارهم ويظهرون الترفع والتكبر عليهم، ومن جملة ما صرحوا به أن يقولوا العرب بنو أمة أمنا، ونحن خير منهم في قوة الدين لأ م يقتلون النفوس[1] ونحن لا نقتلها إلى غير ذلك من العظائم التي ارتكبوها.

وبالجملة فقد جاوزوا الحق ونبذوا العهدان كان لهم عهد، (فهل يجوز لغلائفهم إقرارهم على هذا الفساد وإعانتهم عليه أولا يحل لهم ذلك، ويجب عليهم التوبة والاستغفار والتبرؤ من هؤلاء الكفـار لأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿**ومن يتولّهم منكُم فَإنه منهم**﴾[2] وهل يجوز سبي هؤلاء اليهود، وسفك دمائهم، ويكون قتالهم جهـادا حتى يؤدوا الجزيـة[3] كما قال تعالى، وينقادوا لأمر الشرع العزيز، ويلزموا الذل والصغار[4]؟ أم لا يجوز ذلك ويتركون على ماهم عليه، وهل دم تلك الكنائس التي بنوها بين دور المسلمين أو تترك[5] على حالها كما أفتاهم بعض قضاة

(فلا يحل إحداث كنيسة في شيء من بلاد المسلمين، ولا إقامة بيت لصا م أو شيء من ضلالتهم، ولو أعطوا على ذلك ملء الأرض ذهبا) وكانت الأرض التي أرادوا أن يفعلوا فيها ذلك ملكا لهم بشراء أو هيبة أو غيرهما، وإن إذن لهم سلطان أو قاض أو غيرهما من ولاة الأمر، وجب نقض إذنه وهدم مابنوا) لمزيد من التوضح أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، مرجع سابق، ص149.

1- يشير اليهودي لقتل جاليتهم من قبل المسلمين، مع أن سبب الحوادث وتعاظمها يرجع للأحداث والمحدثات التي ساقوها ضمن ا تمع والتي سبقت الإشارة لها فلا يقتل أحد دون ارتكاب ما هو أكبر منه جرما.

2- سورة المائدة، الآية 51.

3- الجزية: هي قدر من المال يدفعه الذمي القادر على القتال من المسيحيين واليهود (أهل الذمة) في بلاد الإسلام مقابل حمايتهم على أنفسهم وأموالهم وأبنائهم، ونسائهم، فإذا تم الاعتداء عليهم تدفع عنهم جماعة المسلمين يعفى منها المسلم، يقول نبيل لوقابياوي: فرضت الجزية على غير المسلمين في الدولة الإسلامية بموجب عقود الأمان التي وقعت معهم فهي ضريبة الدفاع عنهم مقابل حمايتهم من أي اعتداء خارجي، فلم تكن الجزية مستحدثة من طرف الإسلام، فقد كان اليونانيون القدماء يفرضو ا على شعوب سواحل آسيا لحمايتهم من هجمات الفينيقيين وعرفت باسم ضريبة الرؤوس في القرن الخامس عشر ميلادي.

4- يرى الإمام محمد بن عبد الكريم الصغار على حسب ما عاشه بقصور تمنطيط فيقول (وأما صغارهم فحاصله أن يلزم الذلة والمسكنة في أقوالهم وأفعالهم، وجميع أحوالهم، حتى يكونوا بذلك تحت قدم كل مسلم ومسلمة وحر وحرة وعبد وآمة، وأول ما يحتفظ به عليهم في دينهم بأن يدرسوا جميع ما خالف الشريعة المحمدية حتى لا يظهر أحد من المسلمين لأن الرسالة بالدين والجهاد على الدين. أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات طبع دار القدم 2012، ص146.

5- لقد كفر الإمام المغيلي من يتعامل مع اليهود بيعا وشراء ومعاملة حيث يقول:

إذا قرب الإنسان أخيار قومـ . . ـه ∴ وأعرض عن أشرارهم فهو صالـ . ح
وإذا قرب الإنسان أشار قومـ . ـه ∴ وأعرض عن أخيارهم فهو طالـ . ح
وكل امرئ بنبيك عنـ . ـه قرينـ . ـه ∴ وذلك أمر في البرية واضـ . . ـح

والحاصل أنه لا يقرب كافر من نفسه أو عياله أو يستعمله في أعماله ويجعل بيده شيئا من ماله، إلا من لا دين له، ولا عقل، ولا مروءة، ومن يفعل ذلك لا دين له، وبيان ذلك بالأدلة العقلية

بلدهم[1]، وهل ما جعله لهم هذا المفتي هذا الذي[2] من الرخصة في رفع الأصوات بالقراءة والآلات، وأنواع الضلالات[3]، فبينوا لنا سيدي جميع ذلك مع ما يجب عليهم من الفروض والشروط، ومن يتولى الأخذ منهم، والغرض أنار الله بأنوار معارفكم ظلم[4] الإشكال ونصيبكم الهدى من الضلال، وأنا لكم ثوابه فوق الأمال؟ إيضاح ذلك وبسطه بحيث ينتفى عنه تحريف الغالين وانتجار المضلين، وتأويل الجاهلين[5] لتشفوا بذلك صدور قوم مؤمنين وتغيظوا به[6] المنافقين الكافرين والسلام عليكم ورحمة الله)[7].

والشرعية، وذلك أن الله ركّب في طبع كل إنسان أن لا يرضى لأحد من عبيده أن يقرب من أعدائه ولا أن يقاطع حبيبا من أحبابه، كائنا من كان إلى أن يقول:

حبيـ ـبـ ـي من يعادي من أعـ ـادي ∴ ويشفي ما بقلبي في الأعادي

ويعلى رأسي بين البـ ـراي ـ ـ ـ ـا ∴ ويفنى هواه في مـ ـ ـرادي

فكل مؤمن حقيقي لا بد أن يكون شديدا على الكفار رحيما بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ الْيهود والنصارى أَولياء بعضهم أَولياء بعضٍ** ﴾ (المائدة:51) لمزيد من التفصل، أنظر كتابنا: مدونة نازلة يهود توات طبع دار القدس العربي 2012، ص124-125-134-135.

ثم استزاد على ذلك ببيان كونه لا عقل له حيث يقول (إن عقل المرء أن يقرب من أبواب منافعه، ويبعد من أبواب مضاره، فقد ركب الله هذا المعنى حتى في البهائم وقد علم كل ذي عقل أن من أعظم منفعته أحبابه ومن أعظم أبواب مضرته أعداءه، فعلى كل عاقل أن يقرب من أحبابه، وأن يبعد عنه أعداءه بقدر طاقته وذلك بين لا يخفى على أحد (ومن خفي هذا عنه فالحمار أعقل منه)، قال تعالى:﴿ **لَتجدنَّ أَشد الناسِ عداوةً لِّلَّذين آمنواْ الْيهود والَّذين أَشركُواْ**﴾ (المائدة:82).

1- أشار لبعض الفتاوى الصادرة عن بعض القضاة القاضية بالسماح لليهود ببناء الكنائس، واتخاذ اللباس، والتزين بالرفيع منها، وضرب الدفوف، والنواقيس وكلها مخالفة للأحكام حسب رأي الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، فهو يردها على أصحا ا، والهدف الإيضاحي ظاهر في قوله: بعض قضاة بلدهم ولم يقل بلدا م ما يوحي بأن القليل متعهد بذلك، والمكان الذي صدرت منه تلك الفتوى ضيق، اية الوجه الثالث، ص2.

2- هناك فراغ في كل النسخ أ و ب و ج، محو غير واضح (سواد) على الصفحة.

3- اعتمد الإمام المغيلي ما جاء في رسالة عبد الرحمان بن غنم التي بعث ا لسيدنا عمر رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام رسالة طويلة، أنظرها بكتابنا مدونة نازلة يهود توات، طبع دار القدس، 2011، ص151. هنا حمل السائل بعضا من عناصر أسئلته فطلب البيان فيها.

4- عبد الرحمان بن غنم الأشعري إمام أهل فلسطين صاحب معاذ بن جبل رضي الله عنه بعثه عمر بن الخطاب للشام اختلف في صحبته قال عنه أبو مسهر هو رأس التابعين كان بفلسطين، وقيل نفقه به عامة التابعين بالشام توفي سنة 78هـ. /697م.

5- هناك جملة غير مفهومة في كل النسخ التي عندنا.

6- ثمة محو لم نستطع استدراكه في كل النسخ بين أيدينا من نسخ

7- كل ما سبق كان عبارة عن أسئلة متضمنة للمخطوطة من طرف الكاتب إلا أ ا مبهمة المكان والزمان، وثالثا تحديد الفئة أو الجهة التي طرحت السؤال، فلم يظهر من خلال متابعة السرد، هل كانت من جماعة معينة أو من جماعة من الطلاب، أو أحد طلابه، أو صدرت من جماعة لم يعجبها وضع هذه الفئة وما أصبحت تلوح به من أفعال غير معتادة، أو صدر السؤال من مجموعة من

الفصل الأول

في مسألة قبائل بآخر الصحراء لا تنالهم أحكام الأمراء

في قوله ما تقولون في مسألة قبائل في آخر الصحراء حيث لا تنالهم أحكام الأمراء إلى قوله حتى لا يتوصل إلى أخذ الحق منهم[1]. فأقـ ـول والله الموفـ ـق للصواب[2]

﴿**وما يذَّكَّر إلاَّ أُولُواْ الألْباب**﴾[3] سورة آل عمران. كل جنس إلى جنسه ألف[4] كما قال تعالى: ﴿**الْخبِيثَات للْخبِيثين والْخبِيثُونَ للْخبِيثَات والطَّيبات**

العلماء كل هذه الأسئلة لا يوحي النص بالجواب عن واحدة منها فحتى كلمة الغلائف لم تحدد في الأسئلة المطروحة.

1- هذه بداية طرح الجواب على الأسئلة التي سبقت وإن نظمها ضمن المخطوطة.

2- هذا التوصيف والتقييم جاء به الكاتب فقد قسم المخطوطة لثمانية فصول اعتمد نمطًا جديدا في طرح السؤال فمن عنوان الفصل مما أطاله، والغرض على ما يبدو أن يكون جامعا مانعا، ـمل الأسئلة المطروحة، والسؤال هنا أو عناصره لا توضح السائل، ولا الجهة التي صدر منها السؤال، أو الصحراء البعيدة المقصودة، ولا نوعية ورتبة واضعه لنعرف حقيقة السائل، فقد أشار لقبائل جمع قبيلة فهل هذه القبائل داخل الحيز الجغرافي للجزائر أو خارجه وهل لطارح السؤال علاقة بالأحداث التي تعرفها قصور تمنطيط، لتزامن كتابة المخطوط مع تلك الأحداث والصراعات، فجوهرها كان حول مسألتين اثنتين: الأولى: حول وجود اليهود بقصور توات وما يحدثون من فجور وضلال، الثانية: حول من له الحق في قيادة البلاد، فالمغيلي لا يرى أن ثمة حاكم عادل وبالتالي يجب عزله والعصنوني يرى أنه أحق بالحاكم على اعتبار أنه قاضي القضاة، فاختلف الناس وتفرقوا جماعتين متصارعتين حول فقه المعاملة واستخلاص الحلول للنوازل التي حلت بالمسلمين تبعا للظروف والأحداث، على الرغم من موثقة السائل جوانب من أسئلته فقد أشار (للمسألة) ولم يقل نازلة يتبادر للذهن أنه ليس من أهل الاختصاص، فيقول نازلة أفتى عديد العلماء حولها، كما ضمن السؤال فئة (الحكام والأمراء) فمنطقة تمنطيط ليس ـا أمراء أو حكام بل قضاة يحكمون ويسيرون الحياة العامة للناس، وهذا ما قد يدفع للظن أن السؤال كان من خارج توات، قد يكون من إمارات الهوصا، أو ممالكها أو ممالك وأمراء الصنغاي، أو أحدا أطلع بإسهاب على الفكر المغيلي فأراد معرفة الحكم الشرعي في هذه الفئة الطاغية.

3- سورة آل عمران: الآية 118 هكذا في كل النسخ والأصح (وما يذكر).

4- أشار إلى الجنس فجمعه أجناس، والجنس الأصل، وفي الاصطلاح المنطقي ما يدل على كثيرين مختلفين بالأنواع فهو أعم من النوع فالإنسان نوع والحيوان جنس، والنوع كل طير يأوى إلى جنسه، تمتاز الأجناس بالتعايش المشترك، وإن كانت جماعات مجتمع الاقانون تقتبس بعض الصفات والمميزات من سلوك هذه الأجناس: فجماعة الأطفال المتشردين، والسراق يخلقون أنماطا حياتية للحفاظ على كينونتهم وبقائهم على قيد الحياة، يقول الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في كتابه مصباح الأرواح في أصول الفلاح (العلم نور في القلب لا لفظ باللسان، وهو قسمان: علم يتعلق بالنظر نفسه وعلم يتعلق بالمنظور فيه، فالأول أولى بالنظر فليس النظر بمصيب أبدا ولا خاطئ أبدا، فلا بد من معرفة النظر المصيب ليكون الناظر به على ثقة من فهمه، وإلا فمن ليس له صدق زعمه، لأن النظر المصيب ترتيب معلومين فصاعدا على جهة يتوصل ـا إلى المطلوب، وتلك الجهة إدخال

للطَّيبين والطَّيبونَ للطَّيبات﴾[1]. فالكفار بعضهم أولياء بعض **﴿ومن يتولَّهم منكُم فَإنه مَنهم﴾**[2] **والْمؤمنونَ والْمؤمنات بعضهم أَولياء بعض ومن لم يفعل فَأُولَئك هم الظَّالمونَ**[3] **﴿وسيعلَم الَّذين ظَلَموا أَي منقَلَبٍ ينقَلبونَ﴾**[4].

قال الله تعالى:**﴿كُنتم خير أُمة أُخرِجت للناسِ تأْمرونَ بِالْمعروف وتنهونَ عنِ الْمنكَرِ وتؤمنونَ بِاللّه﴾**[1]

الداخل وإخراج الخارج لأن كل خطأ إنما يقع بإدخال ما ليس بداخل أو بإخراج ما ليس بخارج أو ـما معا. فالعلم تحصل صورة في الذهن والمعلوم صوره الحاصلة في الذهن أي سابقة أزلية في= =ذهننا فالعلم قد يحصل بالعادة كما يحصل بالمشاهدة، فلا تقدح الاحتمالات العقلية في العلوملعادية، لأن من حكمة الله تعالى أن يخلق في النفس الإنسانية علما ضروريا يصدق بعض الأخبار، ودلالة بعض العوائد والآثار يقضى بالحق في معرفة الخالق، والحامل أن لا يتولد نوعا إلا عن نوعه فالبر لا ينتج إلا من مثله، والشعير لا يستخلص إلا من الشعير وهكذا في كل الأزواج) أنظر كتاب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (مصباح الأرواح في أصول الفلاح)، ففي أثناء رده على السؤال الأول عن أسئلة الحاج محمد اسكيا استدل ـذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم (ما من وال يلى إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعرفة وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه إلا خبالا) الحديث رواه أبي هريرة. فإذا علمت ذلك عليك بأمرين: أولها: أن تبعد عنك أهل الشر، وأن تقرب منك أهل الخير لأنه من الغالب، فعلى الإنسان التآنس والميل إلى طبعه وتزيينه (فمن قربته من نفسك فقد مكنته من أذنك ومن مكنته من أذنك فقد مكنته من قلبك) لأن الأذن زمام القلب لذلك قال مالك بن أنس (لا تمكن زائغ القلب من أذنك) وقال بعض الحكماء:

عن المرء لا تسأل واسئل عن قرينـ ـه ∴ فكل قرين بالمقارن يقتـ ـدي

لقد سئل إبراهيم بن أدهم لماذا لا تخالط الناس فقال: (إن صحبت من هو دوني آذاني بجهله، وإن صحبت من هو فوقي تكبر علي، وإن صحبت من هو مثلي حسدني، فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملل ولا وصلة انقطاع، ولا في الأنس به وحشة)، وفي رده على طلب الاستفسار فيما يطلق عليه بفقه المعاملة فقد كتب لمحمد بن يعقوب (رمفا) حيث جاء في الباب الرابع تحت عنوان (فيما يجب على الأمير من الحذر في الحضر والسفر) يقول (أبعد أهل الشرك وقرب أهل الخبر والصلاح، فلا تقرب من طعامك، وشرابك، وثيابك إلا أقرب أحبابك، ولا تفارق الضرع والسلاح ولا تقرب منك إلا أهل الأمانة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي) رواه أبو داود في سننه. فقد قال (ص) (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) رواه أبو داود والترميذي. وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه (ما من شيء أدل على شيء من الصاحب على الصاحب).

1- سورة النور: الآية 26.

2- سورة المائدة، الآية 53.

3- لقد جاء ببعض آيتين جزء الآية 72 من سورة التوبة (قوله تعال: **﴿ والْمؤمنونَ والْمؤمنات بعضهم أَولياء بعض يأْمرونَ بِالْمعروف وينهونَ عنِ الْمنكَرِ ويقيمونَ الصلاَةَ ويؤتونَ الزكَاةَ ويطيعونَ اللّه ورسولَه أُولَئكَ سيرحمهم اللّه إنَّ اللّه عزيز حكيم ﴾** والجزء الثاني جاء به من الآية 45 من سورة المائدة قوله تعالى **﴿ ومن لَم يَحكُم بِما أَنزلَ اللّه فَأُولَئك هم الظَّالمونَ ﴾**.

4- سورة الشعراء، الآية 227.

وقال تعالى: ﴿ **إنما وليكُم اللّه ورسولُه والّذين آمنواْ الّذين يقيمونَ الصلاَةَ ويؤتونَ الزكَاةَ وهم راكعونَ ومن يتولَّ اللّه ورسولَه والّذين آمنواْ فَإِنَّ حزب اللّه هم الْغالبونَ** ﴾ [2].

وقال تعالى: ﴿**محمد رسولُ اللّه والّذين معه أَشداء علَى الْكُفَّارِ رحماء بينهم** ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿**يا أَيها الّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ الْيهود والنصارى أَولياء بعضهم أَولياء بعضٍ ومن يتولَّهم منكُم فَإِنه منهم إِنَّ اللّه لاَ يهدي الْقَوم الظَّالمين** ﴾ [4].

وقال تعالى: ﴿**يا أَيها الّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ الّذين اتخذُواْ دينكُم هزوا ولَعبا من الّذين أُوتواْ الْكتاب من قَبلكُم والْكُفَّار أَولياء واتقُواْ اللّه إِن كُنتم مؤمنين** ﴾ [5].

وقال تعالى: ﴿ **يا أَيها الّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ آباءكُم وإِخوانكُم أَولياء إِن استحبواْ الْكُفْر علَى الإِيمان ومن يتولَّهم منكُم فَأُولَئك هم الظَّالمونَ** ﴾ [6].

وقال تعالى: ﴿ **لَا تجد قَوما يؤمنونَ باللّه والْيومِ الْآخرِ يوادونَ من حاد اللّه ورسولَه ولَو كَانوا آباءهم أَو أَبناءهم أَو إِخوانهم أَو عشيرتهم** ﴾ [7].

وقال تعالى: ﴿ **يا أَيها الّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ الْكَافرِين أَولياء من دون الْمؤمنِين أَتريدونَ أَن تجعلُواْ للّه علَيكُم سلْطَانا مبينا** ﴾ [8].

وقال تعالى: ﴿**يا أَيها الّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ بطَانةً من دونكُم لاَ يأْلُونكُم خبالاً ودواْ ما عنتم قَد بدت الْبغضاء من أَفْواههِم وما تخفي صدورهم أَكْبر قَد بينا لَكُم الآيات إِن كُنتم تعقلُونَ**﴾ [9].

1- سورة آل عمران، الآية 110.

2) سورة المائدة، الآية 55.

ونحن نرى أنه قد يأتي بشطر أو جزء آية، وقد يأتي ا كاملة وقد يستنبط معانيها للاستدلال، وهذا دليل قوي على قرآنية الرجل، فإذا تحدث طغى على فكره الشاهد القرآني، والأدلة العقلية يتجلى الحديث في اعتماده على النص القرآني والحديث النبوي الشريف، لكأنه يقدم الدرس بحدين حد يشرح العلم اللساني وآخر يقوم على استنباط الآيات يبنى حججه على بلاغة الكلمة النبوية، هذا الطابع مزجه بعلوم البلاغة قل نظيره عند غيره من معاصريه.

3) سورة الفتح، الآية 29.

4) سورة المائدة، الآية 51.

5) سورة المائدة، الآية 57.

6) سورة التوبة، الآية 23.

7) سورة ا ادلة، الآية 22.

8) سورة النساء، الآية 144.

9) سورة آل عمران، الآية 118.

وقال تعالى: ﴿ **لَتجِدنَّ أَشد الناسِ عداوةً لِّلَّذين آمنواْ الْيهود والَّذين أَشركُواْ** ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ **ما يود الَّذين كَفَرواْ من أَهلِ الْكتاب ولاَ الْمشركين أَن ينزلَ علَيكُم من خيرٍ من ربكُم**﴾ [2]. وقال تعالى: ﴿**ود كَثير من أَهلِ الْكتاب لَو يردونكُم من بعد إِيمانِكُم إِيمانِكُم كُفَّاراً حسدا من عند أَنفُسِهِم من بعد ما تبين لَهم الْحَق**﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿ **ودت طَّآئفَةٌ من أَهلِ الْكتابِ لَو يضلُّونكُم وما يضلُّونَ إِلاَّ أَنفُسهم وما يشعرونَ**﴾ [4].

وقال تعالى: ﴿ **ولاَ تركَنواْ إِلَى الَّذين ظَلَمواْ فَتمسكُم النار وما لَكُم من دون اللّه من أَولياء ثُم لاَ تنصرونَ**﴾ [5].

وقال تعالى: ﴿**لاَّ يتخذ الْمؤمنونَ الْكَافِرين أَولياء من دون الْمؤمنين ومن يفْعلْ ذَلك فَلَيس من اللّه في شيءٍ إِلاَّ أَن تتقُواْ منهم تقَاةً ويحذِّركُم اللّه نفْسه وإِلَى اللّه الْمصير**﴾ [6].

وقوله: ﴿ **قُلْ إِن تخفُواْ ما في صدورِكُم أَو تبدوه يعلَمه اللّه ويعلَم ما في السماوات وما في الأَرضِ واللّه علَى كُلِّ شيءٍ قَدير**﴾ [7].

ملحوظة:التنبيه والتحذير من اقتراب المؤمن الكافر والسعي لمودته على خمسة أقسام:

1- سورة المائدة، الآية 82.
2- سورة البقرة، الآية 104.
3- سورة البقرة، الآية 109.
4- سورة آل عمران، الآية 68.
5- سورة هود، الآية 113.
6- سورة آل عمران، الآية 28.
7- سورة آل عمران، الآية 29. لقد ختم هذا الباب بأربعة عشر آية قرآنية.

القسم الأول
من قرب كافرا تقريبا يقتضي[1] المودة والإشفاق

ودافع عنهم الضرر والشقاق فهذا رجل منافق أو قريب من النفاق[2] كما قال تعالى: ﴿ **ولَو كَانوا يؤمنونَ بالله والنبِي وما أُنزِلَ إِلَيه ما اتخذُوهم أَولياء ولَكن كَثيرا منهم فَاسقُونَ** ﴾[3].

فهؤلاء الغلفاء[4] الذين وصفت بموالاة الكافرين وإعانتهم على الفساد، وضرر المؤمنين[5] قد عرضوا أنفسهم لغضب رب العالمين بموالاة أعدائه، وإعانتهم على أوليائه،

1- لقد كتبت في ب و ج (من قرب كافرا تقريبا يقتضي المودة) والأصح عندي ما جاء في أ.

2- المنافق هو: اصطلاحا في الشرع الذي يظهر غير ما يبطن، فإن كان ما يخفيه التكذيب بأصول الإيمان فهو المنافق الخالص، حكمه في الآخرة حكم الكافر قال تعالى: ﴿**إنَّ الْمنافقين في الدرك الأَسفَلِ من النار**﴾ (النساء:145). وإن يخفي غير الكفر بالله وكتبه ورسله فيه شعبة أو أكثر من شعب النفاق: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان) وفي رواية أخرى (وإذا خاصم فجر) فينتج عن هذه الصفات ما يلي أولا القلب قال تعالى: ﴿**في قُلُوبهم مرض فَزادهم اللّه مرضاً ولَهم عذَاب أَليم بما كَانوا يكْذبونَ**﴾ (البقرة:10). ثانيا: الإفساد في الأرض: قال تعالى: ﴿**وإذَا قيلَ لَهم لاَ تفْسدواْ في الأَرضِ قَالُواْ إنما نحن مصلحونَ أَلا إنهم هم الْمفْسدونَ ولَكن لاَّ يشعرونَ**﴾ (البقرة:11-12). ثالثا: اللدد في الخصومة والعزة بالإثم، قال تعالى: ﴿**ومن النَاس من يعجبك قَولُه في الْحياة الدنيا ويشهد اللّه علَى ما في قَلْبه وهو أَلَد الْخصام**﴾ (البقرة:204). رابعا: موالاة الكفر والتربص بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿**بشر الْمنافقينَ بأَنَّ لَهم عذَابا أَليما الَّذين يتخذُونَ الْكَافرين أَولياء من دون الْمؤمنين أَيبتغونَ عندهم الْعزةَ فَإنَّ العزةَ للّه جميعا**﴾ (النساء:138-139). يمتاز أسلوب المغيلي في الكتابة ببروز سمة طاغية ومتمثلة في نزعه التعليمي القائم في جانب منه على الحوار السقراطي. فنجده يضمن كتاباته جملا دعائمية اعتراضية وقد الغناه يعتمد أسلوب (الفنقلة) فإن قلت قلت، وهذا الأسلوب إنتحاه في جميع كتاباته، وقد يكون أظهر في المناظرات والمقابلات التي كان يجريها مع علماء عصره مواجهة أو خطبة، يعود هذا الأسلوب لتكوينه التعليمي وميله المنطقي، في مجال (السياسية الشرعية العلمية) والعلوم العقلية، والفتاوي، أسلوبه سهل ممتنع يصيب به الغرض، وقد أجزم أنه يكتب لفيئتين عن وعي وإدراك وثبات، علاوة على أنه يفعم ما يكتب شعرا ونظما نثرا، فالنظم ملكة استغلها لبناء آطام تواليفه في مختلف العلوم التي ألف فيها.

3- سورة المائدة، الآية 83.

4- قد يكون مدلول كلمة الغلفاء بحسب سياقات السرد للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يعني كلمة تقبيح، فالغلف هو الرجل الذي لم يظهر كما يقال للمرأة غلفاء، والغلفاء جمع غلف أخذ الإمام هذا المعنى مما كان متداولا آنذاك فأسمى وأصبغ كلمة غلفاء على أولائك الرجال الذين لا تنالهم أحكام ولا يعرفون من الدين شيئا، ولا يضمهم حاكم أو أمير يعيرون غلفاء لعدم ختانتهم، إذ يقال في المنابذة والمعايرة والمشاتمة (يا ابن الغلفاء) أي المرأة الغير مطهرة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية يقال في المشاتمة يا ابن الغلفاء، وهذا اللفظ متداول عند اليهود كثيرا.

5- لقد أفتى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لسكان توات، قرارة، وتدكلت بما يلي:

– وجوب مخالفة اليهود فلا يقرب مسلم كافرا من نفسه وعياله، ولا يستعمله على شيء من ماله وعياله، وملكه. وبذلك أفتى بتكفير من قرب وتعامل مع اليهود.=

لأن موالاة الكفرة وإعانتهم على الشقاق إنما هو من صفة[1] أهل النفاق[2]، قال الله تعالى: ﴿**أَلَم تر إِلَى الَّذين نافَقُوا يقُولُونَ لإِخوانهم الَّذين كَفَروا من أَهلِ الْكتاب لَئن أُخرِجتم لَنخرجن معكُم ولَا نطيع فيكُم أَحدا أَبَدا وإِن قُوتلْتم لَننصرنكُم واللَّه يَشهد إِنهم لَكَاذبونَ**﴾[3]. وقال تعالى ﴿ **بشرِ الْمنافقين بِأَنَّ لَهم عذَابا أَليما الَّذين يتخذُونَ الْكَافرين أَولياء من دون الْمؤمنين أَيبتغونَ عندهم الْعزةَ فَإِنَّ العزةَ للّه جميعا**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ **ترى كَثيرا منهم يتولَّونَ الَّذين كَفَروا لَبِئْس ما قَدمت لَهم أَنفُسهم أَن سخطَ اللّه علَيهم وفي الْعذَاب هم خالدونَ ولَو كَانوا يؤمنونَ بِالله والنبي وما أُنزِلَ إِلَيه ما اتخذُوهم أَولياء ولَكن كَثيرا منهم فَاسقُونَ**﴾ [5]. وقال تعالى: ﴿ **أَلَم تر إِلَى الَّذين تولَّوا قَوما غَضب اللَّه علَيهِم ما هم منكُم ولَا منهم ويحلفُونَ علَى الْكَذبِ وهم يعلَمونَ**﴾ [6].

=- منع اليهود من أحداث، وتجديد وترميم بيعهم وكنائسهم، و ديم القائم منها بين دور المسلمين، وخروجهم من النسيج العمراني للمسلمين، وحتى إن أعطوا موثقا للبناء من حاكم أو أمير يهدم ويرد عليه كتابه وينقص، جاء في ب و ج المسلمين.

- نقض اليهود العهود وعقد الذمة باستعلائهم واستخفافهم بالمسلمين يجعل السيف على رؤوسهم، قال تعالى: ﴿**وإِن نكَثُواْ أَيمانهم من بعد عهدهم وطَعنواْ في دينكُم فَقَاتلُواْ أَئمةَ الْكُفْرِ إِنهم لاَ أَيمانَ لَهم لَعلَّهم ينتهونَ**﴾ (التوبة:12). فقد جاء في الفصل الثالث تحت عنوان (فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر الأوطان من الجزء والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان)، فيقول لا شك وأن اليهود المذكورين كيهود توات وتنجررين وتفلالت، ودرعة وكثير من الأوطان كإفريقيا، وتلمسان قد حلت دماؤهم ونساؤهم، ولا ذمة لهم لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية لا الذمة الجاهلية، وتكون لهم الذمة الشرعية بإعطاء الجزية الشرعية. لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا: مدونة نازلة يهود توات، ص150، مرجع سابق.

1- اية الوجه الثاني من الصفحة الثالثة في أو ب.

2- ما من شك أن جليس المرء يشكل شخصيته ويحدد مواقفه لحد كبير، كلما كان الجليس لصيقا حادثا وموثوقا مقربا كان تأثيره أكبر، فبلوغ الجليس درجة البطانة لجليسه عاش في أعماقه وساقه إن شاء. فبطانة الرجل خاصيته المطلع على داخل أموره، والمرء على دين خليله كما قال عليه الصلاة والسلام (فلينظر المرء من يخالل) وكما تقول العرب (الصاحب ساحب) والجليس الدائم كحامل مسك، ومعين يصبح صديق صدوق، قال تعالى ﴿ **يحسبونَ كُلَّ صيحة علَيهم هم الْعدو فَاحذَرهم قَاتلَهم اللَّه أَنى يؤفَكُونَ** ﴾ (المنافقون:4)، لقد أخرج النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من وال ولى الأوله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالا، فمن وقى شرها فقد وقى وهو من التي تغلب عليه منهما)

3- سورة الحشر، الآية 11.

4- سورة النساء، الآية 137.

5- سورة المائدة، الآية 82.

6- سورة ا ادلة، الآية 14.

وقال تعالى: ﴿**يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ الْكَافرين أَولياء من دون الْمؤمنين أَتريدونَ أَن تجعلُواْ للّه علَيكُم سلْطَانا مبينا إنَّ الْمنافقين في الدرك الأَسفَلِ من النارِ ولَن تجد لَهم نصيرا إلاَّ الَّذين تابواْ وأَصلَحواْ واعتصمواْ باللّه وأَخلَصواْ دينهم للّه فَأُولَئك مَع الْمؤمنين وسوف يؤت اللّه الْمؤمنين أَجرا عظيمًا ما يفْعلُ اللّه بعذَابكُم إن شكَرتم وآمنتم وكَانَ اللّه شاكرا عليما**﴾ [1]. فتنبهوا من غفلتكم، ولا تكونوا من الجاهلين[2]، واحفظوا أيمانكم ببعدكم عن أعداء[3] حبيب رب العالمين، فإنكم ربما وقعتم بقر م في شيء من جنهم، فتكونوا من الهالكين، ويكن يسلم من لا ينفر عن قر م أم كيف يكون مؤمنا من في قلبه شيء من جنهم.

1- سورة النساء، الآية 143-144-145-146.

وقد وصف وحدد أوصاف الجليس الصالح والسوء، بن بريد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبا ونافع الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما تجد ريحا خبيثا) رواه مسلم.

2- وصفهم بالجهل وهو العماء المستعار يسرى في العقل كالنار في الهشيم فالجهل ضد العلم فعندما يكون العلم هو حضور صورة الشيء فيه، فإذا كان العقل ميزة للإنسان عن غيره من سائر المخلوقات، فعدم وجود نقيضه من سمة الحيوان لذلك قسم العلماء الرجال لأربعة أصناف هم:

- رجل يدري ويدري أنه يدري: فذلك عالم فاتبعوه.
- ورجل يدري ولا يدري أنه يدري: فذلك غافل فذكروه.
- ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري: فذلك جاهل فعلموه.
- ورجل لا يدري ويدري أنه يدري: فذلك أحمق فاجتنبوه.

إن الاستدلال لذين البيتين أتى ما في كتابه أو مخطوطه (رسالة لكل مسلم ومسلمة) بداية الفصل الأول المعنون (فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار).

3- لقد كتب في أ و ج يبعدكم من أعدائكم، والأصح بحسب ظننا ما جاء بالنسخة أ.

بيبي من يعادي من يعـ ـاد ∴ ويشفى ما بقلبي في الأعادي[1]
ويعلى رايتي بين[2] البرايـ ـا[3] ∴ ويفنى عن هواه في مـ ـرادي

القسم الثاني: منع تقريب الكافر تقريبا لغرض الصداقة

من قرب كافرا تقريب الصديق ولم يدافع عنه في الضلالة بطريق فهذا رجل ضعيف التصديق امرؤ سوء على التحقيق لا سيما إن كان الكافر يتصرف في أعماله ويتطوف بين منازله وعياله ويفرح النساء والأولاد بطرف الهدايا والأعياد[4]، فمثل هذا

1- لقد كتب في مخطوطة رسالة لكل مسلم ومسلمة (ويعلى رأسي).
2- لقد جاءت في مخطوطة رسالة لكل مسلم ومسلمة (بين البرايا).
ثم ربط حب النبي صلى الله عليه وسلم بكره اليهود وأنصارهم، إذ يقول

حب النبي يقتضي بغض اليهود ∴ فابك على ما قد مضى ولا تعود
كيف عن قرب أعداء النبـ ـي ∴ في القبر والحشر إلى نار الوقود
من ذا الذي يشفع فيه إن دنت ∴ من وجهه الذي أرضى به اليهود

للمزيد : أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ص132-133. يقول الشاعر العربي:

إذا ما شئت في الدارين أن تسعد ∴ فأكثر من الصلاة على محمد
وإن شئت القبول في الدعـ ـوات ∴ فتختم بالصلاة على محمـ ـد
فلا صوم يصح ولا صـ ـلاة ∴ لمن ترك الصلاة على محمـ ـد
وإن كانت ذنوبك ليس تحصى ∴ تكفر بالصلاة على محمـ ـد
فما تتضاعف الحسنـ ـات إلا ∴ بتكرار الصلاة على محمـ ـد
وعند الموت ترى أمـ ـورا ∴ تسرك بالصلاة على محمـ ـد
وعند القبر تحظى بالأمـ ـاني ∴ وترحم بالصلاة على محمد
ولا تخشى من الملكين رعبـ ـا ∴ إذا سألاك قل لهما محمـ ـد
رسول الله حقا إتبعنـ ـا ∴ وآمنا وصدقنا محمـ ـد

3- ألم ترك تلك النفرات والظفرات التي تتطاير من بين حروف ما يكتب، فخوفه على أولائك الحاضنين الأقربين لليهود، المُوادون لهم والمدافعين عن سير توجها م، فويل لهم من نار لظي نزاعة للشوى تدعواهم من أدبر وتولى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فالنار الملتهبة حنقة وحدقة على أعداء الله، ومن وأساهم وأمنهم من رواعات كأن ينفثها سرمدية كلما عظم بلاؤهم واشتد ظلمهم على المسلمين أو نكثوا عهدا من عهود رب العالمين، قال تعالى: ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ (التوبة:12).

4- ننتظر لهذا السجع الاستنباطي الإطنابي الذي بدأ به القسم الثاني فاعتماد السجع المقابل أو المتشابك يزيد من حلاوة النص ويشد القارئ.

الرجل لا تقبل شهادته[1]، ولا تصلح إمامته[2] ويجب عداوته[3] حتى يتوب وتحسن حالته[4] لأن تقريب الكفرة ـذا الوجه من نفسه[5]، وعياله[6] دليل واضح على جهله

1- اعتبر قرب المؤمن من الكافر كفرا بين لا جدال فيه ثبت بالكتاب والسنة، ففي دلالة ذلك على ثلاثة أبنية أو أقسام هي:

- البيان الأول: كونه لا دين له، فقد خص بأدلة عقلية ونصوص شرعية فيقول لقد ركب الله في طبع كل إنسان أن لا يرضى لأحد من عبيده أن يقرب عدوا من أعدائه، وأن يقاطع حبيبا من أحبابه كائنا من كان، جعل الله ذلك عاما في كل مكان ومستمر في كل زمان.
- البيان الثاني: كونه لا عقل له: أسداه أيضا بأدلة عقلية وشرعية ذلك أن أول عقل المرء أن يقرب من أبواب منافعه ويبعد من أبواب مضاره، فقد ركب المولى هذا المعنى حتى في البهائم، فما من حمار يرى منفعته في شيء إلا ويقترب منه، وما أن يرى مضرته في شيء إلا ويبتعد عنه، وقد علم كل ذي عقل أن من عظم أبواب منفعته أحبابه، ومن أبواب مضرته أعداءه.
- لبيان الثالث: كونه عديم المروءة: لأن كل ذي همة عالية وأنفاس مرضية ولو كان من أقرب أقربائها كأبيه وأمه، وبذلك تعظم العداوة لا سيما إن كان كل منهما يضلل الآخر، قال الشاعر:

كل العداوة قد ترجى مود ا ∴ إلا عداوة من عاداك في الدين

2- لقد أشار عبد الرحمان بن خلدون في تعريفه للإمامة على أ ا (حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا). لقد أخذت الإمامة مصطلحا إسلاميا فقصد بالإمام خليفة المسلمين وحاكمهم، وتوصف أحيانا بالإمامة العظمى أو الكبرى تميزا لها عن الإمامة في الصلاة، على أن الإمامة إذا أطلقت فإ ا توجه إلى الإمامة الكبرى أو العامة. وقد فرق العلماء بين الخلافة والملك، فيرى عبد الرحمان بن خلدون (أن الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة، والسياسي، وهو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية، ورفع المضار.
والخلافة: هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليهم، وقد اختلف في وجو ا هل وجبت بالعقل أو بالشرع). أنظر: مقدمة ابن خلدون، طبعة 1967، ص320. وفي ذلك يقول الشاعر العربي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ∴ ولا سراة إذا جهالهم سـ . ـادوا

3- أفتى الإمام بعداوة من صاحب أو آوى يهودي في مترله، وإن كانت العداوة بين المسلمين مقيدة بثلاثة أيام مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهم الذي يبدأ بالسلام) متفقه عليه، وروى في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا) وبما أنه أفتى بتكفير من صاحب وآوى في بيته يهوديا، فقد جاهد منه التشديد والوعد والوعيد، فلربما كان الظرف يقتضي صدور فتواه على تلك الصورة أعلاه لمقتضى رفع كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله عليه السلام.

4- إن الله تواب رحيم إذا تاب العبد ورجع عن مسعاه تقبل توبته.

5- لقد دأب الناس خلال القرن 9هـ . /15م على إيواء اليهود في ديارهم ومنازلهم على اعتبار ما كان يربطهم من تجارة ومقايضة.

6- ـاية الوجه الأول لصفحة الثالثة في أو ج، والقصد هنا من العيال الزوجة والأبناء فعندنا عيالى من نعوله وننفق عليه.

وضلاله، وكفى به من الضلالة والخسران، إن نصب قلبه وقلب عياله هدفا لسهام الشياطين، وعرض عرضه للطعن عليه بضعف الإيمان وأصبح من بطانة[1] أهل الجزية والذلة[2] وغضب الرحمان. ألم تر قول بعض أهل المذهب يجب على المرأة المسلمة[3]

أن تستر من جسدها على المرأة الكافر ما يجب عليها ستره عن الرجل الأجنبي المسلم[4]، قال: وهذا متفق عليه ليس فيه خلاف وإذا كان ذلك كذلك على المسلمة مع الكافرة

1- البطانة: من بطن يبطن بطانة فهو أبطن، وبطين وبطانة جمع بطائن فهي ما يبطن به الثوب من الداخل، قال تعالى ﴿ **متكئين علَى فُرش بطَائنها من إستبرق وجنى الْجنتين دان**﴾ (الرحمان: 54)، جاء في فتح الباري شرح على خليل للحافظ ابن حجر العَسقلانيً، ج13، ص202. البطانة الدخلاء جمع دخيل وهو الذي يدخل على الرئيس أو الحاكم في مكان خلوته ويفضى إليه بسره، وفي قاموس المعاني: البطانة ما يبطن به الثوب وهو خلاف ظاهره. قال تعالى﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ بطَانةً من دونكُم لاَ يأْلُونكُم خبالاً ودواْ ما عنتم قَد بدت الْبغضاء من أَفْواههم** ﴾ (آل عمران:118).

2- الذلة: من ذل يذَل إذلالا ينبه إلى عدم سقوطَ المرأة المسلمة في مسار أهل الذلة المذلولين البعيدين عن الصراط السوي، لقد جاء في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول (اللهم أني أعوذ بك من الفقر، والقلة، والذلة).

3- لطول مكوثه وتواجده بين محاضن بيئة جديدة على الإسلام وتعاليمه مثل كشف العورات للحرة والإماء وبنات الأمراء الغنية والفقيرة في تلك العادة سواء عندهم، فالبنت لا تستر عورا ا إلا بعد أن تتزوج تكشفها أمام أبوها وأخوها، وقد استنكر ذلك الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في رده عن السؤال السابع الذي جاء فيه (ومن مناكرهم كشف عورات الحرائر والإماء حتى إن من عوائد أهل (جنى) أن البنت لا تستر شيئا من عور ا ما دامت بكرا، ولو بلغت خمسين سنة، وكل شابة من أجمل النساء تخرج بين الناس عريانة بلا ستر وهي بين أبيها وإخوا ا عريانة كذلك حتى تتزوج، ولو كانت ابنة السلطان أو القاضي وتلك عادة مشهورة مطردة بينهم)، أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للحاج محمد بن أبي بكر اسكيا الكبير، ص156. وقد جاء في جواب الإمام محمد بن عبد الكريم (ومن أعظم المنكرات ما ذكرتم من اختلاط الرجال بالنساء وكشف العورات، فواجب على أمير المؤمنين، أن يجتهد في منع ذلك كله ما استطاع، وأن يجعل أمناء يحتسبون على ذلك ليلا و ارا سرا وجهرا، وليس ذلك من باب التجسس على المسلمين، إنما ذلك من حسن الرعى وردع ا رمين، لا سيما إذا شاع الفساد في البلاد، كما في (تمكبت) و(جني) ونحوهما، ومن الصواب الواجب أن تقتل المرأة عن مكان المتهمة، وأن يجعل الأمير أمناء يطوفون بالليل والنهار والطرقات. لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا: أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للحاج محمد بن أبي بكر أسكيا الكبير، مرجع سابق، ص163.

4- أهل المذهب المقصودين هم أئمة المذهب المالكي، فإذا كان كشف عورة المرأة أمام امرأة أخرى حرام فأحرى ا أن تكشفها أمام رجل مسلم أو امرأة كافرة، فقد شدد الإسلام على عملية التبرج، والتبرج معناه إظهار ما يجب إخاؤه وأصله الخروج من البرج وهو القصر، ثم استعمل في خروج المرأة من الحشمة وإظهار مفاتنها وإبراز محاسنها، قال تعالى: ﴿**والْقواعد من النساء اللَّاتي لَا يرجونَ نكَاحا فَلَيس علَيهن جناح أَن يضعن ثيابهن غَير متبرجات بزينة وأَن يستعففْن خير لَهن واللَّه سَميع عليم**﴾ (النور:60). إن أهم ما يميز الإنسان عن الحيوانَ اتخاذ الملابس وأدوات الزينة، قال تعالى: ﴿ **يا بنِي آدم قَد أَنزلْنا علَيكُم لباسا يوارِي سوءَاتكُم وريشا ولباس التقْوى=**

فكيف ـا مع الرجل الكافر فلا شك أن قرب أعداء النبي لا ينبغي إلا لجاهل شقى فكيف بمن قرب أعداء النبي يوم الحساب والعذاب الأيرى يوم تجيء النار في غيظ فلا يردها عنا سوى نور النبي، إنما يجلى بالجلال ربنا ومالنا من شافع غير النبي.

القسم الثالث: منع تقريب الكافر تقريبا ارتفاقيا وخدميا

من قرب كافرا من نفسه بفعل[1] يقتضي المصاحبة لا المصادقة كالمحادثة، وا ـالسة والمرافقة[2] فهذا رجل أسلم عنقه[3] لرفقة الشيطان، وتوجه لجهة الضلالة، والخسران، وكيف لا وقد حذر العلماء رضي الله عنهم من مصاحبة أهل البدع والصغار، فكيف

=**ذَلك خير ذَلك من آيات اللّه لَعلَّهم يذَّكَّرونَ**﴾ (الأعراف:26). وإذا كان اتخاذ الملابس لازم لزوم الإنسان الراقي، فإنه بالنسبة للمرأة ألزم لأنه هو الحافظ الذي يحفظ عليها دينها، وشرفها، وكرامتها، وعفتها وحياءها، قال تعالى: ﴿**وقُل لّلْمؤمنات يغضضن من أَبصارهن ويحفَظْن فُروجهن ولَا يبدين زينتهن إلَّا ما ظَهر منها ولْيضربن بخمرهن علَى جيوبهن ولَا يبدين زينتهن إلَّا لبعولَتهن**﴾ (النور:31). يهتم الإسلام ـذه القضيةَ فحَدد السن التي تبدأ فيَهَا المرأة الاحتشام قال عَليه الصلاَة والسلام (يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا، وأشار إلى وجهه وكفيه). وأسماء بنت الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فقد دخلت على النبي وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وجاء الحديث الذي رواه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها.

يقول عبد الواحد بن عاشي:

وما عدى وجه وكف الحـ ـرة ∴ يجب ستره كما في العـ ـورة
لكن لدى كشف لصدر أو شعر ∴ أو طرف تعيد في الوقت المقر

والإمام عبد الواحد بحسب البيتين حدد ذلك في صلا ـا الفرض أو النوافل. أنظر متن عبد الواحد بن عاشر (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين).

1) قدم الخبر على المبتدأ وأسماه فعلا لما قد يحدث جراء الصحبة والمرافقة لفعال صنفها وأوصفها بالمصادقة والمحادثة، وا ـالس، والمرافقة وقد تصل للمآنسة والأنسنة (Humansm).

2- المرافق: لقد أعاب واعتاب على ضعاف للعقول لمرافقتهم اليهود فقد نظم فيهم أبياتا يقول فيها:

حب النبي يقتضي بغض اليهود ∴ فابك على ما قد مضى ولا تعود
كيف بمن قرب أعداء النبـ ـي ∴ فالقبر والحشر إلى نار الوقـ ـود

ثم استفاض شعرية وتبرأ ممن قارب اليهود ومحالفهم ومصادقيهم، فيقول:

برئـ ـت للـ ـرب الـ ـودود ∴ من قرب أنصار اليهـ ـود
قـ ـومـ ـا أهـ ـانـ ـوا دينهـ ـم ∴ وأكرموا دين اليهـ ـ ـ ـود
يكفي الفتـ ـى مـ ـن شينهـ ـم ∴ وخبث أصل صنعهـ ـ ـم
انقطعـ ـوا عـ ـن دينهـ ـم ∴ ورفعوا دين اليهـ ـ ـ ـود
يا ليتـ ـهـ ـم لو دبـ ـ ـروا ∴ واسترجعوا واستغفـ ـ ـروا
وستروا مـ ـا أظهـ ـ ـروا ∴ من نصرهم رهط اليهـ ـود

القصيدة كاملة بكتابنا مدونة نازلة يهود توات، مرجع سابق، ص161-162.

3- قال أسلم بدل سلم جاءت بفعل متعدي والقصد التوكيد، ولفت الانتباه لعظمة الفعل.

بالكفرة والفجرة أولياء الشيطان، فمن العتبية قال مالك: كان لقمان الحكيم[1] يقول لابنه (يا بني لا تجالس الفجار، ولا تماشهم إتق أن يترل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم). يا بني جالس الفقهاء وماشيهم عسى أن تترل عليهم رحمة فتصيبك معهم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2] (لا تصحب فاجر لكي لا تتعلم من فجوره)، فقال ابن رشد[3] في تفسيره كأن القرين السوء يرد ويندم على اتخاذه خليلا، قال تعالى:﴿**وقَيضنا لَهم قُرناء فَزينوا لَهم ما بين أَيديهم وما خلْفَهم وحق علَيهم الْقَولُ في أُممٍ قَد خلَت من قَبلهم من الْجن والْإنس إنهم كَانوا خاسرين**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**ويوم يعض الظَّالم علَى يديه يقُولُ يا لَيتني اتخذْت مَع الرسول سبيلًا يا ويلَتى لَيتني لَم أَتخذْ فُلَانا خليلًا لَقَد أَضلَّني عنِ الذِّكْرِ بعد إِذْ جاءني وكَانَ الشيطَانُ للْإنسان خذُولًا**﴾[5].

ومن العتبية أيضا قال مالك في التحذير من سماع أهل البدع[6] لا تمكن زائغ القلب[7] من أذنك فقال ابن رشد في تفسيره لأنه يحذَر أن يسمع كلامه فيدخل عليه شك في اعتقاده، قال وكفى من التحذير عن ذلك المثل الصحيح الذي ضربه ابن غانم في ذلك من قوله أرأيت لو أن قعد إلى سارق وفي كمه بضاعة، أما أن يتحرز ـا منه خوفا

1- لقمان الحكيم كان عبدا حكيما ولد وترعرع بالنوبة بمصر ذكر في القرآن وسميت سورة لقمان به عاش عصر داوود عليه السلام وأخذ عنه العلم.

2- عمر بن الخطاب الملقب بالفاروق ثاني الخلفاء الراشدين بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وأرضاهما عنا خيرا وجزءا، هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، من علماء الصحابة وهادهم، أول من عمل بالتقويم الهجري في عهده فتح العراق، ومصر، وليبيا، والشام، وفلسطين، قضى على أكبر قوتين عظيمتين في عهده دولة الروم ودولة الفرس.

3- ابن رشد: ولد سنة 487هـ. /1094م هو أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي أبو القاسم، قاض، وفقيه ومؤرخ، وفيلسوف، له كتاب ـافت التهاف، ولد بقرطبة سافر لبلدان المغرب العربي تولى خطة القضاء كما كان أبوه له تفسير في القرآن هو المشار إليه من قبل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي توفي سنة 563هـ. /1168م.

4- سورة فصلت، الآية: 25.

5- سورة الفرقان، الآية:27-28-29. جاء في تفسير هذه الآية لابن كثير: أن الله يخبر عن ندم الظالم الذي خالف طريق الرسول وما جاء به من عند ربه من الحق المبين الذي لا مرية فيه، وسلك طريقا آخر غير سبيل الرسول فإذا كان يوم القيامة يندم حيث لا ينفع الندم، وعض على يديه حسرة، أنظر تفسير ابن كثير، ج8، ص210.

6- أهل البدع: من يتسم بغير الإسلام والسنة دينا مبتدع كالرافضة والجهمية، والخوارج، والقدرية، والمعتزلة والمرجيئة والكرامية، والكلابية وغيرهم من نظائرهم فلأهل البدع علامات منها:
- اتصافهم بغير الإسلام والسنة بما يحدثونه من بدع قولية، وفعالية، وعقيدية.
- تعصبهم لآرائهم فلا يرجعون عنها للحق وإن تبين لهم ذلك.
- يكرهون ويمارون ويخالفون ناكثين آراء وأقوال الأئمة الأربعة، فهم اللامذهبيون، مذهبهم الفروع والإعراض عن الأصول.

7- لقد استخلص هذا المعنى مما جاء به في رده على السؤال الأول للأمير محمد أسكيا الكبير فقد أشار إلى قوله الإمام مالك (لا تمكن زائغ القلب من أذنيك فمن قربته من نفسك فقد مكنته من أدنك ومن مكنته من أذنك فقد مكنته من قلبك لأن الأذن زمام القلب). لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير محمد أسكيا الكبير، مرجع سابق، ص89.

أن يغتاله منها فلا يجد بدا، أن يقول نعم قال فدينكم أولى بأن تحرزوه وتحتفظوا به، قلت فإذا كان ذلك كذلك في أهل البدع والعصيان، فكيف بالكفرة الفجرة أولياء الشيطان لاسيما مع العامة الجهلة، والنساء والصبيان يقول الشاعر العربي طرفة بن العبد:

عن المرء لا تسئل واسل عن قرينه ∴ فكل قرين بالمقارن يقتدي

ومن جامع البيان[1] حكاية عن سليمان بن داوود عليهما السلام، قال مالك مر سليمان بن داوود بقصر بأرض مصر فوجد فيه مكتوبا:

غدونا من قرى الصحراء إلى قصر قفلناه ∴ فمن يسئل على القصر فبقيا وجدناه

بفاس المرء بالمرء إذا ما المرء ما شانه ∴ فلا تصحب صديق السوءِ أياك وأياه

فكم من جاهل أردى عليما حين واحاه: قال ووجدنا عليه يسرا واقعا، فقال من بنى هذا القصر، فقال لا أدري فقال كم لك منذ وقفت عليه، قال لي تسعمائة سنة وخمسون سنة، قال ابن رشد هذه حكاية عبرة لمن اعتبر، وموعظة، وتذكرة لمن تذكر وازدجروا بالله التوفيق فإن قلت[2] تصرفات البيع والشراء وقضاء الحوائج في بعض بلاد الصحراء على أيدي اليهود فلا يكاد المسلم أن يتوصل لحاجة من حوائجه، ولا أن يبيع شيئا من سلعته في غالب الأمر الأعلى أيديهم[3] حتى أن أهل البلد المذكور إذا جاء عليهم يوم

1- يقصد تفسير القرآن الكريم للإمام محمد بن جرير بن يزيد المكني أبو جعفر، ولد سنة 839 بآمل (طبرستان) وإليها نسب، أخذ الحديث عن محمد بن حميد الرازي، والتاريخ عن الدولابي، والفقه عن أبي مقاتل، رحل لبغداد لملاقاة الإمام أحمد بن حنبل لكنه لم يلحقه فقد وجده توفي، من أهم مؤلفاته: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) في تفسير القرآن، وكتابه (تاريخ الملوك والأمم) وكتاب ذيل المذيل في تاريخ الصحابة والتابعين وتابعهم إلى عصره. توفي ببغداد، سنة 923م.

2- يعتمد الإمام المغيلي في منهجه على أسلوب الفنقلة، فيغلب على منهجه المنحى التعليمي الوعظي الإرشادي بعباراته وأسلوبه واختصاره من حيث أنه يتبع طرائق التصنيف على نحو مألوف، فإذا ناظر طارح في إطار ما يسمى بأسلوب (الفنقلة) وقد لا يكتفي بذلك بل يتجاوزه إلى ملاحظات في شكل فوائد أو تنبيهات يبرز فيها رأيه معززا برأي غيره من العلماء والفقهاء والشراح. ففي هيكل التصنيف يرتب المراد في أبواب وأقسام، وتنبيهات وملاحظات يتصرف فيها تصرف العارف، فإذا ساق دعما لكتاباته بآية قرآنية أو حديث نبوي شريف، فلا تكاد تمسى بإقحامها حشوا في غير موضعها يخيط مدلولا ا ويقمشه، فلا يظهر لها حشوا ولا تظهر زياد ا استطرادا، ولعل منهجه في التدليل بالآيات والأحاديث هو منهج لغير معاصر به.

3- لقد كانت مدينة تمنطيط تعرف الكثير من الحرف كالصباغين، والنساجين والفقارين، والجلادين والدباغين والسقات، والسعافين والحبالين، والحدادين، وصناع الأواني والسلاح، كل هذه الحرف كانت في يد اليهود علاوة على أحكامهم السيطرة على المكاييل والموازين، وذلك بجعلها الرؤساء القصور بأيديهم ومكنوهم من صناعة النقود فصاغوا لها مقادير خاصة وأعطوها قيما كما شاءوا، فقد أشار صاحب (القول البسيط في أخبار تمنطيط) إلى وجود 360 يهودي يعمل في الحرف خلال فترة كتابة هذه الرسالة.

السبت سبتو[1] في كثير من تصرفا م، وظهر أثر السبت على أسواقهم[2] وجرى ذكره على ألسنتهم[3] فمن طلب دينا أو صرفا أو نحوهما قيل له اليوم السبت وتلك الحالة شائعة[4] بينهم فترى التاجر إذا قدم للبلد يترل في منازل اليهود[5] ويأكل من أطعمتهم[6]

1- في أوج كتبت (سئموا) والمقصود بحسب السياقات (سبتو) قال تعالى: ﴿ **وَاسْأَلْهم عنِ الْقَرية الَّتي كَانت حاضرةَ الْبحرِ إذْ يعدونَ في السبتِ إذْ تأْتيهم حيتانهم يوم سبتِهم شرعاً ويوم لاَ يسبتونَ لاَ تأْتيهم كَذَلك نَبلُوهم بما كَانوا يفْسقُونَ**﴾ (الأعراف: 163).

2- والسَبت أصله السكون يقال سبتَ إذا سكن، وسبت اليهود تركوا العمل في سبتهم، فقد كان اعتداؤهم يوم السبت حيث حرم الله عليهم يوم السبت اصطياد الحوت.

3- يصبح ذلك الفقدان البضائعي حديث العامة والخاصة في الرحاب، والسقاف والدكاكين، والركائن، وملتقى الطرق فيجف الضرع ويفقد الزرع.

4- لقد كتبت شايعة ولا بأس فقد تكتب كذلك بالهمزة شائعة والحاصل أن يوم عيد اليهود تتوقف التجارة وتعلو المساومة.

5) عند قدوم أهل القوافل حمالا ا وعسائسها، يترلون في دور اليهود لإضافة وضيافتهم يأكلون بآنيتهم ويطعمون طعامهم، وهو بحسب فتوى الإمام مقسم لثلاثة أطعمة.

6- لقد قسم أنواع أطعمة الكتابي إلى ثلاثة أقسام:

الأول: طعام العمر : هو ما صنعوه لأكلهم وهو طعامهم وهو حل لنا بكراهية لأن مالك رضي الله عنه كره أكله للمسلم كانوا أهل ذمة أو أهل حرب، قال الإمام سحنون (لا يؤكل في آنية أهل الكتاب حتى تغسل).

الثاني: طعام الكفر: هو ما صنعوه لكنائسهم وأعيادهم ونحو ذلك من ضلالتهم، وهذا ليس من طعامهم وإنما هو من طعام كفرهم فلا يحل للمسلم أكله، لأنه إنما أهل به لغير الله وقصد به تعظيم الكفر لا برسول الله.

الثالث: طعام المكر: هو ما صنعوه لمسلم إن كان بينهم لأ م أهل غش وخديعة وعداوة بليغة، فلا يحل لمسلم، فكيف نأمنهم على أطعمتنا، أم كيف نصدقهم في أ م أتموا الذبح وما يلزم، ولأجل ذلك لا يحل لمسلم أن يوكل كافرا على سمسرة أو بيع أو شراء أو صرف، لأن الله في ذلك حقوقا علينا القيام ا، وحقوق الله تعالى لا يؤمن كافر عليها لأجل ذلك أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أن لا يكونوا جزارين ولا صيارفة وأن يقوموا من أسواقنا لأن الله تعالى أغنى المسلمين بالمسلمين، فلا تستعملوا الكفار في شيء من أعمالكم). فلقد أفتى علماء الأندلس والمغرب العربي بعدم جواز تولية يهودي الصرف ببيت مال المسلمين، فأجاب النووي رحمه الله وقال لا يحل تولية يهودي ذلك، ولا يجوز إبقاؤه فيها لقوله تعالى: ﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ بطَانةً من دونكُم لاَ يأْلُونكُم خبالاً ودواْ ما عنتم قَد بدت الْبغضاء من أَفْواههم وما تخفي صدورهم أَكْبر قَد بينا لَكُم الآيات إِن كُنتم تعقلُونَ** ﴾ (آل عمران:118). للمزيد أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ج1، ص139-140.

ويصبح ويمسي في جماعتهم يباسطهم[1] ويمازحهم، ويخالطهم كما يخالط المسلم أحبابه المسلمين خوفا على تجارته من الكساد[2] واختيارا لمنازلهم على سائر منازل البلاد ومن أهل البلد المذكور[3].

1- يصبح ويمس بجماعتهم يباسطهم: والمباسطة والمفاكهة تعتبر لونا من ألوان الحديث الذي ينفس عن النفس وينفض عنها غبارها وكللها ومللها واكتآ ا. والمباسطة بضم الميم على وزن مفاعلة من باسط الرجل إذا لاطفه والمباسطة في المعاملة الملاطفة، غير أن مباسطة الكافر مغازيها وأهدافها بينة مكشوفة فهي للأسباب التالية: للاستحواذ على السلع القادمة لتحديد أسعارها، لتخزين المطلوب لحين الشدة لرفع سعره. قيمة العملة، وقيمة السلعة تحدد ضمن تلك المباسط فهو ضم فيها حقوق الناس وحق الله تعالى.

2- فبحكم أن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ظل لفترة طويلة نازعا حول إصلاح الدين والدنيا، ولاشتغاله بالتفسير (تفسير الصور القصيرة في القرآن الكريم) والذي عنونه (البدر المنير في علم التفسير)، واعتماد الحديث النبوي الشريف تدريسا وتأليفا، فقد كتب مصنفا تحت عنوان (مغنى النبيل) يدور حول شرح مختصر خليل، فقد طغى الشاهد القرآني والحديث النبوي الشريف في كتاباته، وكأنه يقدم الدرس بحدين، حد شرح العلم اللساني، وحد يقوم على تفسير آية أو تصويب معنى غير صالح شرعا، هذا الطابع الشرعي مزجه بعلوم البلاغة والمنطق قل نظيره عند غيره ممن ألفوا في عصره. وبالمشاهدة تتجسد المصادر التي يستاق أفكاره منها فيما يلي من المتون منها: أسرار البلاغة للجرجاني، والكشاف في تفسير القرآن الكريم للزمخشري، ومفتاح العلوم للسكاكي، وتلخيص المفتاح والإيضاح للقزويني، ومختصر تلخيص المفتاح للتفتازاني.

3- أما مصادره في الحديث اعتمد فيها على موطأ الإمام مالك، والبخاري، ومسلم والجامع الصحيح للترميذي، وسنن ابن ماجة، وسنن أبي داوود، وسنن النسائي، وهي اية الصفحة الرابعة في أ، ج. ومن حيث تصانيفه: ففي القضاء له فتاوي في النوازل التي نزلت بالقوم ووصية في أصل الاجتهاد والقياس، وفي الحسبة له تصنيف في تنظيم الأسواق سماه ديوان الخراج، وفي التصوف ألف كتابه مصباح الأرواح في أصول الفلاح وتنبيه الغافلين بدعوى مقامات العارفين، وفي العربية له كتاب تحت عنوان مقدمة في العربية، وفي علوم البلاغة أنجز كتاب: التبيان في علم البيان وفي المنطق له أرجوزة منح الوهاب جعل عليها ثلاثة شروح، وفي علم الحديث له الأربعين المغيلية شرحها وكتاب آخر تحت عنوان أفهام الأنجال في أحكام الآجال وفي فن السياسة الشرعية له رسالة في أهل الذمة، ورسالة حول تأسيس الإمارة ومن رسائله: رسالة في الإمارة وسياسة الدولة كتبها لمحمد بن يعقوب زنقا أمير كانو. ووصية أخرى تحت عنوان ما يجب للحكام في ردع الناس عن الحرام، وأجوبته عن أسئلة محمد أسكيا الكبير، وعلى العموم قد أحصينا له 73 مخطوطا والكساد المشار إليه هو: مصطلح في الاقتصاد الكلي يطلق على أي انخفاض ملحوظ وواسع النطاق في النشاط الاقتصادي يستمر لعدة شهور فيطلق على أي فترة ينخفض فيها الناتج المحلي الإجمالي لمدة ستة أشهر على الأقل وهي إحدى مراحل الدورة الاقتصادية فتزداد فيها البطالة، وتنخفض قيمة الاستثمارات والأرباح فينخفض الناتج المحلي بحسب الفصول، ووصول القوافل التجارية للمناطق التواتية لذلك نرى فتوى الإمام العصنوني تنطلق من هذا المسعى أي كلما أقام الإمام المغيلي نفرة في اليهود وخرجوا من المنطقة، تقل الأرزاق، وتتعطل مصالح الناس لأن التجارة بأيديهم، والسكة عندهم الرسم النقود، والمكاييل والموازين تحت تصرفهم والتجارة القوافلية يتحكمون في أربا ا ومياه الفقاقير الجارية يملكون فيها حبات معبود وحبات زريق، وبذلك أمكن لهم أن يحددوا قيمة القيراط، والدينار، الدرهم، والمثقال، والأوقية والخروبة، والموزونة.

من يتخذ من اليهود خادما[1] يتصرف له في قضاء حوائجه ويوكله على البيع والشراء، والصرف وغيره، فهل ذلك لهم جائز أم لا: قلت[2].

أما أهل البلد المذكور فهم في ضلال مبين، واجب عليهم التوبة والاستغفار، والانفصال عن مخالطة الكفار، وإظهار الاستغناء عنهم ومخالفتهم، لاسيما في يوم السبت بنفسه، فقد قال مالك كان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون أن يترك يوم الجمعة العمل ليلا يصنعوا فيه كما يفعل اليهود والنصارى في السبت والأحد[3].

1- يورد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي كثيرا من قصص الأولين حول استعمال اليهود في الأغراض الداخلية كخدام في البيوت فمن ذلك قصة (يشير فيها فيقول لقد أخبرني بعض الإخوان وكان قاضيا في هذه الأوطان أنه لما قدم إليها وولى القضاء ـا استعمل يهوديا في أشغاله، قال وكانت مني في استعماله ذلّة حين ظننت أن تخدميه من إذلاله، قال فكان يتصرف في أشغالي، ويظهر النصيحة لي، فأعطيته يوما ثيابي يغسلها، ولم آمنه أن يغيب عليها فكان بين يدي يغسل وأنا أنظر حتى عرضت لي حاجة فدخلت إليها، ورجعت بسرعة فوجدته فوق ثيابي وهو يبول عليها، فربطته وضربته ماشاء الله وتبت عن قرب جميع أعداء الله. لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، مرجع سابق، ص134-135.

2- اعتمد على الفنقلة كأسلوب فهي قول يعتمده العلماء أثناء مناقشتهم لمسألة ما: فإذا قالوا... قلنا... وقيل كما قال الإمام الزركشي: هو محمد بن عبد الله بن ـادر بن عبد الله الزركشي ولد في مصر سنة 745هـ. /1344م رحل لحلب فأخذ عن الشيخ شهاب الدين الأدرعي كان فقيها أصوليا وأديبا، وكان أكثر اشتغاله بالفقه وأصوله وعلوم الحديث والقرآن والتفسير له أكثر من ثلاثين تصنيفا من أشهرها (البرهان في علوم القرآن) و(التذكرة في الأحاديث= =المشهورة) توفي بمصر سنة 794هـ. /1392م. فقد أشار رحمه الله في البحر المحيط في مسألة شكر المنعم على التحسين والتقبيح... فإن قالوا عنينا بوجوبه عقلا ما عنيتم أنتم بوجوبه سمعا. قلنا نحن نعي بوجوب شكر المنعم سمعا امتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه، وكلمة الفنقلة عبارة مشهورة في كتب أهل العلم حديثا وقديما.

وفي الجدل العلمي سميت بالفنقلة نحتا من عبارة (فإن قيل) والنحت في اللغة العربية معروف قائم على مبدأ الاختصار وطلب الإيجار لأن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا والأصل في ذلك ما ذكره الخليل بن أحمد من قولهم (حيعل الرجل) إذا قال (حي علي) ويفهم من تعريف ابن فارس الرازي المتوفى سنة 395هـ. 1004م. للنحت هو (إنشاء كلمة جديدة بعض حروفها موجودة من قبل كلمتين أو أكثر) بعض العلماء يراه نوعا من الاشتقاق الصغير والكبير، فهذه الكلمة قريبة من كلمة المناكفة والاختلاف حبا في الاختلاف، فهي عكس الحوار الذي يعني تلاقح الأفكار لا تلاطمها فنحتت من قولهم قيل، قلنا: (كالبسملة، والحيعلة) فهي من أحسن الطرق لنفي الشبهة عن جواب المفتي والمدرس. وقد قال الشاعر العربي:

إذا سطرت جوابا في مسـ ـألة ∴ فحرر القول فيها وفصـ ـل

وبين الحكم فيها ولا تـ ـدع ∴ تعقيب هذا باحتراز وفنقـ ـل

ومن أخص ما يندرج تحتها المسائل التي يكثر فيها التنازع بين النظام كمسائل التفضيل بين الأشياء.

3- يوم الجمعة عيد أسبوعي للمسلمين يجتمع فيه المسلمون للصلاة بالمساجد، وهو يوم عبادة وعمل، بعض المسلمين يعتمدونه يوم عطلة والبعض يوم عبادة، وعلى العموم نخالف فيه اليهود والنصارى في سبتهم.

ينـزل في منازل أعداء الله ورسوله على الوجه المذكور إتباعا لشهوته في حسن المترل ونفاق السلعة، وكذلك لا يحل لمسلم أن يوكِّل كافرا على سمسرة أو بيع، أو شراء، أو صرف. فإن توكيل الكفرة حرام في كل ما يقومون[1] عليه من الأعمال التي يفتقر جوازها لشروط[2] لا يؤمن الكافر عليها لاسيما الصرف، فكل صرف ناب عليه كافر فهو ربى[3] لاسيما صرف ناب عليه إخوان القردة السماعون للكذب الأكالون للسحت[4].

وأما اتخاذ خادم منهم يتصرف في غير ذلك، فلا ينبغي لمؤمن لاسيما لمن كان من أهل الفضل كالعلماء والصالحين والأئمة ونحوهم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أن الله تعالى قد أغنى المسلمين بالمسلمين، فلا تجعلوا الكفرة في أعمالـكم) [5].

حب النبي يقتضي بغض اليهـود ∴ فابك على ما قد مضى ولا تعود
كيف بمن قرب أعداء النبـي ∴ في القبر والحشر إلى نار الوقـود
من ذا الذي يشفع فيه إن دنـت ∴ من وجهه الذي أرضى به اليهود[6]

1- هذه بنود فتواه في التعامل مع اليهود وتوكيلهم على شراء، وبيع، وصيرفة فقد حرم التعامل معهم إلا أنه لم ينصص ذلك بحديث أو آية قرآنية كعادته، وقد تكون محمولة فتواه هذه على ظروف تلك الحالة التي كان عليها ا تمع القصورى التواتي، الأقرارى، التدكلتي.

2- لقد فصل بين عوامل التعامل إلى قسمين قسم لا يحتاج لشروط إباحته وقسم مشروط التعامل به بشروط حددها الشرع وبنى عليها العلماء أرائهم وفتاويهم، اية الوجه الأولى من الصفحة الرابعة في كل النسخ، أ، ب، ج.

3- الربى وتكتب بالألف (الربا) في اللغة يعني الزيادة يقال ربا المال زاد وربا الشجر نما وزاد. وفي الشرع: هو الزيادة في أحد النوعين من المال على النوع الآخر إذا كان من جنس واحد كالذهب بالذهب، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والفضة بالفضة ونحو ذلك إذا زاد أحدهما على الآخر يقال له ربا. شرعا ممنوع، فليس للمسلم أن يبيع درهم بدرهمين، ولا دينار بدينارين إذا كانت زنة الدرهم واحدة.

4- اقتبس جزء من الآية القرآنية قوله تعالى: ﴿ **سماعونَ للْكَذبِ أَكَّالُونَ للسحت**﴾ (المائدة: 42).

5- لقد تكررت هذه الفقرة في هذه المخطوطة من قبل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لدلالتها على الموضوع.

6- هذه الأبيات ذكرها في رسالة لكل مسلم ومسلمة ويكررها في هذه المخطوطة.

ينـزل في منازل أعداء الله ورسوله على الوجه المذكور إتباعا لشهوته في حسن المترل ونفاق السلعة، وكذلك لا يحل لمسلم أن يوكِّل كافرا على سمسرة أو بيع، أو شراء، أو صرف. فإن توكيل الكفرة حرام في كل ما يقومون[1] عليه من الأعمال التي يفتقر جوازها لشروط[2] لا يؤمن الكافر عليها لاسيما الصرف، فكل صرف ناب عليه كافر فهو ربى[3] لاسيما صرف ناب عليه إخوان القردة السماعون للكذب الأكالون للسحت[4].

وأما اتخاذ خادم منهم يتصرف في غير ذلك، فلا ينبغي لمؤمن لاسيما لمن كان من أهل الفضل كالعلماء والصالحين والأئمة ونحوهم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أن الله تعالى قد أغنى المسلمين بالمسلمين، فلا تجعلوا الكفرة في أعمالـكم) [5].

حب النبي يقتضي بغض اليهـود ∴ فابك على ما قد مضى ولا تعود
كيف بمن قرب أعداء النبـي ∴ في القبر والحشر إلى نار الوقـود
من ذا الذي يشفع فيه إن دنـت ∴ من وجهه الذي أرضى به اليهود[6]

1- هذه بنود فتواه في التعامل مع اليهود وتوكيلهم على شراء، وبيع، وصيرفة فقد حرم التعامل معهم إلا أنه لم ينصص ذلك بحديث أو آية قرآنية كعادته، وقد تكون محمولة فتواه هذه على ظروف تلك الحالة التي كان عليها ا تمع القصورى التواتي، الأقرارى، التدكلتي.

2- لقد فصل بين عوامل التعامل إلى قسمين قسم لا يحتاج لشروط إباحته وقسم مشروط التعامل به بشروط حددها الشرع وبنى عليها العلماء أرائهم وفتاويهم، اية الوجه الأولى من الصفحة الرابعة في كل النسخ، أ، ب، ج.

3- الربى وتكتب بالألف (الربا) في اللغة يعني الزيادة يقال ربا المال زاد وربا الشجر نما وزاد. وفي الشرع: هو الزيادة في أحد النوعين من المال على النوع الآخر إذا كان من جنس واحد كالذهب بالذهب، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والفضة بالفضة ونحو ذلك إذا زاد أحدهما على الآخر يقال له ربا. شرعا ممنوع، فليس للمسلم أن يبيع درهم بدرهمين، ولا دينار بدينارين إذا كانت زنة الدرهم واحدة.

4- اقتبس جزء من الآية القرآنية قوله تعالى: ﴿ **سماعونَ للْكَذبِ أَكَّالُونَ للسحت**﴾ (المائدة: 42).

5- لقد تكررت هذه الفقرة في هذه المخطوطة من قبل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لدلالتها على الموضوع.

6- هذه الأبيات ذكرها في رسالة لكل مسلم ومسلمة ويكررها في هذه المخطوطة.

القسم الرابع: منع مودة الكافر والسلام عليه وقبول الهدايا وردها وحضور أعيادهم

من فعل لكافر فعلا يقتضى طلب المودة كالسلام ورده والإهداء له وقبول الهدية منه وحضور وليمة، وأكل طعامه[1] ونكاح نساء أهل الكتاب [2]، فهذا رجل تسبب لنفسه في البلية، فَفعلَه من حيث هو مكروه بالكلية ففي العتبية سئل مالك عن السلام على أهل الذمة والرد عليهم فقال لا وقيل لمالك أترى بأسا أن يهدى الرجل لجاره النصراني الهدية مكافأة فقال ما يعجبني ذلك، قال الله تعالى: ﴿**يا أَيها الَّذين آمنوا لَا تتخذُوا عدوي وعدوكُم أَولياء تلْقُونَ إِلَيهم بالْمودة وقَد كَفَروا بما جاءكُم من الْحق يخرِجونَ الرسولَ وإِياكُم أَن تؤمنوا بِاللَّه ربكُم إِن كُنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرونَ إِلَيهم بالْمودة وأَنا أَعلَم بِما أَخفَيتم وما أَعلَنتم ومن يفْعلْه منكُم فَقَد ضلَّ سواء السبِيلِ**﴾[3].

فقال ابن رشد في تفسيره[4] يريد مكافأة له على ما لا يجب عليه أن يكافئه عليه مما يلزمه أن يعتمده معه في مجاورته أياه، لا مكافأة له على هدية أهداها إليه، إذ لا ينبغي أن يقبل منه هدية لأن مقصود الهدايا إنما هو التودد ـا لقول النبي صلى الله عليه وسلم

1- لست أدرى ما غيب عن الإمام المغيلي النص القرآني الصحيح، أذلك لمترلة فتواه هذه بحسب حال واعتياش ما عليه مجتمعه إذ كان يتطلب تلك الصرامة والشدة أو لم يقل سبحانه وتعالى: ﴿**الْيوم أُحلَّ لَكُم الطَّيبات وطَعام الَّذين أُوتواْ الْكتاب حلٌّ لَّكُم وطَعامكُم حلٌّ لَهم والْمحصنات من الْمؤمنات والْمحصنات من الَّذين أُوتواْ الْكتاب من قَبلكُم إِذَا آتيتموهن أُجورهن محصنِين غَير مسافحين**﴾ (المائدة:5).

2- لقد أباح الله الزواج من الكتابيات بالنص القرآني شريطة أن يؤمن، قال تعالى: ﴿**ولاَ تنكحواْ الْمشركات حتى يؤمن ولأَمةٌ مؤمنةٌ خير من مشركَة ولَو أَعجبتكُم ولاَ تنكحواْ الْمشركين حتى يؤمنواْ ولَعبد مؤمن خير من مشرك ولَو أَعجبكُم**﴾ (البقرة:221). غير أن مقصود الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يستدل به بحسب السياقات لمداليلَة أخرى. فقد كان بعض المسلمين يقترون باليهوديات، وينجبون منهم أبناء وهكذا أصبح أولائك الأطفال بحكم جور م ومصاهرة أمها م يترلون دور المسلمين (أعمامهم وعما م) يلعبون مع أبناء عمومتهم فسخرهم اليهود لأفعال دنيئة منها: نقل أخبار المسلمين، ومتابعة حركا م وتجار م، وأحوال الأسواق، والسلع النافقة به، وذات الطلب الشديد كما أصبحوا جواسيس لليهود ينقلون حركات المسلمين لليهود، وبما أ م يعتبرون أخوالهم يحاولون جرهم للدخول في ديانتهم ونقلها للعامة من الناس، والنساء والصبيان، فيعلمو م لغتهم وكتابا م، وقد كان ثمة رأي يرى أن هؤلاء هم الغلائف وإن كان لنا رأي آخر في ذلك المصطلح.

3- سورة الممتحنة، الآية 1: تبدأ الآية ﴿**يا أَيها الَّذين آمنوا لَا تتخذُوا عدوي وعدوكُم أَولياء**﴾ إلخ فقد بدأها اقتباسا.

4- تفسير ابن رشد هو: المعروف بتفسير ابن رشد، مرجع سابق لهذا الكتاب.

(ادوا تحابوا وتذهب الشحناء) [1] فإن أخطأ وقبل منه هديته وفاتت عنده فالأحسن أن يثيبه عليها حتى لا يكون له عليه فضل في معروفه وصنعه معه. وسئل مالك أيضا عن النصراني يصنع صنيعا فيختن[2] إبنا له فيدعوا في دعوته مسلمين أو مسلما[3] أترى أن يجيئه فقال إن شاء جاءه، ليس عليه في ذلك ضيق إن جاءه، فلا بأس به، فقال ابن رشد معنى قوله أنه لا إثم عليه في ذلك ولا حرج إن فعله[4]. وذلك إن كان له وجه من جوار أو

1- الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال الحافظ وإسناده حسن وقد جاء بطرق أخرى فعن عائشة رضي الله عنها قالت (ادوا تحابوا وهاجروا تورثوا أولادكم مجدا وأقيلوا الكرام عثرا م). وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ (ادوا تحابوا) و(تصافحوا يذهب الغل و ادوا تحابوا وتذهب الشحناء) كما في الأوسط للطبراني.

2- يقوم اليهود بختن الأبناء مثل المسلمين أو ما يطلق عليه في لغتهم ختن الغلف، فيقال للرجل الغير مختون غلف وللمرأة غير المختونة غلفاء، وربما تكون تسمية هذه الرسالة جاءت من هذا الباب كما أوضحت في مقدمة الكتاب تفصيلا وتوضيحا، وإسهابيا، لهذا الاسم، فلم أجده في القاموس المحيط إلا إذا اعتمد ا من باب غَلَّف يغلِّف تغليفا عندها نجد لها موطأ قدم، أما كلمة الغلائف فلم أجدها إلا في بحث بعد إضناء من أحد علماء السودان، والذي يشير فيه إلى اعتماد الختانة للبنت كما للذكر واستدل ببعض الأحاديث منها، فقد روت أم عطية الأنصارية أن امرأة كانت= =تختن بالمدينة فقال لها رسول الله صلى عليه وسلم (لا تنكي أي لا تبالغي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل) وفي رواية أخرى (إخفضي ولا تنهكي فإنه أنضر للوجه وأحظى عند الزوج) ما يعني أن الختان كان في المدينة قبل الإسلام، لما جاء الإسلام وضع لهذه العادة شروط، قال عليه الصلاة والسلام (الفطرة خمس، الختان، والاستحداد وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط) حديث متفق عليه.

3- المسلماني: هم اليهود الذي فتح الله عليه بنور الإسلام والإيمان فترفع عندهم الجزية فيصبح لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

4- حضور ولائم المشركين؛ اختلف العلماء فيها فبعضهم يجيز ذلك للمحبة والبعض يرى حرمة ذلك لأن طعامهم وشرا م قد يكون بخمرة والمسلم لا يشر ا والشيطان في ذلك شاطر، وهي أم الكبائر. يقول الشاعر العربي:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل ∴ وقل الفصل وجانب من هزل
ودع الذكر لأيام الصبا نجم أفلا ∴ فلأيام الصبا نجم أفل
واترك العادة لا تحفل بها ∴ تمس في عز رفيع وتجل
وافتكر في منتهى هي حسن الذي ∴ أنت واه تجد أمرا حلل
واهجر الخمرة إن كنت فتى ∴ كيف يسعى في جنون من عقل
واتق الله فتقوى الله ما ∴ جاورت قلب امرئ إلا وصل
ليس من يقطع طرقا بطلا ∴ إنما من يتقى الله البطل
كتب الموت على الخلق فكم ∴ قل من جيش وأفنى من دول
أين نمرود وكنعان ومن ∴ ملك الأرض وولى وعزل
أين من سادوا وشادوا وبنوا ∴ هلك الكل ولم تغن القلل
أين أرباب الحجى أهل النهى ∴ أين أهل العلم والقوم الأول
سيعيد الله كلا منهم ∴ وسيجزى فاعلا ما قد فعل

القصيدة تتكون من 43 بيتا حكها وعظ وأمثلا وصية الشاعر العربي عمر بن الوردي، المتوفى سنة 749هـ /1348م.

قرابة، وما أشبه ذلك، قال والأحسن ألا يفعل، لاسيما إذا كان ممن يقتدى به[1] لما في ذلك من التودد إلى الكفار، وقد قال الله عز وجل: ﴿ **لَا تجد قَوما يؤمنونَ باللَّه والْيومِ الْآخرِ يوادونَ من حاد اللَّه ورسولَه ولَو كَانوا آباءهم أَو أَبنَاءهم**﴾ [2] الآية انتهى.

وقال سحنون[3] في أهل الكتاب: لا يؤكَلُ في أنيتهم حتى تغسل.

وقال مالك[4]: يكره أكل طعامهم، وذبائحهم كانوا أهل ذمة أو أهل حرب[5] من غير تخريج ومن المعونة نكاح حرائر أهل الكتاب، ووطأ إمائهم بالملك جائز لقوله تعالى:﴿**والْمحصنات من الَّذين أُوتواْ الْكتاب من قَبلكُم**﴾[6]. ولقوله تعالى: ﴿**أَو ما**

1- بداية الصفحة السادسة في ب، ج، يعيب الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي على ذوي السلطة والرفعة والمكانة والمهابة أن يفعل ذلك فقد يقتدي بفعله وبذلك يسن سنة سيئة فيحمل وزرها ووزر من عمل ا، لذلك يجب على الإمام والعالم ألا يقف أماكن الشبه فمن وقف مكان الشبه اشتبه، خاصة العالم، والوالي، والقاضي عليهم الحذر فيما يفعلون ويقولون، لقوله صلى الله عليه وسلم (من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل ا من بعده لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن سن سنة في الإسلام سيئة كان عليه وزرها ووزر عن عمل ا لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا) أخرجه مسلم.

2- سورة ا ادلة، الآية 22. يكثر الإمام المغيلي الاستدلال بمثل هذه الآية فلا تجده يخط مثلا إلا واستشهد ا وهي عنده بمثابة الصدر والصيرم الواقي.

3- الإمام سحنون: هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي من أشهر فقهاء المالكية بالمغرب العربي ولد بالقيروان سنة 160هـ. /776م رحل للمشرق العربي فتعلم بدمشق سنة 188هـ. /804م ثم رحل لمصر والحجاز عاد للقيروان سنة 191هـ. /806م، عمل على نشر المذهب المالكي ليصبح المذهب الأكبر في إفريقيا والأندلس، تولى خطة القضاء سنة 234هـ. /848م، توفي في رجب من سنة 240هـ. /864م ودفن بالقيروان، من أشهر مؤلفاته المدونة الكبرى التي جمعت مسائل الفقه المالكي.

4- لقد بنى فتواه هذه على ما ذهب إليه الإمام مالك وهذا كله لتجنب الاختلاط والمسامرة والتودد بين أهل الكتاب والمسلمين، هنا نجده يبنى حصون وقائية.

5- المراد بأهل الحرب الكفار من أهل الكتاب والمشركين الممتنعين عن قبول دعوة الإسلام ولم يعقد لهم عقد ذمة ولا آمان، يقطنون في دار الحرب التي لا تطبق فيها أحكام الإسلام فهم أعداء المسلمين يعلن عليهم الجهاد. أنظر: الموسوعة الفقهية، ج7، ص121.

6- سورة المائدة، الآية 6.

لقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (المحصنات من الذين أوتوا الكتاب) هو على العهد دون الحرب فيكون خاصا، وقال البعض يجوز نكاح الذمية والحربية لعموم الآية، وروى عنه أن ابن عباس أنه قال (المحصنات العفيفات، العاقلات، وقال الشعبي هو أن تحصن فرجها فلا تزنى، وتغتسل من الجنابة، غير أن أبو عبيدة يذهب إلى غير ذلك فيقول (لا يحل نكاح إماء أهل الكتاب لقوله تعالى: ﴿**فَمن ما ملَكَت أَيمانكُم من فَتياتكُم الْمؤمنات**﴾ (النساء:25). أنظر تفسير البغاوي في شرح هذه الآية، وتفسير القرآن الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي.

ملَكَت أَيمانكُم﴾[1] وإذا ثبت جوازه فإنه مكروه[2] لأنه سكُونٌ إلى الكفار وركون إليهم، وقد قال تعالى: ﴿**وجعلَ بينكُم مودةً ورحمةً**﴾ [3] ولأنه يتولى ولَده من يشرب الخمر ويأكل الخترير، ولا يؤمن أن يجيب ذلك وينشأه عليه فيألفه ويعتاده، ولأ ا قد رب به إلى دار الحرب، وهو صغير فيفسد دينه انتهى[4].

قلت في كراهية العلماء رضي الله عنهم أكل طعام أهل الكتاب والنكاح من نسائهم دليل واضح على ما ذكرناه من التعبير عنهم لأن الله تعالى أحل في كتابه طعامهم والنكاح من نسائهم فقال تعالى: ﴿**الْيوم أُحلَّ لَكُم الطَّيبات وطَعام الَّذين أُوتواْ الْكتاب حلٌّ لَّكُم وطَعامكُم حلٌّ لَّهم والْمحصنات من الْمؤمنات والْمحصنات من الَّذين أُوتواْ الْكتاب من قَبلكُم** ﴾[5] فإذا كان ذلك مكـ روها عند العلماء رضي الله عنهم فكيف يكون ما ى الله عنه وكُرر في آيات كثيرة التحذير منه الحائم حول الحما يوشك أن يقع فيه[6] فاتقوا الشبهات لعلكم تدون، ﴿**فَاسأَلُواْ أَهلَ الذِّكْرِ إِن كُنتم لاَ تعلَمونَ**﴾ [7].

إذا قرب الإنسان أخيار قومـ ـه ∴ وأعرض عن أشرارهم فهـ ـو صالح
وإن قرب الإنسان أشرار قومه ∴ وأعرض عن أخيارهم فهو طالـ ـح

1- سورة المعراج، الآية 30.

2- لقد أفتى أبو عبيدة بن الجراح بحرمة نكاح إماء أهل الكتاب مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **فَمن ما ملَكَت أَيمانكُم من فَتياتكُم الْمؤمنات**﴾(النساء:25) أما غير المؤمنات فلا، وهذا الرأي مخالف للآية القرآنية الكريمة، قوله تعالى:﴿**وأَنكحوا الْأَيامى منكُم والصالحين من عبادكُم وإِمائكُم إِن يكُونوا فُقَراء يغنِهِم اللَّه من فَضله واللَّه واسع عليم**﴾ (النور: 32).

3- سورة الروم، الآية 21.

4- لقد كان بعض اليهود يتزوجون من نساء مسلمات، حدث ذلك لعدة أسباب أهمها الفاقة، وقلة الشيء، فاستغل اليهود هذه الزيجات، فكانوا ينجبون أبناء من أمهات مسلمات وآبائهم يهود، كان اليهود يأخذو م ويعدو م عن المحيط العمراني الإسلامي، فيلقنو م ديانتهم، وعادا م وتقاليدهم، كما اعتمدوهم كجواسيس وناقلي الأخبار، وتحركات القوافل التجارية، والأسعار، والبضائع التي دخلت للسوق، فيقولون لهم إذهبوا لأخوالكم وتحسسوا الأخبار، كما كانوا يعلمو م ديانتهم، واللغة العبرية، وكتابتها، البعض كان يسميهم (غلائف) فقد مكنوا اليهود من أخبار المسلمين، كما كانوا يسمسرون عوضا عنهم، يقومون بالسلف وحفظ الأمانات في بيو م تحت رعاية آبائهم، وفي المرحلة الأخيرة أي اية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ميلادي أحس اليهود بانعزال هؤلاء وانطوائهم وابتعادهم شيئا فشيئا عن آبائهم.

5- جاء في تفسيرها بكتاب التحريم والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، حيث يقول (يجئ التقييد باليوم هنا ما جاء في قوله تعالى: ﴿**اليوم أَكْملْت لَكُم دينكُم**﴾ عدا وجه تقييد حصول الفعل حقيقة، بذلك اليوم.
وفي تفسير ابن كثير جاء تفسيرها (لما ذكر ما حرم الله على عبادة المؤمنين من الخبائث وما أحله لهم من الطيبات قال ﴿**الْيوم أُحلَّ لَكُم الطَّيبات**﴾ ثم ذكر حكم ذبائح أهل الكتاب اليهود والنصارى، فقال: ﴿**وطَعام الَّذين أُوتواْ الْكتاب حلٌّ لَّكُم** ﴾ (المائدة:6).

6- لقد استنبط هذا المعنى من الحديث الشريف الحلال بين والحرام بين عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول (الحلال بين والحراب بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمن كثير من الناس، فمن إتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه إلا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب). أنظر فتح الباري على صحيح البخاري والنووي على صحيح مسلم.

7 - استنبط هذه الجملة من الآية 43 من سورة النحل قوله تعالى: ﴿**وما أَرسلْنا من قَبلك إِلاَّ رِجالاً نوحي إِلَيهِم فَاسأَلُواْ أَهلَ الذِّكْرِ إِن كُنتم لاَ تعلَمونَ**﴾ (النحل: 43).

وكل امرئ ينبيك عنه قرينـ ـه ∴ وذلك أمـ ـر في البريـ ـة واضـ ـح[1]

القسم الخامس: بيان كراهية الزواج بالكتابيات وتحريم وضع السكة بأيد أهل الذمة

من قرب كافرا قرابة تقتضي تقريبه بالطبيعة لا استخفافا بحق الشريعة كالولادة والزوجية[2]. فهذا الرجل له شبهةٌ في الظاهر والله عز وجل يتولى السرائر، فلا ينهى عن أن يبر هؤلاء، وأن يقسط إليهم بما هو القرابة معتادا إلا أن يكون الكافر من أهل الشقاق

1- هذه الأبيات للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي فقد ذكرت في الفصل الأول من رسالته لكل مسلم ومسلمة المحققة في كتابنا (مدونة نازلة يهود توات) طبع دار القدس العربي، ج1، ص124.

وفي هذا السياق يقول الشاعر العربي طرفة بن العبد:

إذا شاء يوما قاده بن مامـ ـة ∴ ومن يك في حبل المنية ينقـ ـد
إذا أنت لم تنفع بودك قربـ ـة ∴ ولم تك بالموسى عدوك فابعـ ـد
أرى الموت لا يرعى ذي قرابـ ـة ∴ وإن كان في الدنيا عزيزا بمقعـ ـد
ولا خير في خير ترى الشر دونـ ـه ∴ ولا قائل يأتيك بعـ ـد التنـ ـدد
لعمرك ما الأيام إلا معـ ـارة ∴ فما استطعت من معروفها فتزود
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينـ ـه ∴ فكل قرين بالمقارن يقتـ ـدي

وقد قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

يقاس المـ ـرء بالمـ ـرء ∴ إذا ما هـ ـو مـ ـا شـ ـاه

ويقول في أبيات أخرى:

فلا تصحب أخـ ـا الجهـ ـل ∴ وإيـ ـاك وإيـ ـاه
فكم من جاهـ ـل أردى ∴ حليما حيـ ـن آخـ ـاه
يقاس المـ ـرء بالمـ ـرء ∴ إذا ما هـ ـو ماشـ ـاه
وللشيء مـ ـن الشـ ـيء ∴ مقاييـ ـس وأشبـ ـاه
قيـ ـاس النعـ ـل بالنعـ ـل ∴ إذا ما هـ ـو حـ ـاذاه
وللقلـ ـب علـ ـى القلـ ـب ∴ دليل حيـ ـن يلقـ ـاه

2- لقد جاء في باب مراعاة حقوق أهل الذمة والمحافظة على عهودهم في قصيدة هدية الألباب في جوهر الأداب، حيث يقول صاحبها:

وارع مواثيق مليك الأمـ ـة ∴ فيما يصون حقوق أهل الذمة
فصون حقهم به قد أمر شـ ـرع ∴ النبي المصطفـ ـى وقـ ـررا
ومن يسوءهم ضـ ـم الحـ ـق ∴ يخالف الأمر لرب الخلـ ـق
يكون خصمه بيـ ـوم الحشـ ـر ∴ رسولنا طه مقبـ ـض البـ ـر
وجاء أن ظلمهم إن وجـ ـدا ∴ يسلط الأعداء علينا بالـ ـردى
كيف يجر ضرهم وهم لنا عـ ـون ∴ على الأعداء خطـ ـب جنـ ـا
وهم من الجيرة في الأوطان لهـ ـم ∴ حقوق الوطن المصانـ ـة
كما لهم حقـ ـوق الإنسانيـ ـة ∴ وهذه لدى النهي مرعيـ ـة

وكتب في نفس السياق الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه فيقول:

وصاحب تقيا عالما تنتفع بـ ـه ∴ فصحبة أهل الخير ترجى وتطلب
وأياك والفسـ ـاد لا تصحبنهـ ـم ∴ فصحبتهم تعدي وذاك مجـ ـرب
واحذر مآخاة الدنـ ـيء فإنه يعدي ∴ كما يعدي الأجرب الصحيـ ـح
واختر صديقك واصطفيه تفـ ـا ∴ خرا إن القرين إلى المقارن ينسب

كما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإ م زينة في الرخاء وعدة في البلاء)، وقال أيضا: اعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم، ولا أمين إلا من خشى الله، فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخافون الله تعالى). وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها إئتلف، وما تناكر منها اختلف) حديث صحيح.

والعناد[1]. وبمقاطعته حينئذ مما يجب من الجهاد (وهجران) [2]، أهل الفساد، وفي مثل ذلك نزل قوله تعالى: ﴿**لَا ينهاكُم اللَّه عن الَّذين لَم يقَاتلُوكُم في الدين ولَم يخرجوكُم من دياركُم أَن تبروهم وتقْسطُوا إلَيهم إنَّ اللَّه يحب الْمقْسطين إنما ينهاكُم اللَّه عن الَّذين قَاتلُوكُم في الدين وأَخرجوكُم من دياركُم وظَاهروا علَى إخراجكُم أَن تولَّوهم ومن يتولَّهم فَأُولَئك هم الظَّالمونَ**﴾ [3]، وفي بعض هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله هداية، وما يتذكر إلا أولى الألباب[4] ويتوب الله على من تاب والله الموفق للصواب[5].

1- أهل الشقاق من يشقون الأسافين في مراوح الأفراد يعملون حسدا وغيظا عناصر الفرقة بين الناس، فقد روى عن الحجاج بن يوسف الثقافي لما استحكم على العراق: قال في إحدى خطبه (يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق، أما والله لا لحؤنكم نحو العصار، ولا عصبنكم عصب السلم، ولا ضربنكم ضرب غرائب الإبل) وفي خطبة أخرى قال (يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق إن الشيطان استنبطنكم). أنظر شرح ج البلاغة، ج1 ص243-345،
والشقاق هو: حالة واقعية يتعذر معها استمرار العلاقة بين الطرفين، فكل طرف يحمل عناصر تنافر وفراق للطرف الآخر لسبب غلبة العداوة والمباغضة والكراهية، فتشقق أواصر المودة، وتتصدع السكينة والطمأنينة على نحو يفرغ عناصر المودة من أساس ومكونات تواصلها. وتوافقها لترهل العصب التماسكي، وأهل العناد يقول فيهم الإمام برهان الدين البقاعي في مقدمة كتابه (تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد) يقول: إعلموا أيها الإخوان الذين هم على البر أعوان حفظكم الله ورعاكم وصانكم من كل سوء وحماكم: إنه لا يقدم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من جعل نفسه هدفا، فإن النهي عن المنكر يعاني الهوان الأكبر. فإذا أراد أهل العناد إغواء أحد استضلوه بضلالهم واستقسموه بأغلظ الإيمان ليحملوه على اعتقاد عنادهم وضلالتهم، وأ م له من الناصحين المهديين.

2- هكذا في كل النسخ غير ظاهرة، وأعتقد أ ا هجران.

3- سورة الممتحنة، الآية 8-9.

4- الألباب جمع لب فلب كل شيء ولبابه خالصه وخياره، وقد غلب اللب على ما يؤكل داخله ويرمى خارجه من الثمر كلب الجوز، والقرقاع، واللوز، وجمعه اللبوب، نقول ألب الزرع مثل أحب إذا دخل فيه الأكل ولُبب الحب تلبيبا صار له لب، ولب النخلة قلبها وخالص كل شيء لبه، ولب الرجل ما جعل في قلبه من العقل، قال جرير:

تدري فوق متنيها قرونا ∴ على بشر وآنسة لباب

فأولوا الألباب هم أصحاب الاتجاه الفكري الذي يبحث في الأسباب والمقدمات والأصول والبدايات والمثيرات والعلل فهم أصحاب الاستذكار والرجوع لمخازن الذاكرة خلصوا نجيا إلى الأصول وهذا عين قوله تعالى:﴿ يؤتي الْحكْمةَ من يشاء ومن يؤت الْحكْمةَ فَقَد أُوتي خيرا كَثيرا وما يذَّكَّر إلاَّ أُولُواْ الأَلْباب﴾ (البقرة:269)، وقوله تعالى: ﴿**هذَا بلاَغٌ لّلناس ولينذَرواْ به وليعلَمواْ أَنما هو إلَه واحد وليذَّكَّر أُولُواْ الأَلْباب**﴾ (إبراهيم:52)، فقد أخذ من معنى الآية الكريمة قوله تعالى:﴿ **كتاب أَنزلْناه إلَيك مبارك لّيدبروا آياته وليتذَكَّر أُولُوا الْأَلْباب**﴾ (ص:29).

5- اية جوابه خاتمة الخواتيم المعهودة عنه.

جواب مجامع الأسئلة الخاصة بالمكايل والسكك

وأما جعل الموازين والسكة بأيديه ـ م من غير أمين يكون عليهم فحرام شرعا وقبيح طبعا ولا يخالـ ـف في ذلك أحد من علماء الإسلام قطعا، لأن السكة والميـ ـزان من أعظم أمانات الله ومن أهم مصالح عباد الله، فواجب على من كلفه الله برعاية المسلمين[1]. أن يترع السكة والموازين من أيدي الكفرة المفسدين[2]، وإن يجعلها بيدأ أمين من صالح المؤمنين[3].

1- من خلال متابعة سياقات السرد النصي يظهر أن هذه المخطوطة كتبت قبل الإشارة منه إلى أنه تولى بالولاية الشرعية على قصور توات، وقد وكل إبنه محمد عبد الجبار مكانه فيقول (إلى جميع المسلمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعالى: أما بعد فإن المؤمنين إخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا، وقد علمتم ما كنت فيه من الجهاد في الكفرة وأهل الفساد، حتى توليت بالولاية الشرعية على جميع ناحية توات..إلخ). أنظر كتابنا الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية طبع دار الكتاب، 2002، ص76. وقد ختم مدلولاته هنا بتوجيه الخطاب لمن في يده أمر المسلمين ويعني الإمام العصنوني قاضي القضاه ورؤساء القصور وهذا يدل على استصدارها قبل ندائه بتوليه الولاية الشرعية.

2- السكة في مقصوده وما يعنيه أن أصحاب الحاكمية بالقصور المتواجد ـا اليهود كانوا دائما يحتكرون السكك ويعملون على تحديد قيمة الدينار الذي يعادل 40 درهما والدرهم الذي يعادل 10/7 من الدينار والقيراط الذهبي الذي يعادل 72 حبة شعير والخروبة التي تعادل:24 وقيم حبوب الماء التي كانت توزن بحجم حبات الشعير والقمح. فالمثقال= 72 حبة شعير، فله علاقة كبيرة بوحدات وإشارات توزيع مياه الفقارة، وقد حدد وزنه بـ :4غ. يوضع على الشكل التالي (⁝) وهو يعادل 96 حبة أي 4×24 = 96 حبة على اعتبار أن الحبة تساوي 24 قيراط، والقيراط يساوي 24 قيراط القيراط، أما الأوقية: تساوي 27,5 غ تقريبا. لقد اعتمدت كثيرا في أدبيات الفقارة مما يحمل على الاعتقاد أن استعمالها كان مثل استعمال الخروبة.

أما المد: يساوي سعة أربعة ألواح بجمع اليدين وقد قدره (مونى) بما يعادل 0,75 سل.

والمودى: يساوي حمولة رجل من الحبوب. أنظر لمزيد من التوضيح كتابنا علاقة الأبجدية التفناغية برموز وإشارات توزيع مياه الفقارة، ج4، طبع دار هومة للنشر والتوزيع، 2008، ص10-11-12.

3- لما طلب منه محمد بن يعقوب زنقا أن يكتب له وصية حول تنظيم الإمارة (إمارة كانو) كتبها له وأسهب فيها، بما يسمى بفقه المعاملة، ففي الباب الثالث تحت عنوان: فيما يجب على الأمير من ترتيب مملكته يقول الإمام المغيلي على الأمير اعتماد المفاصل التالية لترتيب وتنظيم إمارته على أنه كان يختم كل باب بعبارة (ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية)، والمفاصل التي حددها له هي: اتخاذ:

أولا: خدام بالحضرة يتصرفون مثل:

1- عقلاء يشيرون 2- أمناء يقبضون ويتصرفون 3- كتاب وحساب يحفظون 4- رسل وجساس 5- حفظة وعساس

ثانيا: وجهاء على الذكر مثل:

1- علماء أتقياء يرشدون. 2- أئمة فضل يجمعون.3- وعدل يشهدون ويحتسبون يكشفون ويصلحون.

4- أرباب شرطة يزجرون.5- قضاة ثقاة يفصلون 6- رجال يعظمون لوجه الله.

7- وعمال يجيبون حق الله. 8- ووزراء لا يخشون إلا الله.

ثالثا: وحصون محصنة مكيفة بالخزين مثل

1- خيل حديدة وظهور شديدة. 2- ورجال شجعان حاضرة في كل أوان. 3- وأطباء عارفة أمينة

رابعا: إعداد خطط الحروب مثل:

1- وزراء يجمعون الرجال ويخففون الأثقال ويحملون الحذر وحمل السلام ويرتبون الجيش للكفاح بصدر ثابت من الأبطال. 2- وجناحين من سائر الخيل والرجال. 3- وبلغاء ينشطون القلوب ويقبحون الهروب. 4- وعرفاء بالحروب برأيهم تنكشف الكروب، فإن الحرب خدعة ليس بالكثرة ولا بالسرعة.

ويختم كل باب ـذه العبارة (ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية). لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي دوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ ـ /15م، دار الغرب سنة 2008، ص95-100.

لأن الكفرة فجرة أعداء الدين أهل غش وخديعة، وعداوة بليغة للمؤمنين[1]، لاسيما يهود العشرة التاسعة من القرن التاسع[2] في أطراف البلاد، فواجب على من كلفه الله برعاية العباد أن يبعد عنهم وعن أعمالهم أهل الفساد[3].

1- نظرا للتعامل بالموازين والمكاييل والمقاييس والمعايير، والتي أصبحت كلها في أيد اليهود يحددون قيمتها كيف ما شاؤا ووقت ما أرادوا. يطفغون أوزا ـا وينقصون قيمها بجعلها بأيدهم، فإن ذلك من دواعي الخزي والعار الذي لحق بمن وضع في يد الكافر حقا يؤدي به حق الله وحقوق المسلمين كالميزان. فالميزان هو الحق الأحق، كما قال تعالى: ﴿**وأَوفُوا الْكَيلَ إذا كلْتم وزنواْ بالقسطَاسِ الْمستقيمِ ذَلك خير وأَحسن تأْويلاً**﴾ (الأنعام:152) فقد أمر سبحانه وتعالى بإيفاء الميزان بالعدل وذكر أن من أخل بإيفائه من غير قصد منه لذلك لا حرج عليه، بينما اليهود يعمدون للتطفيف والغش والخيانة وسلب الحقوق، المشروعة، فلا يعيرون الميزان معنا ولا هدفا وجهتهم في التعامل الربح، والمال قال تعالى: ﴿**ويلٌ لِّلْمطَفِّفين الَّذين إِذَا اكْتالُواْ علَى الناسِ يَستوفُونَ وإِذَا كَالُوهم أَو وزنوهم يخسرونَ أَلَا يظُن أُولَئك أَنهم مبعوثُونَ ليومٍ عظيمٍ يوم يقُومُ الناس لربِ الْعالَمين**﴾ (المطففين: 1-2-3-4-5)، وقال تعالى: ﴿**وأَوفُوا الْكَيلَ إذا كِلْتم وزنواْ بالقسطَاسِ الْمستقيمِ ذَلك خير وأَحسن تأْويلاً**﴾ (الإسراء: 35). أنظر للمزيد تفسير القرآن: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي.
والقسطاس بضم القاف هو الميزان أي آلة الوزن واسم للعدل قيل معرب من الرومية مركب من كلمتين هما (قسط أي عدل وطاس: كفتي الميزان)، وفي صحيح البخاري قال مجاهد القسطاس العدل بالرومية ولعل كلمة قسط اختصار لقسطاس، وما جاء في سورة الأنعام سبق بالقسط وهو العدل، لأ ـا سيقت مساق التذكير للمشركين بماهم عليه من المفاسد، ليعرفوا أن ما يفعلونه ظلم، والياء هنالك للملابسة).
أنظر لمزيد من التفصيل تفسير القرآن التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور في شرحه لسورة الأسرى.
فالصاع يساوي أربعة أمداد، والمد يساوي 625 غرام ما يعادل 2 كيلو ونصف تقريبا.

2- أقدر العشرة التاسعة من القرن التاسع ب،890هـ. /1485م وعلى حسب السياقات فقد كتبت هذه الرسالة بعد رسالته لكل مسلم ومسلمة، وبعد انتقاله لقصور توات سنة 877هـ. /1472م بحسب الدكتور جون هنيك الذي حقق للإمام المغيلي كتابه أسئلة الحاج محمد بن أبي بكر أسكيا وأجوبة المغيلي، فقد اعتبر تلك السنة بأول قدوم للإمام المغيلي لقصور توات فبحسب ذلك يكون عمر الإمام 54 سنة، وأعتقد أن له قدوم قبل هذا التاريخ بحيث ثبت انتقاله للقاهرة للدراسة ولو لفترة قصيرة ذلك سنة 866هت/1459م. وكان انتقاله لأداء فريضة الحج سنة 861هـ. /1457م ورحلته الثانية كما أرخ لها جون هنيك لقصور توات كانت سنة 878هـ. /1483م، أما رحلته لمدينة فاس كانت سنة 897هـ. /1492م. وهكذا كتب هذه الرسالة بعد رجوعه من فاس، فقد تدفق العديد من اليهود المطرودين من الأندلس والمتوجهين للبلاد الإسلامية، فرسالته لكل مسلم ومسلمة كتبت قبل ذهابه لفاس، لأنه لما أعياه وكثر حوله الرهط والغلط، والاستباح كتبها وأرسلها راجيا ردود علماء عصره، ولما وصلته الردود عليها قام بالنفرة فيهم وقبل وصول الردود استبطأ رأي علماء عصره فانتقل لفاس وتحاور مع سلطا ـا الشيخ بن زكريا الوطاسي المريني سنة 891هـ. /1486م حيث كان عمره آنذاك 55 سنة. لمزيد من التفصيل أنظر بحثنا الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد النهضة العلمية والإصلاحية والجهادية بقصور توات وبإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن 8هـ. /15م ص16. ورغم هذا لم يحدد لنا العشر الأولى أو الأخيرة من القرن التاسع هجري.

3- ما يوحي لنا من خلال استنطاق هذه العبارات أن هذه الرسالة كتبت قبل إصداره لرسالة الاستخلاف لإبنه محمد عبد الجبار، وإن كانت هذه الرسالة لا تحمل تاريخ كتابتها ونشرها بين=

وكيف لا وقد كتب عمر رضي الله عنه للأجناد: أن الله تعالى قد أغنى المسلمين بالمسلمين فلا تجعلوا النصارى في أعمالكم وفي المدونة[1] قال مالك، وأمر عمر رضي الله عنه أن لا يكونوا جزارين[2] ولا صيارفة[3] وأن يقاموا من أسواقنا كلها[4]، فإن الله قد أغنى المسلمين بالمسلمين، فقال ابن رشد إنما كتب عمر بما كتب به من هذا لعلمه أنه مسؤول عن رعيته لقول النبي صلى الله عليه وسلم (كلم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) (الحديث) [5].

قال وإذا وجب على الإمام النظر لرعيته فيما يدخل عليهم به الضرر في أموالهم، فنظره لهم فيما يدخل به عليهم الضرر في أديا م[6] أوجب منعه فرأى رضي الله عنه أن لا يكون النصارى في أسواق المسلمين[7] جزارين، أو صرافين، لأن الجزارين من النصارى، وإن كانت تحل ذبائحهم لقول الله تعالى: ﴿**وطَعام الَّذين أُوتواْ الْكتاب حلٌّ لَّكُم**﴾ [8]، فلا يعني للمسلم أن يأتمنه على تزكية ماغاب عليه ويتخذه في ذلك إماما.

=كافة المسلمين والمسلمات يقول فيها بعد البسملة والتصلية على خير البرية صلى الله عليه وسلم (إلى جميع المسلمين والمسلمات سلام عليكم ورحمة الله وبركاته). أما بعد فإن المؤمنين إخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا (وقد علمتم ما كتب فيه من الجهاد في الكفرة وأهل الفساد، حتى تولت بالولاية الشرعية على جميع ناحية توات) وغيرت فيها بحمد الله ما لا يحصى من المنكرات ثم استخلفت ولدي محمد عند سفري... إلخ.

لقد انحصر الصراع والتراع الجدلي بينه وبين علماء عصره وبينه وبين قاض القضاة، فالقاضي يريد أن يكون الآمر والناهي بحكم ماله من سلطة قضائية، والمغيلي يريد أن يكون هو أساس السلطة القضائية، والدينية والعلمية والسياسية، وهو ما يطلق (بالولاية الشرعية) ويمكن أن نسميه في عصرنا الصراع والتنابز بين السلط (القضائية والإدارية، والسياسية والتنفيذية)، ودائما كان ثمة عنصرا يزكى الصراع ويشعل النار وينفخ في الرماد اليهود ومن ناصرهم.

1- كتاب في الفقه المالكي لصاحبها الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه.

2- خلال إعداد هذه الرسالة كانت الجزارة عيب أن يتعاطاها أهل البلد فكانت توكل خدمتها للعبيد، وحين تناقض ذلك أصبح اليهود يقومون ا بأنفسهم، وفي المرحلة الأخيرة جعلوا على حوانيتهم مسلمين خداما يجزرون ويبيعون لهم.

3- عملية الصيرفة كانت تحت يد اليهود كما كانوا يتحكمون في الموازين فحددا قيم الدينار، والدرهم، والقيراط والأوقية الفضية.

4- طلب الإمام المغيلي إبعاد اليهود من الأسواق، ولكنهم كانوا يتحكمون في كل دواليب الحياة فإبعادهم يؤدي حتما لتعطيل التجارة بحسب رأي الشيخ عبد الله العصنوني رحمه الله.

5- الحديث رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته...إلخ) رواه ابن ماجة وصححه الألباني.

6- فقد أفتى الإمام المغيلي بترع تلك الأصوعة، والموازين من أيد اليهود، وهذا واجب على الإمام الذي بيده أمر المسلمين، وقد كتبت (في أديا م) والأصح في دينهم.

7- من مناكرهم كانوا يبيعون اللحم الغير صالح.

8- سورة المائدة، الآية 5.

والصرافون يستبيحون الربا، ويستحلونه، فإذا كانوا في أسواق المسلمين وقع الجهال منهم معهم فيه إذ لا يمكنهم التوقي منه لجهلهم، وذلك ضرر لعامة الناس فوجب النظر في ذلك لهم بما يقطعه عنهم من منعهم من الأسواق، فقد قال سحنون لهذه العلة يمنع من السوق كل من يبصر البيع من المسلمين انتهى كلام ابن رشد بنصه فلا يوكَّلُ ذمى ولو كان عهد المسلم على بيع وشراء أو إبضاع أو اقتضاء من مسلم[1]. وإذا علمت ذلك علمت ما عليه الغلفاء المذكورون من الخسران في توليتهم على أمانتهم أولياء الشياطين لأن الله تعالى أمنهم على ما ملكهم من أمور تلك البلاد فجعلوا أمانته التي أمنهم عليها بيد أهل الفساد فهم يحملون أوزارهم وأوزار اليهود، مع أوزارهم في كل ما يفسدون من السكة[2]، والموازين وفي كل ما يفعلون من ضرر المسلمين، لأ م مكنوهم من الضرر ودافعوا عنهم ومن كتم سواء قوم كان منهم

إذا كنت في أمر فقم فيه ناصحا ∴ وإن تستنب فاختر خيارا لأهله
ومن يأت بالكلب العقور لباب ـ ه ∴ فعقر جميع الناس من سوء فعله[3]

فانظروا رحمكم الله لأنفسكم قبل الفوت فإنه لا بد من الموت اليوم في الدور وغدا في القبور، وإلى الله النشور﴿ **فَمن يعملْ مثْقَالَ ذَرة خيرا يره ومن يعملْ مثْقَالَ ذَرة شرا يره** ﴾[4].

1- من خلال السياق يتضح أن الذين يستقدمون ويخدمون اليهود من الغلائف لهم دراية وعلم بالشريعة وأحوال الدين ومع هذا وحتى يتمكنوا من بيع سلعهم ونفاذها، يجعلون الموازين، والأصوعة في يد الكافر، وهو ما أفتى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بتكفير من يتعامل ويبيع ويشتري منهم، فعلى من له وبيده السلطة السياسية والدينية والخلقية أن يرعى مصالح الناس بعيدا عن الكفار.

2- السكة تمت الإشارة لها فيما سبق من هذا الكتاب بالباب الثاني فهي تمثل المول أو الرحى والقوالب الأساسية التي تستخدم لصك النقود، الدينار، والدرهم، والأوقية، والخروبة، فبامتلاكهم هذه القوالب يقدرون قيم الدرهم والدينار والأوقية والقيراط الذهبي. والمول أو القالب كان مصنوع من الخشب، ومن الحديد، ومن النحاس يذاب البرنز والحديد، والتبر، والفضة، والنحاس فيصب في القوالب بعد تحديد الكتابة والصورة أو الختم المحدد من قبل القاضي الشرعي، وفقا لمنسوب مياه الفقاقير، ولكنهم نحو منحا آخر بتوفر القولب والسكك عندهم.

3- لقد تمت كتابة هذه الأبيات من طرف الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في رسالته التي أعدها لمحمد بن يعقوب زنقا أمير إمارة كانو بنيجريا والتي أنجزت سنة 897هـ ـ /1492م فقد تزامنت مع سقوط آخر معقل للمسلمين بالأندلس، لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي دوره في تأسس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية طبع دار الغرب سنة 2008، ص108، المطلب الرابع كما جاء ذكرها في كتاب الإمام المغيلي (مصباح الأرواح في أصول الفلاح) الذي حققناه تحت عنوان مدونة الفقه التصوفي، ج1، دار القدس العربي سنة 2011، ص169.

4- سورة الزلزلة، الآية 7و8.

هي الدنيا غرور في غ . . رور ∴ وأحلام تمر مع الدهـ . . . . ور
هي الدنيا تكنى أم نت . . . ن ∴ ومرجع من عليها للقبـ . . . ور
لها كيد عظيم من نعيـ . . . م ∴ وبيض قاصرات الطرف حـ . ور
وأبناء وأمـ . وال حسـ . . . ان ∴ وجنات مشيدة القصـ . . . ور
تر الناس منها بعض شـ . . يء ∴ وتدنى نحوهم كفـ . ن الغـ . رور
فمن يرقى لها يلقى صريعـ . . ا ∴ ويرقى صدره بعض النسـ . . ور
فطوبي لامرئ ولي سريعـ . . ا ∴ وأولى لنفسـ . ه خيـ . ر الأمور[1]

وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله هداية، وما يتذكر إلا أولوا الألباب، ويتوب الله على من تاب والله الموفق للصواب[2].

الموازين والمكاييل والقياسات التي وضعت بيد أهل الذمة
وحدة النسق التقديري

أولا: المقاييس:

علاقة المقاييس بوحدة النسق المقاسي تبرز العلاقة من خلال الاستعمالات التي كانت جماعة القصر تقوم ـا من خلال عملية البيع والشراء للأراضي سواء للفلاحة أو لبناء المساكن أو لتوسيع الجنائن. ومن وحدات المقاييس المستعملة في مناطق توات نجد على سبيل المثال:

1- الشبر[3]: وهو ما يساوي الامتداد ما بين الخنصر والإ ـام عند فتح اليد[4]، لقد كان هو الوحدة المستعملة قبل ظهور الوحدات الحديثة كالأمتار وغيرها.

2- الذراع: وهو الامتداد ما بين عقدة المرفق و ـاية الوسطى، ويساوي تقريبا (50سم)[5].

1- هذه الأبيات السبعة جاءت في مخطوطة الإمام المغيلي (مصباح الأرواح في أصول الفلاح) والذي تم تحقيقه من طرفنا تحت عنوان مدونة الفقه التصوفي، ص162.

2- هنا أتت ردوده على قسم الأسئلة الواردة في القسم الأول من هذا الكتاب.

3- لقد قدره موني في كتابه "كشف جغرافي لإفريقيا الغربية" بـ. 21,5 سم تقريبا.

4- لقد وصل إلى قصور تمنطيط وبالذات سنة 815هـ. الموافق 1411م الشيخ أبو يحيى بن محمد وكان قاضيا بتمنطيط، يتلقى أجرته من السكان، وقدروها له بـ. 500 مثقال ذهبي. كان أول من جلب لتوات مقادير المكاييل والموازين، وضبط قوانين الشريعة. أنظر كتابنا: "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية"، ص141.

5- لقد كانت الجماعات في القصور التواتية تقيس بالذراع خاصة عندما يتعلق الأمر مثلا:
1- بقياس عدد الأذرع من القماش، فنقول اشتريت 4 أذرع من القماش لخياطة جلابية.
2- بقياس طول الأراضي فنقول بالدار 20 ذرعا.

3- **القامة**: وهي ما يساوي بالتقريب أربعة أذرع. وتقدر عند الرجل المتوسط بفتح الذراعين، فقد كانت هي الوحدة الأساسية، كذلك عند شراء وبيع الأرض أو عند شراء القماش[1] لخياطة عباءة أو عند شراء حواق للاستعمال من طرف الشاري، فنقول: أقطع 4 قامات.

4- **الميل**: لقد كان يستعمل في قياس المسافات الكبيرة، وقدره "موني" بـ 1920م تقريبا ونلاحظ أن استعمال الأوزان كان قليلا، فقد استعملت بدلها المكاييل.

ثانيا: الموازين:

1- **المثقال**: كان يساوي وزن 72 حبة من القمح المتوسط. وهنا تبرز علاقته بوحدات قياس حبات الماء عند توزيع مياهها. وقد حدد وزن المثقال بـ 4 غرامات، وهو يعادل وزن 96 حبة من القمح.

2- **الأوقية**: تساوي 27,5غ تقريبا، وقد ذكرت كثيرا في أدبيات وتوزيع مياه الفقارة، مما يحمل على الاعتقاد استعمالها مثلها مثل الخروبة.

ثالثا: المعايير:

لقد كانت مادة المعايير المستعملة إما من النحاس، أو من الحجارة،أو من الرصاص، أو من الزجاج. أشكالها ليست لها أشكال موحدة مما يحمل على الاعتقاد بأن المراقبة عليها لم تكن وافية.

4- **الفرسخ**: لقد كان تقاس به المسافات الطويلة لم يكن مستعملا قبل القرن الخامس والسادس عشر ميلادي، بل تطور التعامل به بداية القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ميلادي. وهو يساوي ثلاثة أميال، أي: 1920×3 = حوالي 5760 مترا بالتقريب.

5- **البريد**: لقد كان استعماله قليل جدا، وقد أشار إليه "جبى مارتن" في كتابه المغرب في أربعة قرون، وكان ذلك للمقارنة فقط، هو يساوي المسافة التي تعادل سير ساعة بالحصان المسرع.

رابعا: المكاييل:

تقسم المكاييل إلى ثلاثة وحدات هي: المد، الصاع، والمودى.

1- لقد كانت تقاس ـا الأراضي في البستان عند الشراء، فنقول: بالبستان 120 قامة، وبالدار أربعة قامات.

6- فالمد: يساوي سعة أربع ألواح بجمع اليدين وقد قدره "موني" بما يعادل 0,75سل.

7- الصاع: وهو يساوي أربعة أضعاف المد أي ما يعادل ثلاث لترات تقريبا

8- المودى: وهو يساوي ما يحمله الرجل من حبوب أو غيره في كيس.

لقد كان التعامل بهذه الوحدات شائعا، وقد ارتبط استعمالها بالشريعة الإسلامية. قال تعالى: ﴿**ويلٌ لِّلْمطَفِّفين الَّذين إذَا اكْتالُواْ علَى الناسِ يستوفُونَ وإذَا كَالُوهم أَو وزنوهم يخسرونَ أَلَا يظُن أُولَئك أَنهم مبعوثُونَ ليومٍ عظيمٍ يوم يقُومُ الناس لرب الْعالَمين** ﴾ [1]. وقال تعالى: ﴿ **الرحمن علَّم الْقُرآنَ خلَقَ الْإنسانَ علَّمه الْبيانَ الشمس والْقَمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفَعهاَ ووضع الْميزانَ أَلَّا تطْغوا في الْميزَان وأَقيموا الْوزنَ بِالْقسط ولَا تخسِروا الْميزانَ** ﴾ [2].

جاء في معرض رد الإمام المغيلي على أسئلة محمد بن أبي بكر أسكيا الكبير لجواب المسألة السابعة، حيث يقول: وصفة الكيل أن يعقد الكيال المكيال معتمدا، ثم يصب فيه الكيل برفق حتى يمتلئ امتلاء من غير تدكين، ولا تستفيد، ولا زلزلة ولا حيلة، إنما يعادل المكيال في وضعه ويصب فيه حتى يمتلأ بطنه"[3]. ويواصل: "ومن الضروري ونحو ذلك من دعاوي السحرة وأفعالهم منهم من يطفف المكيال والميزان بالزيادة والنقصان".

ويقول الإمام المغيلي: "وأما التطفيف فهو حرام بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، فواجب على الأمير أن يجعل أمينا على الأسواق وحفظ الأرزاق، فيصلح موازين كل بلد على نسبة واحدة بتقديم الميزان والوزن وتسوية الصنوج حتى لو فرقت مائة مثقال بالصنوج كلها لا تنقص ولو جمعتها بتلك الصنوج كلها لا تزيد"[4]. لقد كان التعامل بالمكاييل المحلية شائعا، بحيث لم يكن من الممكن كراء أو تخريص، أو تخميس بستان أو دار إلا عن طريق هذه المكاييل المحلية،ففي التعامل الذي كان يتم لتخريص "جنان" عند كتابة الوثيقة العرفية التي يعدها الشاهد بحضور جماعة القصر إذ كان يتم ذلك أمام الجماعة وبحضور الخراص والمخرص، فيكتب في الجريدة مثلا: بالبستان 5 حبات ماء، يخرص لفلان بعد الاتفاق على ذلك بـ . :

1- سورة المطففين، الآية 1-5.

2- سورة الرحمن، الآية 1-9.

3- أنظر كتابنا: "أجوبة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي على أسئلة الحاج محمد بن أبي بكر أسكيا الكبير" ص154، 158-159.

4- أنظر كتابنا: "أجوبة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية"، ج1 ص215 حتى 219.

- 3 قصعات قمح.
- 5 قلبات شعير
- أما منتوج التمر فحسبما جادت به النخيل

وهكذا كان استعمال (لمسطمن) و(أزقن) و(القروي)، و(الغرارة) وما شابه ذلك يستعمل استعمالا واسعا في هذه الديار[1].

ضبط قوالب وسلالم القياس
لنظم توزيع مياه الفقارة وأثره على مصالح المسلمين

أولا المكاييل

يأمر الله سبحانه وتعالى بإيفاء الكيل والميزان حيث قال تعالى: ﴿ **وأَوفُواْ الْكَيلَ والْميزانَ بالْقسط** ﴾[2]، وقال: ﴿ **وأَوفُوا الْكَيلَ إذا كلْتم وزنواْ بالقسطَاسِ الْمستقيمِ ذَلك خير وَأَحسن تأْويلاً**﴾[3]. وينهي عن التلاعب بالكيل والوزن وتطفيفهما فيقول تعالى: ﴿**ويلٌ لِّلْمطَفِّفين الَّذينَ إذَا اكْتالُواْ علَى الناسِ يستوفُونَ وإذَا كَالُوهم أَو وزنوهم يخسِرونَ أَلَا يظُن أُولَئك أَنهم مبعوثُونَ ليومٍ عظيمٍ يومَ يقُوم الناسَ لرب الْعالَمين**﴾[4].

لقد استخلص إنسان ا تمع التواتي الواحي مجموعة من الأدوات تؤمن للفرد أسباب العيش وتضمن للمجتمع سيرورته في كنف الحق والعدل، ويضمن بذلك كيفيات تنظيم و تذيب العلاقات الإنتاجية داخل نمطي الإنتاج السائدين (الخماسة، والخراصة).

وقد نظم بذلك مجموعة من "عوامل وقوالب التقنين المقاسي"[5] لتساير الإنتاجية المحددة والتي تأثرت كثيرا بفعل مركزية المنطقة التواتية للقوافل التجارية وتأثيرا ا.

إن هذه الضوابط كانت مسايرة وملازمة لنظام الضبط العرفي المتمثل في كراء وشراء وإنتاج مياه الفقاقير.

1- لمزيد من التفصيل، أنظر كتابنا: "علاقة الأبجدية التيفناقية برموز وإشارات توزيع مياه الفقارة، ج4، طبع دار هومة للنشر والتوزيع، سنة 2008، ص11-12-13.
2- سورة الأنعام، الآية 152.
3- سورة الإسراء، الآية 35.
4- سورة المطففين، الآية 1 و6.
5- نعني بالتقنين المقاسي العرفي هو مجموعة القواعد والضوابط العرفية التي لا يمكن للمجتمع إلا التعامل ا وفق ما تفرضه علاقات الإنتاج من جهة وقانون العرض والطلب، ومن جهة أخرى تأثر السوق الداخلية بعوامل الإنتاج الخارجية.

إن نظام المكاييل تمثل في استخلاص الأوعية والمواعين، المتمثلة في استخلاص العلاقة التالية: (قوة العمل + مدة زمنية= ملء وعاء).

ومن هذه المكاييل تكون "الهبظة" وهي أصغر وحدة كيل، وتعتبر الوحدة الأساسية الأولى في المكاييل المعتمدة.

1: الهبظة: هي كمية ما تحمله قبضة يد رجل متوسط.

2: الكمشة: هي أكبر بقليل من الهبظة. 6 كمشات = أمسطمن.

3: ربع ثمن: = 3 كمشات.

4: أمسطمن: = 6 كمشات يقدر (برطل) نصف كيلوغرام.

5: الثمن: 2 مسطمونة.

6: الربع: 4 مسطمونة.

7: أزلوف: 6 مسطمونة.

8: أزقن: 8 مسطمونة.

9: الرابعة: أزقن ونصف أي 12 مسطمن.

10: الكوز: 2 أزقان.

11:القروي: 3 أزقان.

12: القلبة: 6 أزقان.

13: القصعة: 12 أزقان أي: قلبتان.

14: لغرارة: 5 قلبات أي: نصف حمل.

15: الحمل: 12 قلبة أي: 72 أزقن.

تمثل الكمشة أو الهبظة الوحدة الأولى في المكاييل المحلية، والجدول التالي يظهر العلاقة بين الكيل وميزانه:

	الرقم	الوحدة	محتواها	كمية وزنا بالكلغ تقريبا الوزن	ملاحظة
أولا	01	الهبظة	ضمة اليد	50غ	تختلف هذه الكمية من منطقة لأخرى
	02	الكمشة	محتوى اليد	55غ	
	03	اليد	ملء راحة اليد	110غ	
	04	ربع ثمن	يساوي 3 كمشات	165غ	
	05	ثلث ثمن	يساوي 4 كمشات	220غ	
	06	لمسطمن	يساوي 6 كمشات	330غ	
ثانيا	01	الثمن	2 أمسطمونة	660غ	تختلف الكمية بحسب منسوب الفقارة
	02	الربع	4 أمسطمونة	1,320كغ	
	03	أوزلوف	3 أمسطمونة	1,980كغ	
	04	أزقن	4 ثمونة أو 8 أمسطمونة	2,640كغ	
	05	المد	ملء راحة اليد	0,75 سل	
	06	الصاع	4 أضعاف المد	يساوي ما يعادل 3 لترات تقريبا	
ثالثا	01	الرابعة	3أربوعة أو 12أمسطمن	3,960 كغ	تختلف الكمية بحسب كمية سيلان الفقارة ارتفاعا وانخفاضا
	02	القوري	3 أزقان	7,920 كغ	
	03	نصف قروي	2 ربعات	3,960 كغ	
رابعا	01	القلبة	2 غرارات أو4 رابعات أو 6 أزقن	15,840 كغ	يختلف الوزن والكيف بحسب ضعف وقوة الفقارة
	02	القصعة	2 قلبات أو 12 أزقن	31,680 كغ	
	03	لغرارة	6 قلبات	95,040 كغ	
	04	الحمل	12 قلبة	190,080كغ	

إن اختلاف المكاييل والموازين يرجع في الأساس لعدة عوامل أهمها:

- شساعة وتباعد المناطق عن بعضها البعض.

يتم استعمال المكاييل والموازين بحسب الظروف المحيطة بالفقارة، الموازين صغيرة والعكس.

(قوة صبيب الفقارة = وعاء أقل ← ارتفاع سعر المنتوج).

و (ضعف صبيب الفقارة = أوعية أكبر ← ضعف المنتوج).

- لم يسبق للمنطقة أن عرفت هذه الموازين والأعيرة إلا بعد دخول الإسلام للمنطقة.

فقد كان التعامل يتم على أساس تجارة المقايضة، وبضاعة ببضاعة، فلم يعرف ا تمع الصوان إلا بعد انتشار التجارة الخارجية مع الشمال والجنوب الغربي.

فالتبادل كان يتم عل أساس:

1- التقرير والتقدير الشفهي والملاحظي للبضاعة.
2- عن طريق التحديد والتمييز لها.
3- عن طريق التماثل والتضاهي للأشياء.
4- يتم تقدير القيمة بالمشاهدة والمحاكاة.
5- بكثافة وقلة المعروض في السوق.

ثانيا: الموازين

لقد كانت وحدة القياس للموازين تساوي (المثقال الذهبي) الذي يساوي 24 قيراط أو 24 موزونة أو خروبة. لقد كان التعامل يتم بهذه الموازين مع القوافل التجارية التي كانت تعبر المنطقة في اتجاه إفريقيا الغربية ومنها لبلدان المغرب العربي والشرق العربي خلال القرون 10 إلى 19 ميلادي.

لقد كانت عملة الذهب والفضة أساس التعامل، أما عملة الفضة فقد كانت توزن بموازين الذهب، وتقدر على أساسها كثلاثة دراهم من الفضة وعشرة دراهم نحاس.

إن اختلاف الموازين كان يتحكم فيه موقع القصر أو القصبة في تواجدهما في الهرم السلطوي للتنظيم الواحي العرفي. فمثلا (آزقن تمنطيطي) أكبر من أزقن تطافي، وبداوي، ورقاني لذلك كانت تسمى بمواقع استعمالها للتفريق والتمييز.

فعلى سبيل المثال نجد أن:

1- أزقن تمنطيطي كبير.
2- ثمن تمنطيطي كبير.
3- ثمن تطافي صغير.
4- ثمن تيماوي صغير.

كما أن هناك تسميات أخذ ا المكاييل والموازين وهي دائما حسب الموقع وقوة وضعف الفقارة وتواجد الهرم السلطوي للقصر أو القصبة، فمثلا:

1- الغراف = 6 كمشات وهو يمثل أمسطن تيماوي.
2- الثمن = 3 غراريف.
3- الربع = 2 أتمونة.
4- أزقن= 4 أربوعة أي: 12 غراف.

إن هذه الموازين كلها مركبة من 24. فالهبظة تمثل أصغر وحدة كيل لأن 8 قبضات= أمسطمن، و6 هبظات تماوية= أمسطمن، وهي مركبة على الشكل التالي:

1- الهبظة أو القبضة = نصف الثمن بزاوية سيدي عبد القادر.
2- الكمشة.
3- ربع ثمن= 3 كشمات[1].
4- أمسطمن = 6 كمشات.
5- الثمن= 2 أمسطمونة.
6- الربع= 4 أمسطمونة.
7- أزلوف= 6 أمسطمونة.
8- أزقن = 8 أمسطمونة.
9- الرابعة = 4 أزقان.
10-القروي= 3 أزقان.
11- القلبة = 6 أزقان.
12- القصعة = 12 أزقان.
13- الكوز = 2 أزقان.
14- الحمل = 10 قصعات.
15- لغرارة = 5 قلبات.

1- تمثل الكمشة معيار أمسطمن على مستوى زاوية سيدي عبد القادر

وإننا نرى الاختلاف الواضح في تحديد العدد والكمية، وهذا يعود لعاملين هما:

1- تواجد القصر في الهرم السلطوي.

2- ضعف وقوة صبيب الفقارة.

ومن أهم الموازين التي كانت سائدة آنذاك:

1- المثقال الذهبي ويساوي ما بين 60 و72 حبة من القمح المتوسط الحجم[1].

2- الدرهم: يساوي سبعة أعشار الدينار[2].

3- الدينار: يساوي 40 درهما، فيكون هذا يساوي:

$$2,8 = \frac{40 \text{ x } 7}{10}$$

يساوي 2,8× 40 = 112

4- الأوقية: وتساوي 25,5 غ أو 27,5 تقريبا[3].

فالموازين المستعملة كانت إما مصنوعة من الجلد، أو من ليف النخيل أو من سعفها، أو أحيانا من خرق من الكتان، وقد شاع استعمال موازين مصنوعة من صفائح نحاس أحمر وأصفر ومن الحديد.

ثالثا: المقاييس

لقد كانت المقاييس يعتمد عليها خلال بيع الأراضي أو شرائها لإنجاز القصبات والقصور أو إنجاز بساتين أو سكنات فردية.

فقد كان التعارف عليها ومن خلالها تتم العلاقة بين البائع والمشتري، وهي كذلك تخضع للقاعدة 24 في حين يمثل فيها صبيب الفقارة دورا هاما، فقيمة أرض بيضاء أو أرض بور أو أرض لبناء مسكن قيمتها تتحدد بحسب قربها وبعدها عن مصب الفقارة.

لقد حددت وحدة المقاس العرفي فيما يطلق عليه بـ "الشبر" الذي كان يتم القياس على أساسه.

1- هنا يظهر الاختلاف بالموازين والمكاييل باختلاف حجم حبة القمح، الناتج أساسا عن ضعف وقوة منسوب الفقارة.

2- أنظر لمزيد من الإيضاح تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، د.يحي بوعزيز، حيث حدده هو بـ 10/4 دينار.

3- أنظر: د.عبد القادر زبايدية، في مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ص200.

1- الشبر[1] وهو ما يساوي الامتداد ما بين الخنصر والإ ام.
2- الذراع[2] وهو الامتداد ما بين عقدة المرفق و اية الوسطى.
3- القامة[3] وهي إشراع اليدين.
4- الميل[4] وهو ما يستعمل في قياس المسافات الكبيرة، ويساوي 3500 ذراع= 1,75.
5- الفرسخ[5] ويساوي 3 أميال أي: 5760م تقريبا.
6- البريد[6] يساوي أربعة فراسخ، أربعة برود × أربعة فراسخ = 16.
7- 2000 ذراع = 1كلم، أي: 1,75× 48 = 84 كلم[7].

رابعا: المعايير:

لقد اختلف استعمال المعايير من منطقة لأخرى، ودائما بحسب قوة وضعف منسوب الفقارة وعلى أساس قاعدة 24.

فقد استعملت معايير من النحاس الأحمر والأصفر، كما استعملوا الحجارة بحسب ما تم التعارف عليه بين ا موعات المكونة للحي القصوري الواحي المشغول كالقصر أو القصبة.

لم تكن هذه المعايير ذات أشكال ومواصفات جيدة فقد كان يكثر ا التدليس والغش.

وبما أن العامل الحاسم في العملية الإنتاجية لم يكن ليحسب في أي دورة إنتاجية أو اقتصادية وهو عامل (الزمن)، وعامل حساب ا هود المبذول لإنتاج البضاعة، فقد غيب ا تمع عن غفلة أو تعمد هاذين العاملين الذين يدخلان في تحديد قيمة المنتوج ويعطيان للعملية الإنتاجية بعدها الحقيقي، إلا أننا لا نجد لهما أي حساب في تحديد قيمة السلع. غير أن هناك عوامل نجدها ساعدت على عدم احتساب عامل الزمن، ومنها:

1- الشبر: هو وحدة القياس وهو ما يعادل 21,5سم
2- الذرع: وهو يحتوي على شبرين عند رجل متوسط يعادل 50سم. ذراعان = 1م، 4 أذراع = متران.
3- القامة: تساوي ذراعين من أذرع رجل متوسط.
4- الميل: وهو ما يعادل 3500 ذراع، وهو يعادل 1920م.
5- الفرسخ: وهو ما يعادل 3 أميال، أي: 3×1920 = 5760م.
6- البريد: وهو ما يعادل مسافة غير ساعة على الحصان.
7- أنظر كتابنا "الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقية الغربية"، ج1 ص219.

1- ما هو طبيعي كالرياح الشديدة.
2- وتأمين طرق القوافل.
3- ومرض أو هلاك الحيوان الحامل للبضاعة.
4- ومرض أو هلاك الإنسان الراعي للبضاعة.
5- والإغارة على القافلة وتغيير مسارها.

إن هذه النظم والتقانين العرفية لم تضمحل وتفقد قيمتها الكبرى إلا بعد ظهور معايير جديدة ساير ا حتى كادت أن تقضي عليها، ولكنها همشتها ولم يبق التعامل ا إلا لما يطلق عليه التعامل العرفي للموازين خلال ربط العلاقة الإنتاجية العرفية (نظام الفقارة)، ففي بداية القرن 19م و اية القرن 20 تمت الاستعاضة عنها بصفة منتظمة ولتدخل المعايير العالمية منظومة التقنين التسوقي.

غير أن عامل موت وا يار الفقاقير كان له الأثر الأكبر في تراجع التعامل بالمعايير القديمة.

فقد حلت علاقات إنتاجية جديدة تمثلت أساسا في:

1- أصبح بيع قوة العمل يتم على أساس مبلغ مالي معين مما يسمح للفرد باقتناء حاجاته البضاعية باستعمال معايير مقدرة على أساس مبلغ مالي محدد.
2- دخول العملية الإنتاجية مراحلها الأولى وهي قانون العرض والطلب.
3- ظهور تقسيم جديد للعمل ظهر بموجبه عمال جدد يعملون ساعات أقل ويتلقون أجورهم نقدا.

وبذلك بدأت شيئا فشيئا تضمحل القاعدة التالية: (بيع قوة العمل = أمسطمن من القمح). وبذلك ظهرت قاعدة جديدة بدأ التعامل ا وهي: (قوة العمل + مدة زمنية محددة = مبلغ مالي معلوم).

وهكذا دب الضعف والهوان في علاقات الإنتاج السائدة: الخماسة، والخراصة، وبالتالي ضعف القاعدة التعاملية بموازنيهم[1].

فقد حلت قواعد سوق جديدة أدت إلى ضعف وا يار علاقات الإنتاج السائدة مثل:

نظام الخماسة. نظام الخراصة

1- أنظر بحثنا "تغير البنيات الزراعية في ا تمع التواتي من بداية القرن 19 إلى اية القرن 20 ميلادي، ص11.

إلا أن عملية الا يار مرت بمرحلة انتقالية ضمنت استمرار العلاقات القديمة، وبتفاعل العلاقات الجديدة، لم تستطع العلاقات الجديدة فصل القديمة لارتباطها وثيقيا وعرفيا، وهيدورولوجيا وإنتاجيا بسيرورة ا تمع، حيث تجذّرت فيه علاقات الإنتاج القديمة مما ربط علاقاته ا لحد تواصلها في كل دواليب الحياة.

إن بروز علاقات فلاحية إنتاجية جديدة في خضم العلاقات التقليدية البالية، سمحت للخماس والخراص باكتساب قطعة أرض للعمل داخلها سواء عن طريق التمليك أو الكراء أو العمل بالنصف، أو عن طريق كراء ماء الفقارة أو عن طريق نظام استصلاح الأراضي.

وقد أدى التحول الشامل للعلاقات الفلاحية إلى تقليص ساعات العمل مع رفع أجرة العامل في اليوم، فأصبح العمل يبدأ من منتصف النهار إلى العصر أي حوالي الساعة الرابعة مساء وذلك ليتسنى للعامل القيام بكل أعماله اليومية صبيحة النهار، ويتفرغ في المساء للعمل في الفقارة، وفقد شجع على ذلك:

1- وجود واستعمال وسائل نقل العمال، فبدل أن كان العامل يقطع نصف ساعة وأحيانا ساعة للوصول إلى أم الفقارة أصبح يصلها في ظرف ربع ساعة.

2- اشتغال الناس بالإدارات والمؤسسات العمومية وهو ما أضفى نمطا علميا جديدا أدى لتفريغ القصر والقصبة من اليد العاملة، والخلفة النجامية السابقة، مما أدى إلى تقليص أيام العمل بالفقارة ليومين فقط هما أيام العطلة الأسبوعية.

وفي الوقت الحالي تنادر العمل بالفقارة رغم محاولة القائمين عليها استعاضة الأساليب القديمة بالجديدة، كالوقت، ودفع الأجرة نقدا، والعمل أيام العطل فقط، ومع هذا بقيت الاستفاضة والنفرة الجماعية (التويزة) تعرف العزف والعزوف خاصة من عناصر الشباب القوة الفاعلة في رد الماء وتقويته في الفقارة.

ومع ذلك لازالت بعض الأعمال الاحتشامية ببعض المناطق كأولف وزاوية كنتة وتيميمون وأولاد سعيد، وشروين، ولمطارفة، ولكن العمل ضعيفا رغم رفع أجرة العامل من 500 دينار لليوم إلى 1000دينار لليوم بمعدل أربع ساعات في اليوم [1].

1- لمزيد من التفصيل، أنظر كتابنا: الأنماط الإنتاجية التقليدية في القصور التواتية، ج5، طبع دار هومة للنشر والتوزيع، سنة 2008، ص69-77.

الفصل الثاني
بيان موانع إعانة اليهود على التمرد على الأحكام الشرعية

في قوله والغرض أن هؤلاء الغلائف جهال ليس عندهم علم بوجوب الجزية وغيرها، من حقوق المسلمين على اليهود، فإذا قيل لهم إنكم أعنتم اليهود على التمرد ومنع الجزية، وإذاية المسلمين يقولون على هذا أدركنا آباءنا وعليه أدركت آباؤنا آباءهم، ولم نسمع قط من أنكر ذلك ولا من غيره من الفقهاء، ونحن إن قهرنا اليهود يرحلوا عنا إلى من يمنعهم فتدركنا المعرة، وتتعطل أسواقنا[1].

1- الإجابة على أسئلة الفصل الثاني

فأقول والله الموفق للصواب، ولا فضل للإنسان بالنظر لذاته على سائر الحيوان إلا بالعقل، ولا فضل للعقل إلا بالنظر، وأهم ما يجب على المرء أن ينظر فيه حق الله عليه في نفسه، وكل ما بيده، ولا ينظر في ذلك بعقله فهو أضل من الأنعام بجهله كما قال الله تعالى في الجاهلية: ﴿**إنْ هم إلَّا كَالْأَنعامِ بلْ هم أَضلُّ سبيلًا**﴾[2].

فهؤلاء العلماء الذين وصفت بالجاهلية، قد اتصفوا بأقبح حالة لا كنه يرجى لهم أ م لم يرتكبوا تلك المهام إلا لأجل جهلهم، فإذا سمعوا الحق تابوا إلى الله تعالى من سوء فعلهم. فيتوب عليهم كما قال تعالى: ﴿**ثُم إنَّ ربك للَّذين عملُواْ السوءَ بِجهالَة ثُم تابواْ من بعد ذَلك وأَصلَحواْ إنَّ ربك من بعدها لَغفُور رحيم**﴾[3].

وأما استدلالهم لسوء فعالهم فقولهم على هذا أدركنا آباءنا، فذلك بسبب جهلهم، حتى قالوا كما قال الجاهلية الأولون ﴿**إنا وجدنا آباءنا علَى أُمة وإنا علَى آثَارهم مقْتدونَ**﴾[4]. ﴿**وإذَا قيلَ لَهم اتبِعوا ما أَنزلَ اللّه قَالُواْ بلْ نتبِع ما أَلْفَينا علَيه**

1- أشار بوضوح إلى تعطل أسواق الناس إذا طرد اليهود من الديار.

2- سورة الأعراف، الآية 179. جاء بجزء من الآية قوله تعالى: ﴿**ولَقَد ذَرأْنا لجهنم كَثيرا من الْجن والإنس لَهم قُلُوب لاَّ يفْقَهونَ بها ولَهم أَعين لاَّ يبصرونَ بها ولَهم آذَانٌ لاَّ يسمعونَ بها أُولَئكَ كَالأَنعامَ بلْ هم أَضلُّ أُولَئك هم الْغافلُونَ**﴾ (الأعراف: 179). وفي آية أخرى من سورة الفرقان قوله تعالى ﴿**أَم تحسب أَنَّ أَكْثَرهم يسمعونَ أَو يعقلُونَ إنْ هم إلَّا كَالْأَنعامِ بلْ هم أَضلُّ سبيلًا**﴾ (الآية:44 من سورة الفرقان).

3- سورة النحل، الآية 119.

4- سورة الزخرف، الآية 23.

آباءنا﴾[1]، فقال الله تعالى في الرد عليهم ﴿ **أَولَو كَانَ آباؤهم لاَ يعقلُونَ شيئاً ولاَ يهتدونَ** ﴾[2] معناه أرضوا بإتباع آبائهم على كل حال، ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون سبيلا، فلا يمكنهم أن يقولوا نتبعهم على كل حال، ولو كانوا لا يعقلون شيئا، ولا يهتدون لأ ـا مقالة لا يقولوا ولا الحمير فلزمهم أن يقولوا، إنما نتبعهم على حال الهدى، وإذا قالوا هذه المقالة سقطت حجتهم وتبين خطؤهم في استدلالهم بفعل آبائهم، وبيان ذلك أن حال السلف لا يكون[3] للإقتداء حتى يكون حال هدى، ولا يكون حال هدى إلا بشروط أربعة:

الأول: أن يكون عالما: لأن من ليس بعالم كثيرا ما يظن بجهله الحق باطلا فيتركه، والباطل حقا فيفعله، فالمقتدى بمن يثبت علمه لا يعلم أي سبيل سلك.

الثاني: أن يكونوا متقين: لأن من لا يتقي الله كثيرا ما يغلب عليه هواه، فيترك ما أوجب الله عليه، ويفعل ما حرم الله عليه فالمقتدي بمن لم تثبت تقواه لا يعلم أي سبيل سلك.

الثالث: أن يكونوا مختارين لما فعلوه: لأن من جبر على فعل إنما فعله كرها، فليس بأهل للاقتداء به فيه، وإن كان عالما تقيا.

الرابع: أن لا يتبين ضلالهم فيما فعلوه: لأن من تبين ضلاله في شيء وجبت مخالفته في ذلك ولو كان عالما تقيا لأن الملك الله، والحق حق الله، والخلق عباد الله، ففرض لازم على من تبين له الضلال في شيء أن يتركه، وإن فعله من فعله، وإذا ثبت أن شرط المقتدي به في فعل أو قول أن يكون حاكما بحكم الله في ذلك تقيا مختارا لم يتبين ضلاله فيه[4].

1- استخلص من الآية القرآنية قوله تعالى: ﴿**وإذَا قيلَ لَهم اتبعوا ما أَنزلَ اللّه قَالُواْ بلْ نتبع ما أَلْفَينا علَيه آباءنا أَولَو كَانَ آباؤهم لاَ يعقلُونَ شيَئاً ولاَ يهتدونَ** ﴾ (البقرة: 170)، فقد اقتبس نص الآية دون الإشارة لها.

2- سورة البقرة، الآية 170.

3- ـاية الصفحة 7 من كل النسخ وبداية الصفحة الثامنة في أ وج. يقول الشيخ محمد عبدو (إذا تعارض النقل والعقل أخذ بما دل عليه العقل) وهذا منه هفاء لأن النقل مصدر وأساس فلا يعذب عنه شيء إلا ما طمس عن العقل إدراكه أو عجز في ملامسة نصه فيه وهنا لا يكون العقل إلا تابعا لما جاء في النقل.

4- يقول الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله في الكوكب الزهري في نظم مختصر الإمام الأخضري:

وصاحب الفسق أهجرن إن لم يتب ∴ وأحفظ جوارحك من كل العيوب
ولا تحل صحبة الذي فسـ . . . . ـق ∴ ولا مجالسته بدون حـ . . . . ـق
لا تلتمس رضى الذيـ . ـن خلقـ . ـوا ∴ بسخط الخالق جل الخالـ . . ـق
ويحرم الكذب والنميمـ . . . . ـة ∴ والعجب والكبر كذاك الغيبـ . ـة

ظهر ضلال الكفار في قلو م حسب ما وجدوا عليه آباءهم لأن آباءهم كانوا جهلة، أهل هوى، وإن زعموا أن آباءهم كانوا علماء أتقياء، فقد بين ضلالهم بما أنزل الله[1]. من الحق لا يصح الاقتداء م بعد بيان ضلالهم فهذا وجه الرد عليهم، ومنه يظهر لك حال هؤلاء الغلائف فاستدلالهم لضلالهم بفعل آبائهم لأن آباءهم كانوا جهلة أهل هوى، وإن زعموا أ م كانوا علماء أتقياء فقد تبين ضلالهم لأن إلزام أهل الذمة الجزية[2]

1- في هذا السياق يتبرأ الشيخ محمد بن عبد الكريم من هؤلاء القوم الذين أكرموا دين اليهود وأغفلوا دين الله فيقول:

برئ . . ت للرب الـ . . . ودود ∴ من قرب أنصـ . ار اليهـ . . . ود
قوما أهانـ . . وا دينهـ . . . م ∴ وأكرموا دين اليهـ . . . . . ود
يكفي الفتى من شينهـ . . . م ∴ وخبث أمـ . ل صنعهـ . . . . م
انقطعـ . وا عن دينهـ . . . . م ∴ ورفعـ . وا ديـ . ن اليهـ . . . . ود
باليتهـ . م لو دبـ . . . . . رو ∴ واسترجعوا واستغفـ . . . . روا
وستروا مـ . ا أظهـ . . . . روا ∴ من نصرهم رهط اليهـ . . . ود
ألم ترو كيـ . ف قضـ . . . ى ∴ رب الورى فيما مضـ . . . . ى
أني يفوز بـ . الـ . رضـ . . . ى ∴ من رضيت عنه اليهـ . . . . ود
لا شك أن الحـ . ق نـ . . ور ∴ في كل سوق لا يجـ . . . . ور
ينصره الرب الشكـ . . . . ور ∴ على النصارى واليهـ . . . . ود
فيا إلهـ . . ي بالنبـ . . . . . ي ∴ المصطفى الهادي التقـ . . . . ى
وكل قطـ . . ب وولـ . . . . ى ∴ شمت بأنصار اليـ . . . . . هود
صب البـ . لاء من فوقهـ . . . م ∴ والحق بقايـ . . ا رزقهـ . . . م
وافتح لهـ . م من محققهـ . . . . م ∴ بابا إلى نـ . ار الوقـ . . . . ود
إلا الذيـ . ن استغفـ . . . . . روا ∴ وجبـ . روا مـ . ا كسـ . . . روا
وبينـ . وا مـ . ا ستـ . . . . . روا ∴ حتى استقامـ . ت الحـ . . . دود
فاغفر لهم ما قد مضـ . . . . . ى ∴ واكتب لهم منـ . لك الرضـ . ى
وعجلن بمـ . ن قضـ . . . . . ى ∴ منهـ . م بجنـ . ات الخلـ . . . . د

تحتوي هذه الاستفاضة الشعرية على 18 عشر بيت أنظمها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ضمن رسالته لكل مسلم ومسلمة التي حققتها ضمن كتابي مدونة نازلة يهود توات طبع دار القدس العربي سنة 2012، ص112. وهي تظهر تلك المرارة والحنق الذي كان ينتابه كلما شاهد ذلك التقارب بين المسلمين واليهود.

2- الجزية: هي مال يعطيه الذمي ذكر بالغ حر قادر مخالط عند تمام كل سنة بصفة شرعية، فقد حددها عمر بن الخطاب بـ (ثمانية مثاقل ذهبا) أربعة منها أصل الجزية، وأربعة فيما يتبعها من الأرزاق ونحوها فمن كان لا يلحقه جور يعطيها كلها إن قدر عليها، ومن كان يلحقه جور يعطى أصل الجزية، ويحط عنه ما يتبعها وذلك إذا كان لا يتعدى شيئا من الحدود التي على أهل الذمة وإلا فلا يحط عنه للظلم شيء حتى يوفي بما عليه من شروط الذمة ويخفف عن الضعيف بحسب ضعفه، فلا حد لأقلها وتسقط عمن أسلم أو عجز حتى عن بعضها.

1- صفة أخذها: أن يجمعوا في مكان يوم إعطائها كالسوق ويحضروا بأخسه وأسفله قائمن على أقدامهم.

2- يتولى جمعها: الوالي أو رجل من أهل الخير بحيث يكون أخذها وصرفها على يد واحدة لا عن أيادي متعددة.

3- مصارفها: تصرف مصارف الفيء وسيرة أيمة العدل في صرفه أن يبدأ بسد مالا بد من سده من حصن وسلاح إلخ. لمزيد من التوضيح أنظر كتابنا نازلة يهود توات، ص144.

والصغار[1] فرض لازم لا خلاف فيه بين علماء الأمصار لقوله تعالى: ﴿**قَاتلُواْ الَّذين لاَ يؤمنونَ باللّه ولاَ بالْيومِ الآخرِ ولاَ يحرمونَ ما حرم اللّه ورسولُه ولاَ يدينونَ دين الْحق من الَّذين أُوتواْ الْكتَاب حتى يعطُواْ الْجزيةَ عن يد وهم صاغرونَ**﴾[2] وأما استدلالهم لضلالهم بقولهم ولم نسمع قط من أنكر ذلك ولا من غيره من الفقهاء فذلك بسبب جهلهم و تا م لأن كتاب الله يتلى عليهم بكرة وأصيلا، ومن أصدق من الله قيلا. وإن كان الأمر كما زعموا من أ م لم يسمعوا كلام الله وأنه لم ينكر ذلك عليهم أحد من الفقهاء[3]، فالآن[4] لا عذر لهم بعدما تبين لهم الحق لأن من شروط الاعتماد سكوت الساكنين الشروط الأربعة المذكورة في اقتداء الخلف بالسلف، وقد بيناها، فهؤلاء الذين لم ينكروا عليهم موالاة الكفار، وإعانتهم على الضرر والضرار وترك الجزية والصغار. إما أن يكون ذلك جهلا أو نسيانا.

قال مالك ثمار ابن آدم أن لا يعلم كل شيء، ومن شأنه أن يعلم ثم ينسى، ومن شأنه أن يعلم ثم يزيده الله علما، وقال أيضا من ذا الذي لا يخطئ. وأما أن يكون ذلك منهم طمعا كما قال الحسن البصري[5] رضي الله عنه عن مالك (الدين الورع، وفساد

1- الصغار: حاصله أن يلزموا الذلة والمسكنة في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم حتى يكونوا بذلك تحت قدم كل مسلم ومسلمة وحر وحرة وعبد وأمة، وأول ما يحتفظ عليهم صغارهم في دينهم بأن يدسوا ما خالف الشريفة المحمدية. للمزيد أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، مرجع سابق، ص146. قال تعالى:﴿**وضربت عليهم الذِّلَّةُ والْمسكَنةُ وبآؤوا بغضب من اللّه**﴾ (البقرة) جاء في تفسير هذه الآية في تفسير البغاوي للحسين بن مسعود البغاوي: جعلت عليهم الذلة وأزلموها قيل الجزية وقال عطاء السائب هو الكستيج والزنار وزى اليهودية والمسكنة والفقر.

2- سورة التوبة، الآية 29.

3- لقد شاهد بحسب سياقات الرتل السردي لاسترسال التصنيف أن علماء واقعة تواجد اليهود وغلائفهم لم ينهوهم ولم يمنعوهم مما خالف الشرع، فقد كان إن يكون مدعاة لذوي العقول الضعيفة استلهاما وتتبعا، لولا نصح العلماء الأتقياء والفقهاء الأجلاء حفاظا على الدين من مس الأعداء الضالين المضلين.

4- لقد كتب في أ و ج فالان وهو خطأ من الناسخ والأصح بما صوبناه.

5- هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، ولد في أواخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة 21هـ. /641م. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فكان إذا غابت أمه عنه وبكى توضعه أم سلمة رضي الله عنها، تعلله به إلى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها فسر به، فيقال أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة تلك الرضاعة.

نشأ بوادي القرى وكان من أجمل أهل البصرة حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث، قال الأصمعي عن أبيه ما رأيت أعرض زندا من الحسن، كان عرضه شبرا، وقال أبو عمرو بن العلاء ما رأيت أفصح من الحسن البصري. توفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110هـ. /728م رضي الله عنه فقد كانت أم سلمة تخرجه للصحابة فيدعون له فدعى له عمر بن الخطاب فقال (اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس)، حفظ القرآن الكريم في العاشرة من عمره لما تسلل قاتل عثمان بن عفان لاغتياله سنة 37هـ. /657م انتقل للبصرة، فكانت مرحلة للتعليم بقي ا ستة سنوات وفي سنة 43هـ. /663م عمل كاتبا وغزوة لأمير خرسان (الربيع بن زياد) مدة عشر سنوات، رجع للبصرة وأصبح من أشهر علماءها وفتيها وتتلمذ على يده (واصل بن عطاء)، وانفصل عنه، وكون حلقته الأولى لمذهب الاعتزال لاختلافهما في قضية مرتكب الكبيرة، فقال واصل هو (في مترلة بين المترلتين)، واعتزل الحسن البصري، فقال الحسن اعتزلنا واصل.

الدين الطمع) وأما أن يكون ذلك منهم خوفا على أنفسهم، أو أموالهم، أو أعراضهم من الغلفاء، وأتباعهم. ففي العتبية[1] من سماع ابن القاسم[2] قال مالك (العلماء مختلفون فمنهم من يقوى على أن يعظ الناس، ومن لا يقوى على ذلك فليس كل أحد يقوى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يخشى في الله لومة لائم، لاسيما في آخر القرن التاسع وأطراف الأرض)[3].

فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (القابض على دينه في آخر الزمان كالقابض على الجمر)[4]، وإن من علامات الساعة[5] أن يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وإن يصير الحق باطلا والباطل حقا. وقد صار ذلك كذلك عند أكثر الناس فإن الله وإنا إليه راجعون.

1- العتبية أو المستخرجة: كتاب في الفقه المالكي لمحمد بن أحمد عبد العزيز العتبي القرطبي، فقيه أندلسي، فهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي السفياني العتبي القرطبي المالكي صاحب كتاب العتبية. فقد عمل الفقهاء عليها كثيرا ومنهم ابن رشد القرطبي الذي وصفه بأنه كتاب زمانه لما حواه من علوم.

2- ابن قاسم: هو أبو عبد الله عبد الرحمان بن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب الإمام مالك مدة عشرين سنة، فكان من تلاميذ الإمام مالك المخلصين يسمع لشيخه ويحفظ ويعمل بنصيحته، قال له الإمام مالك (إتق الله وعليك بنشر العلم) فهو من أعلم تلاميذ مالك كان زاهدا تقيا عزوفا عن الحكم، لا يقبل جوائز ولا هدايا، كان يردد دائما (ليس في قرب الولاة ولا في الدنو منهم خير). بعد موت مالك انتفع الناس منه، من مؤلفاته (المدونة الكبرى) كان حجة في مذهب مالك، توفي بمصر شهر صفر سنة 191هـ . /806م عن عمر ناهز 63 سنة رحمه الله تعالى.

3- لقد تزامنت المحن والشدائد في العشرة الأخيرة من القرن التاسع هجري الخامس عشر الميلادي، منها سقوط غرناطة 1492م، هجرة العلماء والمسلمين من الأندلس، خلق كيانات جيرية في أطراف الصحراء بحيث لا تنالهم يد السلطان، ولا يدينون بالدين الحق، وثالثا انقسام علماء توات لثلاثة فرق، فريق كان معه، وفريق ضده، وفريق صامت لا هو معه ولا ضده بقي حياديا، علاوة على انتكاسة التجارة القوافلية.

4- لقد ورد هذا الحديث برواية أخرى فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقبض على جمر) رواه الترميذي يقتضي هذا الحديث (خبر وإرشاد).

- فالخبر: في أنه صلى الله عليه وسلم أخبر في آخر الزمان يقل الخير وأسبابه ويكثر الشر وأسبابه، فيصبح المتمسك بدينه أقل القليل وهو في حالة شدة ومشقة كالقابض على الجمر من شدة المعارضين، وأثر الفتن المضلة فتن الشبهات والشكوك والإلحاد، وفتن الشهوات والانصراف للدنيا. والا ماك في ملذا ا ظاهرا وباطنا.

- وأما الإرشاد: فد أرشد الأمة لتوطين أنسفهم فمن صبر واحتسب، فله عند الله أعلى الدرجات فالمعونة على قدر المؤنة.

5- للساعة علامات وشرائط، قال تعالى:﴿**ويسأَلُونك عن الساعة أَيانَ مرساها قُلْ إنما علْمها عند ربي لاَ يجلِّيها لوقْتها إلاَّ هو ثَقُلَت في السماوات والأَرض لاَ تأْتيكُم إلاَّ بغتةً يَسأَلُونك كَأَنك حفي عنها قُلْ إنما علْمَها عند اللّه ولكن أَكْثر الناس لاَ يعلَمونَ**﴾ (الأَعراف:187). فلقد صنف العلماء علاماتَ وأشراط الساعة بشرائط صغرى وشرائط كبرى.

فالشرائط الصغرى: بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، انشقاق القمر، وفاة النبي عليه السلام، كثرة الفواحش، إسناد الأمر لغير أهله، نقص المكاييل والموازين، محاربة اليهود، ومنع الزكاة.

والشرائط الكبرى: طلوع الشمس من مغر ا، خروج الدابة، ظهور المسيح الدجال، ظهور المهدي المنتظر، ظهور ياجوج وماجوج، ظهور ريح طيبة تقبض أرواح المؤمنين.

وإما أن يكون ذلك منهم لعدم طمعهم في زوال ذلك الفساد لما ظهر لهم من جهل كبراء البلاد[1] وتصميم شياطينهم على العناد، فرأوا أن لا يجب عليهم حينئذ أمرهم بالمعروف و يهم عن المنكر لقول بعض العلماء: من شروط وجوب تغيير المنكر أن يعلم، أو يغلب على ظنه أن إنكاره المنكر مزيل له وإن أمره بالمعروف مؤثر ونافع، فإن لم يعلم ذلك ولا غلب على ظنه لم يلزمه ولأجل هذا سكت كثير من الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

ثم لم يزل السكوت يكثر ويظهر حتى صار عند الجهلة وعلماء السوء[3] النهي عن المنكر منكرا ثم هم بيد ذلك يستدلون على جواز المنكران بكو ا لم تكن، وهل ذلك من

1- كبراء البلاد يمكن حصرهم في الفعاليات التالية خلال ذلك العصر:
- رؤساء القصور.
- رؤساء القبائل والأعراش والعصائب.
- قضاة الجماعة.
- العلماء والفقهاء والوعاظ وأئمة المساجد التيقة.
- قضاة الجهات والتمييز.
- الملاك الكبار للعقارات ومياه الفقاقير.
- التجار الكبار مع التجارة القوافلية التي كانت تجوب الصحراء.

2- يعتبر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي: ذا مشرب صوفي سني فلا هو من أهل الحلول والاتحاد، ولا من أهل البدعة وعزلة الناس، شديد الإنكار على المبتدعة في زمانه بمختلف طوائفهم فقال (السنة أثر الرسول من القول والفعل بحسب الأحوال، والبدع ما خرج عن أثر الرسول من قول وفعل في حالة من الأحوال، فلكل مقام مقال، ولكل خطة رجال ولا قوة للسلاح إلا في أيدي الرجال الأبطال، والعامل على غير السنة أخسر من البطال إذ لا عمل إلا بالنية، ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة. أنظر مخطوطة تفسير الفاتحة للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص: الأولى بين أيدينا نسخة منه.

3- علماء السوء: قال فيهم ربنا سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ آتيناهم الْكتاب يعرِفُونه كَما يعرِفُونَ أَبناءهم وإِنَّ فَرِيقاً منهم لَيكْتمونَ الْحق وهم يعلَمونَ**﴾ (البقرة: 146) فضمن المهمات العظمى معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة.

فعلماء الدنيا : هم علماء السوء الذين قال فيهم الهادي عليه الصلاة والسلام (العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه، وعلم في القلب فذلك العلم النافع). أنظر أحياء علوم الدين، ج1، ص4. الحديث رواه جابر رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (العلم على أنه علم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم) قال الإمام المنذري إسناده صحيح. وعلماء السوء هم الذين يفقهون معاني كتاب الله ويعلمون حكم الله في المسائل التي يفتون أو يقضون فيها، ولكنهم يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما كان يفعل أهل الكتاب، وهؤلاء أخطر على الإسلام والمسلمين من غيرهم للأسباب التالية:

1- لقدر م على إظهار الحق في صورة الباطل لاعتمادهم على عموميات مخصصة أو منطلقات مقيدة، وهم يعلمون ذلك، ولكن عامة الناس لا يعلمون، قال تعالى: ﴿**يا أَهلَ الْكتابِ لم تلْبِسونَ الْحق بالْباطلِ وتكْتمونَ الْحق وأَنتم تعلَمونَ** ﴾ (آل عمران:71).

2- هؤلاء يمكن لهم فيظروا أمام الأمة في الفتوى والقضاء فيفتون الجهال بفتاهم، ويفترون بقضائهم.

3- تصديهم لمن أراد تنبيه الناس على باطلهم وضلالهم لإبقائهم وحيدين في الساحة وعدم إظهار غير م ليحافظوا على المكانة والجاه والمال. وهذه الفئة أشر على الناس وأخطرها.

فعل غير جاهل أو فاسق يلبس الحق بالباطل فواجب على العلماء في هذا العصر أن يظهروا للناس إنكار[1] المنكرات[2] وإن

كانوا لا يسمعون، وإن يتصدروا البيان ما فرض الله عليهم، وإن كانوا لا يهتدون لئلا يخفى الحق ويظهر الباطل، حتى يعتقد أن أهل الضلالة إ م مهتدون فيستحلون ما حرم الله

1- اية الصفحة الثامنة في أ و ج.

2- لقد أشار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في مخطوطة أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي حيث يقول (إن كثيرا من علماء هذه الأمة وعبادها يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله)، قال تعالى: ﴿**ولاَ تأْكُلُواْ أَموالَكُم بينكُم بالْباطلِ وتدلُواْ بها إلَى الْحكَّامِ لتأْكُلُواْ فَرِيقًا من أَموالِ الناسِ بالإِثْمِ وأَنتم تعلَمونَ**﴾ (البقرة: 188)، وبسبب هؤلاء العلماء يواصل المغيلي والعباد شاع الفساد في جميع البلاد، فالجهاد فيهم وفي أنصارهم أفضل من كل جهاد، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (هلاك أمتي عالم فاجر، وعابد جاهل، وشرار الشرار العلماء، وخير الخيار خيار العلماء) أخرجه الدرامي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا بآخر الحديث.
وقال عليه الصلاة والسلام (لا أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك قال: من الأئمة المضلين) وقال الفضل ابن عياض رحمه الله (إني لأرحم ثلاثة عزيز قوم هلك، وغنى قوم افتقر، وعالما تلعب به الدنيا). وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشد يقول:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهـ ـدى ∴ ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه ∴ بدنيا سواه فهو من دين أعجـ ـب

وروى عن أبي ذر الغفار رضي الله عنه قال (قلت يا رسول الله أي شيء أخوف على أمتك من المسيح الدجال، قال الأئمة المضلين) رواه الإمام أحمد من رواية ابن لهيعة. هذا ما جعل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يكفر التقرب من الكافر، سواء بالإطعام أو بالانتساب أو بالصحبة، فقال (فما أكذب قوما يزعمون أ م مؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويحبونه وهم مع ذلك يقربون من أنفسهم وأهليهم أعداءه ويتولون أشد الناس عداوة له، ويقاطعون لأجلهم أحباءه حتى أ م يؤون اليهود إليهم، ويحاربون العلماء عليهم ﴿**أُولَئك الَّذين كَفَرواْ بربهم وأُولَئك الأَغْلاَلُ في أَعناقهم وأُولَئك أَصحاب النارِ هم فيها خالدونَ**﴾ (الرعد:5) فما أقل همة من لا ينفر عنهم بطبعه وجوارحه وقلبه، وما أخس وأخزى من يسمح لهم بقربه، لأن ما من أحد منهم ينظر إلا ولسان حاله ناطق ببغضنا وسبنا والطعن علينا في ديننا حتى أ م لعنهم الله حرموا على أنفسهم مآكلنا وأطعمتا، والطبخ في قدورنا، والأكل في آنياتنا وأعظم من ذلك طعنهم في ديننا واستهزؤهم بصلاتنا، وما يتعرضون به لسيدنا ومولانا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم). أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ج1 مرجع سابق، ص131، 136.
وروى أبي حنيفة اليماني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال: إن الدين قد استضاء إضاءة هذه الحصاة، ثم أخذ كفا من تراب فجعل يده على الحصاة حتى واراها ثم قال: والذي نفسي بيده ليجيئن أقوام يدفنون الدين هكذا كما دفنت هذه الحصاة، ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القدة بالقدة والنعل بالنعل) الحديث رواه ابن وضاح في كتاب البدع والنهي عنها. وقال صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن) الحديث رواه زيد بن أسلم.

ويحرمون ما حلل الله. وهم لا يشعرون، وذلك أعظم ضررا وأكبر إثما من المنكر الذي يفعلون، ولذلك يرون أن العالم إذا سكت عن إنكار المنكر في آخر الزمان فهو ملعون[1].

وأما قولهم ونحن إن قهرنا اليهود يرحلوا عنا إلى من يمنعهم فتدركنا المعرة، وتبطل أسواقنا، فحاصله أ م أقروا إتباع هواهم على طاعة مولاهم، واختاروا النار على العار، وطلبوا العزة والنصر بموالاة الكفار كالذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، فما أصبرهم على النار[2]، ﴿بشر الْمنافقين بأَنَّ لَهم عذَابا أَليما الَّذين يتخذُونَ الْكَافرين أَولياء من دون الْمؤمنين أَيبتغونَ عندهم الْعزةَ فَإِنَّ العزةَ للّه جميعا﴾ [3]. وفي بعض هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله هداية، وما يتذكر إلا أولوا الألباب، ويتوب الله على من تاب، والله الموفق للصواب.

1- تقول العرب قديما: الساكت عن الحق شيطان أخرس، فقد أشير إلى هذه العبارة في الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري، إذ قال في باب الصمت، ص62 (والسكوت في وقته صفة الرجال كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال، فقد أورد الخطباء والعلماء من أهل العلم في سياق حديثهم وخطبهم عن ذم السكوت على المنكر وعدم إنكاره. يقول الإمام ابن القيم الجوزية (وأي دين، وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع ودينه يترك، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب عنها؟ وهو بارد القلب ساكت اللسان شيطان أخرس، كما أن من تكلم بالباطل شيطان ناطق).

2- لقد استقى هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿**أُولَئك الَّذين اشتروا الضلاَلَةَ بالْهدى والعذاَب بالْمَغفرة فَما أصبرهم علَى النار ذَلك بأنَّ الله نزلَ الكتاَب بالحَق وإنَّ الذين اَختلفُوا في الكتاب لَفي شقَاق بعيد** ﴾ (البقرة: 175-176).

3- سورة النساء، الآية: 139

الفصل الثالث
بيان تحزيب وتخريب كبراء الطائفة الملعونة للنسيج العمراني الاجتماعي

1- مساطر أسئلة الفصل الثالث

في قوله وكان من كيد الطائفة الملعونة، أن دخلوا بينهم بالتخريب والتحزيب حتى صاروا متنافسين في أمرهم، ويرى من جعلوه غليفة أنه في غاية الشدة وحماية الجانب. إذ لو لم يكن كذلك لم تأوا إليه اليهود، فمن لم يحميهم ويزود عنهم يقولون له نرحل عنك إلى من هو أحمى منك وأمنع. فلا يريد ذلك، وحين قطع اليهود لعنهم الله، أن هؤلاء الغلائف لا يسلمو م، وأطلعوا منهم على حرص شديد في جانبهم الخسيس لأغراض خسيسة يطول وصفها بل نتره عنها أسماعكم، طغوا وتكبروا، وأنفوا من ذكر الجزية، واستهزءوا بالمسلمين، وصاروا يتمردون على الأحكام.

ويقولون في فقهاء الإسلام، ويتركون الزنانير، ويتزينون[1] بالزي الرفيع، ويظهرون ما شاءوا من شعائرهم، وآلات لهوهم، ويرفعون أصوا م بذلك في أعيادهم، وأفراحهم.

2- أجوبة أسئلة الفصل الثالث

فأقول والله الموفق للصواب، أما ما ذكرت من مكر اليهود وعداو م للمؤمنين، وسعيهم بالتخريب والتحزيب بين المسلمين، فذلك دأ م، ودأب آبائهم الأولين، فلا سلامة منهم إلا بإذلالهم والبعد عنهم[2] وقد ذكر الله عز وجل من ذلك في كتابه المبين ما

1- لقد كتبت في كل النسخ (يتزيون) إن هذه الخروقات هي التي أدت إلى النفرة فيهم وأنصارهم، فلم يتقيدوا بما حدده الشرع لهم بل خالفوا كل المواثيق، وركبوا رؤسهم لما لقوا من دعم وحماية لهم من غلائفهم.

2- لقد كتب عبد الرحمان بن غنم كتابا على لسان نصارى الشام وجهه للخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في مطلعه لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا ودرارينا وأموالنا، وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدننا ولا حولها ديرا ولا بيعة ولا كنيسة ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها.. ولا نكتم غشا للمسلمين... ولا نظهر شرعنا ولا ندع إليه أحدا... وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجلسنا إن أرادوا الجلوس... ولا نتشبه م في شيء من لباسهم ولا في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين، ولا فرق شعر... ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف، ولا شيء من السلاح... ولا نبيع الخمر، ولا نجز مقادم رؤسنا، ونلزم زينا حيث ما كنا وأن نشد الزنانير على أوساطنا، وأن لا نظهر صلباننا وكتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، وأن لا نضرب بنواقسنا في كنائسنا إلا ضربا خفيفا، ولا نخرج ياسوعاتنا، ولا يغوثنا).
لمزيد من التفصيل، أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، مرجع سابق، ص193-194.

فيه ذكرى للذاكرين قال تعالى: ﴿**لَتجِدنَّ أَشد الناسِ عداوةً لِّلَّذين آمنواْ الْيهود والَّذين أَشركُواْ**﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿**ما يود الَّذين كَفَرواْ من أَهلِ الْكتاب ولاَ الْمشركين أَن ينزلَ علَيكُم من خيرٍ من ربكُم واللّه يختص برحمته من يشاء واللّه ذُو الْفَضلِ الْعظيمِ**﴾ [2]. ومن جملة مكرهم وسعيهم بين المسلمين بالتخريب إن بنى قريظة[3] كانوا حلفاء الأوس وإن بني النضير[4]

1- سورة المائدة، الآية 82.

2- سورة البقرة، الآية 104.

3- بني قريظة: يرجع نسب بني قريظة إلى بنو إسرائيل فقد ذكر ابن إسحاق أن هارون هو الجد الثامن لقريظة، في القرن الخامس ميلادي هاجروا إلى يثرب، وخالطوا العرب وتزاوجوا معهم وتعودوا بالعادات العربية، لقد جاء في كتاب (الأغاني لأبي فرج الأصفهاني) أن اليهود وصلوا للحجاز في أعقاب حروب اليهود والروم، فامتهنوا الزراعة في يثرب فزرعوا النخيل والحبوب، هذه السمة مكنتهم من السيطرة اقتصاديا على السكان العرب.

وهذه القبيلة اليهودية نزحت من اليمن في القرن الخامس ميلادي إلى يثرب لتعيش في شبه الجزيرة العربية حتى القرن السابع ميلادي في يثرب، وفي القرن الخامس غادرت قبيلة الأوس والخزرج هي الأخرى في اليمن إلى يثرب فتقاتلت مع اليهود ـا وانتزعتا الزعامة منها وعند حرب القبيلتان انقسمت القبائل اليهودية فانحاز بنو قريظة مع الأوس.

وفي سنة 622م هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب وبتزايد عدد المسلمين توترت علاقة المسلمين مع اليهود، وفي عام 627م حاصرت قريش وحلفائها المدينة المنورة في غزوة الخندق فتحالفت بنو قريظة مع المحاصرين، و زيمة قريش وحلفائها واجهت القبيلة إثم خيانتها فحاصرهم المسلمون لتستسلم بنو قريظة فقتل رجالها إلا من اعتنق الإسلام منهم.

4- بنو النضير هما: قبيلة يهودية كانت تقطن شمال الجزيرة العربية حتى القرن السابع الميلادي بيثرب، وبعد تخطيطهم مع قريش غزوا المدينة في غزوة الخندق، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجلائهم من المدينة المنورة فقد كانوا حلفاء للخزرج، بينهم وبين المسلمين عهد سلم وتعاون.

هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم للمدينة.

اليوم	التاريخ	خط سير الهجرة
الأول	الخميس 26 صفر 1هـ . /9سبتمبر 622م	غادر مكة ومكث ثلاثة أيام في غارثور* بالقرب من مكة هو على رأس جبل
الخامس	الاثنين 1 ربيع الأول 1هأ/13 سبتمبر 622م	غادر رحيل ثور متجها إلى منطقة يثرب
الثاني عشر	الاثنين 8 ربيع الأول 1هـ . /20 سبتمبر 622م	وصوله إلى قباء بالقرب من المدينة المنورة، مكث فيها عدة أيام
السادس عشر	الجمعة 12 ربيع الأول 1هـ . /24 سبتمبر 622م	أول زيارة للمدينة المنورة لأداء صلاة الجمعة
السادس والعشرون	الاثنين 22 ربيع الأول 1هـ . /4 أكتوبر 622م	غادر قباء واستقر بالمدينة المنورة

* غارثور: هو أحد جبال مكة ومن أبرز معالمها مكث فيه النبي محمد بن عبد الله وصاحبه أبو بكر الصديق ثلاثة ليال أثناء الهجرة إلى يثرب، يبلغ ارتفاع قمته 728م، يمتد من الشمال إلى الجنوب على مسافة تقدر بـ. 4123م.

كانوا حلفاء الخزرج[1] وكانوا في الجاهلية على ما هم فيه. فإذا تقاتل الأوس والخزرج أعان كل فريق من اليهود حلفاءه في القتال وتخريب الديار، وإجلاء أهلها فلما جاء الإسلام وألف الله بين قلوب المؤمنين شق ذلك على اليهود حسدا من عند أنفسهم فصاروا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الأوس والخزرج فذكّروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله، فأنزل الله تعالى: ﴿**قُلْ يا أَهلَ الْكتاب لم تصدونَ عن سبيلِ اللّه من آمن تبغونها عوجا وأَنتم شهداء**﴾[2]. (المبشرون كأ ا سَبيل الله)[3] وإن الصَدَ عنها ضلال أو إضلال ثم أنتم تصدون عنها المؤمنين بما هم عنه غافلون (وما الله بغافل عما تعملون)[4]، ومما روى في ذلك أن الأوس والخزرج كانوا جلُوسا يتحدثون فمر م بعض اليهود (فَغاظَا لَقَّهم بالإسلاَم)[5] واجتماعهم على طاعة النبي عليه الصلاة والسلام، فأمر شابا من اليهود أن يَجلس إليَهم ويذكرهم ببعض أيام حر م في الجاهلية ويشهدهم بعض ما قيل فيه مما يحرش به بينهم ففعل الشاب ذلك[6].

فتنازع القوم، وتفاخروا وتغاظوا، وقالوا (السلاح السلاح)، واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، فقال (أتدعون بدعوى الجاهلية، وإنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، فقطع أمر الجاهلية،

1- قبيلة الخزرج: الأوس والخزرج من قبائل الأزاد هاجرت عند ا يار سد مأرب مع الخزرج، يرجع نسبهم إلى كهلان واستوطنت يثرب بجانب الخزرج، وقد اشتهرت هاتان القبيلتان بالأنصار لأ م من نصروا بني الله محمد صلى الله عليه وسلم، وقد آخا الرسول بينهم وبين المهاجرين، يلقبون بالأنصار وكلمة (أوس) تعني الذئب. قال تعالى ﴿**ما قَطَعتم من لّينة أَو تركْتموها قَائمةً علَى أُصولها فَبإِذْن اللّه وليخزِي الْفَاسقين**﴾ (الحشر:5). سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نَزَل ببني النضير وَتحصنوا في حصو م أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا زعمت يا محمد أنك تريد الصلاح؟ أفمن الصلاح عقر الشجر المثمر وقطع النخيل، وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض، فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا، وقال بعضهم بل أقطعوا، فيترل قوله تعالى (ما قطعتم من لينة) تصديقا لمن ى عن قطعه وتصديقا لمن قطعه، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى رواه البخاري ومسلح عن قتيبة.

2- سورة آل عمران، الآية 99.

3- هكذا في كل النسخ فثمة محو أفسد الرؤية وحول المعنى وأعتقد أن سياق الكاتب (المبشرون كأ ا سبيل الله).

4- استنبط من سياق الآية 85 من سورة البقرة فقد جاء بآخرها استدلا على مقاصده واستنباطا لتزكية ما ذهب إليه.

5) هكذا بجميع النسخ وأعتقد أن مقصد الكاتب (فاغتاظ لاجتماعهم حول الإسلام).

6- أورده الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي هذه التوطئة التاريخية للربط بين يهود الجزيرة العربية العربية خلال القرن السابع ميلادي والقرن الخامس عشر ميلادي، فيبن أن مكرهم وخداعهم لا تتغير في كل زمان ومكان.

وألف بينكم). فعلموا أ ا نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح، واستغفروا، وعانق بعضهم بعضا، وانصرفوا مع رسول الله صلى الله[1]. عليه وسلم. فأنزل الله في ذلك مخاطبا لعباده المؤمنين[2] من الأوس والخزرج وغيرهما إلى يوم الدين ﴿**يا أَيها الَّذين آمنواْ إن تطيعواْ فَريقًا من الَّذين أُوتواْ الْكتاب يردوكُم بعد إيمانكُم كَافرين وكَيف تكْفُرونَ وَأَنتم تتلَى عَلَيكُم آيات اللّه وفيكُم رسولُه ومن يعتَصم باللّه فَقَد هدي إلَى صراط مستقيم يا أَيها الَّذين آمنواْ اتقُواْ اللّه حق تقَاته ولاَ تموتن إلاَّ وأَنتم مسلمونَ واعتصمواْ بحبلِ اللّه جميعا ولاَ تفَرقُواْ**﴾[3] إلى قوله ﴿**يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ بطَانةً من دونكُم لاَ يأْلُونكُم خبالاً ودواْ ما عنتم قَد بدت الْبغضاء من أَفْواههم وما تخفي صدورهم أَكْبر قَد بينا لَكُم الآيات إِن كُنتم تعقلُونَ هاأَنتم أُولاء تحبونهم**

1- القصة التي اختصرها الإمام محمد بن عبد الكريم حول فتن اليهود هي: أن (شاس بن قيس) وكان شيخا عتيا في الجاهلية، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين والحسد مر على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (من الأوس والخزرج) في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، ففاظة ما رأى من جماعهم وألفتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان منهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة ذه البلاد والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم ا من قرار. فأمر فتى شابا من اليهود فقال: أعمد إليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ماكانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يومًا اقتتلت به (الأوس والخزرج)، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه إن شئتم والله رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان: وقالوا (قد فعلنا السلاح السلاح) موعدكم الظاهرة فخرجوا إليها وتحاور الناس، فانضمت الأوس بعضها لبعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذلك رسول الله فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم: فقال (يا معشر المسلمين الله الله، أتدعون بدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر، وألف بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟). فعرف القوم أ ا نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكُوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله (شاس بن قيس) وما صنع فأنزل الله فيه ﴿ **قُلْ يا أَهلَ الْكتاب لم تكْفُرونَ بآيات اللّه**﴾ (آل عمران:98). وأنزل الله في (أوس بن قيظي، وجبار بن صخر) ومن كان معهما من قومهما قوله تعالى﴿**يا أَيها الَّذين آمنواْ إن تطيعواْ فَريقًا من الَّذين أُوتواْ الْكتاب يردوكُم بعد إيمانكُم كَافرين**﴾ (آل عمران:100). فقد أورد صاحب كتاب الكشاف فما كان يوم أقبح أولا وأحس آخراً من ذلك اليوم. للمزيد أنظر الكشاف في تفسير القرآن الكريم للشيخ الإمام الزمخشري كبير المعتزلة هو: أبو القاسم مجمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي، فقد قال فيه :

إن التفاسير في الدنيا بلا ع . ـدد ∴ وليس فيها لعمري مثل كشـ . ـافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ∴ الكتب كالداء والكشاف كالشافي

2- بداية الصفحة التاسعة في أ و ب و ـايتها في أ و ج.

3- سورة آل عمران، الآية 100-101-102-103.

ولاَ يحبونكُم وتؤمنونَ بالْكتاب كُلِّه وإذَا لَقُوكُم قَالُواْ آمنا وإذَا خلَواْ عضواْ علَيكُم الأَناملَ من الْغيظ قُلْ موتواْ بغيظكُم إنَّ اللّه عليم بذَات الصدورِ إن تمسسكُم حسنةٌ تسؤهم وإن تصبكُم سيئَةٌ يفْرحواْ بِهاَ وإِن تصبِرواْ وتتقُواْ لاَ يضرَكُم كَيدهم شيئًا إِنَّ اللّه بِما يعمَلُونَ محيطٌ﴾[1].

فأي كلام أصدق من كلام الله وأي بيان أوضح من بيان الله ولكن من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له

كم خرب ذ . مام من قصر مشيـ . ـد ∴ بشفتيه لا بفأس مـ . ـن حديـ . ـد
فابعد النمـ . ـام عنـ . ـك بعيـ . . . ـد ∴ كم سفه النمام من عقل رشيد[2]

1- سورة آل عمران، الآية 118-119-120.

يتردد اعتماد واستنباط كثير الآيات من سور البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والتوبة، نجده يكرر الاستنباط من هذه السور مرة بمعنى الآية، ومرة بنصها المصحفي، ومرة بأخذ جزء منها.

2- لقد استدل بهذين البيتين حين أسدى برسالة حول تأسيس الإمارة سنة 1492م لمحمد بن يعقوب زنقا، في الباب الثاني تحت عنوان (ما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة) فيقول (وتربع إن جلست قرفصاء واسكن ما ستطعت) سجعها لتبليغ المعنى المراد، وأضاف (فلا تعبث ولو بيدك، واغضض من بصرك وليكن نظرك تفرسا وإطراقك تفكرا، وإقبالك على الخلق بوجه أداء الحق ولا تفتح فمك ولو للتثاؤب، فإن كاد أن يغلبك فاذكر ربك يذهب عنك وإن غفلت حتى غلبك عليك بسد فمك بظهر إحدى يديك:

مولاك لا تفتحه أبدا فإنمـ . . . ـا ∴ يقهقه الأعمى ويزداد عمـ . ـى
وكن على الصمت حريصا دائمـ . ـا ∴ فقلما يسلم من تكلمـ . . ـا
وإن يكن لا بد فاختر محكمـ . ـا ∴ واخفض من الصوت لئلا تندما

فالمرء بأصغره قلبه ولسانه، فقدم عقلك بين يدي لسانك فإن لسانك مرآة قلبك، وقلبك مجمع شأنك، وهكذا تتعدد استدلالات الإمام بهذه الأبيات فقد ذكرت كذلك في نصين له. كنا قد حققناهما له.

الأولى: مخطوطة جملة مختصرة حول الإمارة التي حققناها بكتابنا (جملة مختصرة فيما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة) ج2: طبع دار القدس سنة 2012، ص272، كما استدل بها في مخطوطته (مصباح الأرواح) والتي تم تحقيقنا لها تحت عنوان (مدونة الفقه التصوفي)، ج1، طبع دار القدس العربي في 2011، ص158.

ونظرا لأن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي صاحب مشرب صوفي سني فلا هو من أهل الحلول والاتحاد، ولا هو من أهل البدعة والمبتدعين، وعزلة الناس. فقد وصفه صاحب كتاب البستان (ابن مريم) فقال (متكن المحبة في السنة، وبغض أعداء الدين شديد الإنكار على المبتدعة) رد على أصحاب الاعتزال الابتداعي حين لم يؤسس للفكر الإبداعي ولم تدلج العقيدة، وتدجن...؟ ليسطر أصحاب الأسطرة والغرائبية ما لم يكن في الدين، فأمحلوا رهتا محاولين تفريع الفروع من الأصول. مما أدى به إلى التشديد والإنكار على المبتدعة في زمانه وإن كان قد كفرهم كما جاء في كتابه (رسالة الرد على المعتزلة في اعتقادا بهم الفاسدة) والذي حققناه تحت عنوان (مدونة الفقه التصوفي)، ج2، ص343. فقال والسنة أثر رسول الله من قول وفعل في حال من الأحوال والبدعة ما خرج عن أثره عليه السلام من قول وفعل في حال من الأحوال، فلكل مقام مقال ولكل خطة رجال، ولا قوة للسلاح إلا بأيدي الرجال الأبطال، والعامل على غير السنة أخسر من البطال، إذ لا عمل بنية ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة). أنظر لمزيد من التفصيل شرح الفاتحة للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص1.

فإن قلت يهودنا ليسوا كيهود العصر الأول. يهودنا يحبوننا ويفرحون بفرحنا، ويحزنون لحزننا، قد أنسوا بنا ورضوا عنا فليسوا من اليهود الذين ذكرهم وحذر منهم.

فالجواب: إن يهودكم أولى وأحرى ببغضكم والسعي فيما يضركم إن كنتم مؤمنين، فما ذكرتم من أ م أنسوا بكم ورضوا عنكم إنما هو من عظيم كيدهم، وغباوتكم، لبسوا عليكم غاية التلبس[1] وفعلوا بكم كما فعل إبليس، زينوا لكم أ م لكم ناصحون فأنزلوكم عن الجنة وأنتم لا تشعرون، والله در القائل حيث قال:

كل العداوة قد ترجى مود ا ∴ إلا عداوة من عاداك في الدين[2]

ولئن صدقتم في مقالكم، فإنما ذلك من ضلالكم وافقتم طباعهم فوافقوا طباعكم، وروا عنكم ألم تر إلى قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم[3].

﴿**ولَن ترضى عنك الْيهود ولاَ النصارى حتى تتبِع ملَّتهم**﴾ [4] فإذا كانت اليهود لعنهم الله لا يرضون عن سيد الأولين والآخرين وهم يعرفونه كما يعرفون

1- أعطى استدلالا بالغ الدقة والتمثيل، فعبر بلبسهم كما يلبس المرء ثيابه أو لبس الجن لشخص ملبوس، فعبر بما يلبس ويغطى والقصد داخلي إحاطي الفعلية لارتكاب ما يدل إحاطة لظهور بوادر التلبس، فالمشاهدة تمت بالمظاهر الداخلية لذلك التدليل جاء عاما بما يلبس والصورة كما أريد لها تغطى المقصود داخليا وخارجيا. فقد لبسوا من الرأس إلى الخمس حالة التعاطي والتحاشي الابتداعية، فمظاهر الخارجية تنبأ على حالة الاستدراج حتى أصبحوا مادحين وثنائين رافعين عنهم حالة التزيف والتمشلق البادية في ما انطلى عليهم.

2- لقد استظهر ذا البيت في مخطوطته (رسالة لكل مسلم ومسلمة) والتي حققناها تحت عنوان (مدونة نازلة يهود توات) فقد ذكر في الباب الأول عند بيان كون مقارب اليهود في بيان كونه لا مرؤة له، إذ يقول: (وقد علمنا طعن الكفار علينا في الدين وتقولهم في ديننا لاسيما إخوان القردة)، مرجع سابق، ص136. والبيت جاء عقبه بلفظ آخر يقول الإمام الشافعي في ديوانه:

كل العداوة قد ترجى مود ا ∴ إلا عداوة من عاداك عن حسد

3- اية الوجه الثاني للصفحة 9 في أ و ب.

4- سورة البقرة، الآية 120.

فقد فسر ابن كثير هذه الآية بقوله: يعني ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعث الله به من الحق، تفسير ابن كثير، ج1، سنة 2002 لدار طيبة. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين أنه قال: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني فمات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار). أنظر الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

أبناءهم[1]، إلا بإتباع ملتهم، فرضاكم عنهم ورضاهم عنكم دليل واضح على أنكم اتبعتم ملتهم، وفي بعض هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله هداية، وما يتذكر إلا أولوا الألباب ويتوب الله على من تاب والله الموفق للصواب[2].

وأما ما ذكرت من أنفة تلك اليهود[3]. وتمردهم، وغير ذلك من جزاء م فسيأتي ذكره إن شاء الله عند ذكر عقوبة مخالفتهم.

1- لقد استخلص مستنبطا هذا المعنى من الآية الكريمة من سورة البقرة: 120 وإن كان سياقها ينطوي على معنى الكتاب (القرآن) غير أن الكاتب أعطاه سردا ومعنا آخر فساق مدلولها لخير البرية محمد صلى الله عليه وسلم ضمنيا مستوحيا ذلك من تفسير أسباب نزولها فقد روى لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لعبد الله بن سلام) رضي الله عنه: إن الله أنزل على نبيه وهو بمكة، أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، كيف هذه المعرفة يا ابن سلام؟ قال كنا نعرف نبي الله بالنعت الذي نعته الله به، إذا رأيناه فيكم عرفنا كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه بين الغلمان والذي يحلف به عبد الله بن سلام (لأنا بمحمد أشد مني معرفة بإبني) فقال عمر بن الخطاب كيف ذلك: قال، عرفته بمانعته الله لنا في كتابنا إنه هو وأما إبني فلا أدري ما أحدثت أمه. قال تعالى: ﴿**الَّذين آتيناهم الْكتاب يعرِفُونه كَما يعرِفُونَ أَبناءهم وإِنَّ فَرِيقاً منهم لَيكْتمونَ الْحق وهم يعلَمونَ** ﴾ (البقرة: 146). كما نص القرآن الكريم على أن المصطفى صلى الله عليه وسلم موصوف في التوراة والإنجيل بأنه نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، قال تعالى: ﴿**الَّذين يتبعونَ الرسولَ النبي الأُمي الَّذي يجدونه مكْتوبا عندهم في التوراة والإنجيلِ يأْمرهم بِالْمعروفِ وينهاهم عنِ الْمنكَرِ ويَحلُّ لَهم الطَّيبات وَيحرم علَيهِم الْخبآئثَ**﴾ (الأعراف: 157- 165).

2- يختم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في هذه المخطوطة ردوده وإجاباته على الأسئلة المطروحة عليه ذه العبارة (وفي هذا القدر كفاية لمن سيقت له من الله الهداية، وما يذكر إلا أولوا الألباب ويتوب الله على من تاب والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) وأعتقد أن سجايا ا من عصره وتداولها بين العلماء فعمم مدلولا ا لفصاحتها ومدلولات مضامينها، وسجعها واستطراد خواتمها، فأبلغتا وختمت ا كتب الأولين واستدركها علماؤنا الآخرين في دروسهم.

3- لم تكن لليهودي أنفة إلا بعد أن حمله الغلف ورئيس القصر، والتاجر والعالم في زمانه تلك المرتبة، لأن فعلة الأنفة لا تنطلي إلا على مسلم حر ومؤمن تقي، فكيف ؤلاء يأنفوا إذا لم يجدوا راع لهم.
فالأنفة لغة: تعني العزة والحمية، منها الأنف عضوا التنفس يقال لمن لم يبطأ به خلقه مأله أنف. والنيف من شيم وخلق الغيورين، فالغيرة تعني الزود عن الضواحي عرضا وشرفا ومنه استنكف مستمد من الصورة والنظرة البصرية لرفع الرأس يقول الشاعر العربي.

ملأى السنابل تنحني بتواضـ ـع ∴ والفارغات رؤوسهن شوامـ ـخ

يقول حكيم صيني هو (كونفشيوس) الوعاء الفارغ يصدر صوتا أعلى من الوعاء الممتلئ والنار تختفي وهي المقصود من الفعلة فلا يظهر إلا احمرارها وصفر ا، ولكن الدخان ينبعث موحيا للناظر بوجود شعلة أو قبس من نار، وإذا ما رفع المرء رأسه برز عاليا أنفه ترفعا للنفس عن الصغائر أو المذلة، فقد حدثت حادثة للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي حين قرر زيارة مدينة فاس سنة 1469م وفي حضرة سلطا ا محمد الوطاسي المريني، فلما اجتمع به ليطرح عليه فكر نازلة يهود توات، أمر الإمام أحد مرافقيه من بين الأربعين عالما كانوا معه مرافقين فقال قم يا ميمون وحدثهم في نازلة يهود توات فاستنكفوا واستعصموا وغادروا ا لمس. ومنه تأفف أي تضجر فالأنفة: هي الضجر وعندنا مثل شعبي يقول لمن لم يستحي على عرضه هذا الرجل ما عنده نيف) فقد شخص رجولة وهمة الرجل في أنفته وعزته.

وأما ما ذكرت من رغبة أولائك الغلائف في اليهود[1] حتى مكنوهم من تغير الحدود ﴿وهم علَى ما يفْعلُونَ بِالْمؤمنين شهود ﴾ [2] من التمرد على الأحكام والتقول في فقهاء الإسلام، وإظهار العزة بين أمة النبي عليه الصلاة والسلام. فهذا الفعل لا يتصور صدوره إلا من فاجر منافق، أو كافر، أو ضعيف الإيمان بالله، واليوم الآخر، لأن الله تعالى جعل الجزية والصغار[3]. في أعناق هؤلاء الكفار (سلاَسلاً وأغلالا)[4] لا يطوفون ا في الأقطار والأمصار بسبب حسدهم للنبي المختار كم حاولوا فك تلك السلاسل عن رقبة أحد من الكفار فقد عرض بنفسه لغضب العزيز الجبار، وربما انقلبت في عنقه وكبكب[5] معهم في النار، فاعتبروا يا أولى الأبصار[6] الملك الله الواحد القهار، وما ذكرت من تعدي اليهود ما عليهم في ذمتهم من العهود، فسيأتي إن شاء الله عند ذكر عقوبة أهل الذمة على تعدي الحدود، وفي بعض ما تقدم كفاية لمن سبقت له من الله هداية، وما يتذكر إلا أولى الألباب، ويتوب الله على من تاب والله الموفق للصواب[7].

1- تعددت المعاني وكثرت حول كلمة الغلائف، فاستصعب تضمينها مدلولاً واحدا، لأ ا مرة تأتي بمعنى يدل على قوم في آخر الصحراء لا ينالهم سلطان ولا أمر دين ولا يعرفون عن الديانة شيء، ومرة أخرى ينساق مدلولها على أولئك الأطفال الذين أنجبهم اليهود من أمهات مسلمات (هذه القضية من بين الأسباب الأساسية التي دفعت بالمغيلي للثورة وقيامه بنفراته الثلاثة على اليهود ومرة ثالثة ينصرف مدلولها. على رؤساء القصور الذين كانوا يرعون ويحمون اليهود ويسكنو م داخل بيتهم، مدافعين عنهم صادين عنهم كل من خالفهم وأدركهم بالحق والدين.

2- لقد أقبس ذلك من الآية القرآنية قوله تعالى: ﴿ **وهم علَى ما يفْعلُونَ بِالْمؤمنين شهود** ﴾ (البروج: 7).

3- الصغار: هو حاصله أن يلزم اليهودي الذلة والمسكنة في قوله وفعله وجميع أحواله ليكون بذلك تحت قدم كل مسلم ومسلمة من حر وحرة وعبد وأمة، وأول ما يحتفظ به عليهم في دينهم بأن يدسوا جميع ما خالف الشريعة المحمدية، فلا يظهروا شيئا من ضلالتهم، ولا قراء م ولا كتبهم أو لباسهم، ولا يمدحون بحضرة مسلم. للمزيد أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، مرجع سابق، ص146.

4- لقد اقتبس معناها من الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ **سلَاسلَا وأَغْلَالًا**﴾ (الإنسان:4).

5- اقتبس معنى هذه الجملة من الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ **فَكُبكبوا فيها هم والْغاوونَ**﴾ (الشعراء:94).

6- اقتبس معناها من قوله تعالى: ﴿ **هو الَّذي أَخرج الَّذين كَفَروا من أَهلِ الْكتاب من ديارهم لأَولِ الْحشرِ ما ظَننتم أَن يخرجوا وظَنوا أَنهم مانعتهم حصونهم من اللَّه فَأَتاهم اللَّه من حيثُ لَم يحتسبوا وقَذَف في قُلُوبِهِم الرعب يخربونَ بيوتهم بِأَيديهِم وأَيدي الْمؤمنين فَاعتبِروا يا أُولي الْأَبصارِ** ﴾ (الحشر:2).

7- كأنما هي خاتمة كل فصل تحمل دعاء وطلب الرحمة والعاقبة بالتقوى وهي ذا خاتمة كل فصل يتهيأ لك أن المخطوط قد انتهى، ولكن ما أن تتفحص حتى تجد نفسك في مطلع فصل جديد.

الفصل الرابع
تحريم بناء الكنائس، والأديرة
داخل النسيج العمراني للمسلمين

1- استحداث الكنائس حيث ماشاؤا

في قوله ويحدثون الكنائس حيث شاءوا، وبين دور المسلمين، ويرفعون أصوا م بالقراءة وغيرها، ومتى شاءوا إحداث كنيسة اتخذوا المسلمين لبنائها خدمة فيبنون لهم على وفق مرادهم ويتترهوا عن أن يتناولوا الطين بأيديهم، مع وجود ضعفة المسلمين، وشرارهم ويظهرون الترفع والتكبر، ومن جملة ما صرحوا به أن قالوا العرب[1] بنو أمة، أمنا، ونحن خير منهم في قوة الدين لأ م يقتلون النفوس، ونحن لا نقتلها[2] إلى غير ذلك من العظائم التي ارتكبوها، وبالجملة فقد جاوزوا الحد ونبذوا العهد إن كان لهم عهد.

2- أجوبة عن أسئلة الفصل الرابع

فأقول والله الموفق للصواب: أما بناء الكنائس على ما ذكرت فحرام باتفاق وأصل ذلك قول النبي (عليه)[3] الصلاة والسلام (لا ترفع فيكم يهودية ولا نصرانية) [4] يعني البيع والكنائس.

1- اية الصفحة العاشرة في أ، ب، ج.

2- يدعونَ قتل المسلمين لهم بينما هم لا يقتلون، وبما أ م أهل خدعة ودسيسة يقتلون المتحابين المترافقين بشق الأسافين بين أي جناحين شاهدوهما متحابين، يميلون ميلات وأكثر لأصحاب المال والنفوذ، يناصرون بعد أن يفرقوا ا تمع لفريقين فيضربون فريق بفريق، وبذلك يقتلون فهم السرطان القاتل والعياذ بالله.

3- ما بين القوصين وجدنا نقصا في أ و ب وأضيف لـ. ج.

4- لقد أوضح كيفية منع بناء الأديرة والكنائس فقد جاء في رسالته لكل مسلم ومسلمة التي حققناها تحت عنوان مدونة نازلة يهود توات حيث يقول تحت باب بناء الكنائس (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا ترفع فيكم يهودية ولا نصرانية) يعني البيع والكنائس، وقال صلى الله عليه وسلم (لا تكون قبلتان في بلد واحد) الحديث رواه أبو داود، ج2، ص180. وضمنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ص3032، وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إهدموا الصوامع واهدموا البيع) والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا كنيسة في دار الإسلام) وروى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب (الأموال) قال حدثني أبو الأسود عن أبي لهيعة بزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير قال قال عمر بن الخطاب (لا كنيسة في الإسلام ولا خصاء). قال عبد الرزاق في (المصنف)، ج6، ص60. عن ابن التيمي عن أبيه عن شيخ من أهل المدينة يقال له (خنش أبو على عكرمة) مولى ابن عباس قال سئل ابن عباس هل للمشركين أن يتخذوا الكنائس في أرض العرب: فقال ابن عباس (أما ما مصر المسلمين فلا ترفع فيه كنيسة ولا بيعة، ولا بيت نار، ولا صليب، ولا ينفخ فيه بوق، ولا يضرب فيه ناقوس، ولا يدخل فيه خمر ولا ختزير، وما كان من أرض صولحت صلحا فعلى المسلمين أن يفوا لهـ. م =

3- تقسيم الأرض لثلاثة أنواع

وبيان ذلك أن الأرض في رفع الكنائس والبيع ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إن أرض المسلمين لم تكن لأهل الذمة[1]

= بصلحهم) وقوله ما من مصر مصره ما كانت من أرض العرب أو أخذت من أرض المشركين عنوة. قال السبكي في فتواه في منع ترميم الكنائس، ج2، ص393 الذي اقتضاه أنه لا شيء يبقى من الكنائس إلا بعهد حيث يجوز العهد كما ذكر في تفريعه على أثر ما أشار إليه ابن عباس ما نصه (قد أخذ العلماء بقول ابن عباس هذا وجعلوه مع قول عمر بن الخطاب وسكوت بقية الصحابة إجماعا)، كما روى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اهدموا الصوامع، واهدموا البيع) فقد ورد في رد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي على أسئلة الحاج محمد أسكيا الكبير المسألة الرابعة يقول في الجواب (إن الأرض كلها الله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، والتقوى مخالفة الهوى فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبل الله، واعلم أن البلاد ثلاثة أقسام؛

الأولى: بلاد سائبة ليس لها أمير بل مهملون، فهؤلاء أجبهم على مبايعتك والدخول في طاعتك، فإن أبو ذلك فأجبرهم عليه بما استطعت لأنه لا يحل لطائفة من المسلمين أن يكونوا هملا، قال تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ (آل عمران: 103). والثانية: بلاد لهم أمير يرعاهم في مصالح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان في هذا الزمان، وهؤلاء لا يحل لأحد منهم أن يترع يدا من طاعته، ولا يحل لأحد أن ينازعه في رعيته، قال تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾ (الأنفال: 46). الثالثة: بلاد لهم أمير من هؤلاء الأمراء الذين وصفت يأخذ المكسب بالظلم وبالفساد وعدم الإصلاح، فإن استطعت أن تزيل ظلمه عن المسلمين من غير مضرة عليهم حتى تقيم فيهم أميرا عادلا فافعل، وأن أدى ذلك إلى القتل). أنظر لمزيد من التوضيح كتابنا أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر أسكيا الكبير، ج2، طبع دار الغرب، ص133-134.

1- لقد أجمع علماء الإسلام على عدم جواز بناء الكنائس في أرض العنوة فقسموا الأرض للأقسام التالية:

1- الأرض الخراجية: وهي التي فتحت عنوة ولم توزع، وما جلا عنها أهلها خوفا، وما صولحوا عنها على أ ا لنا ونقرها معهم بالخراج لأن غير السواد لا خراج فيه، والخراج حق أوصل الله إليه المسلمين من الكفار وهو حق يوضع على رقبة الأرض التي غنمت من الكفار حربا أو صلحا، إذا كان الصلح على أن الأرض لنا ويقرون عليها مقابل خراج يؤدونه، والأرض الخراجية كالأرض العشرية يملكها صاحبها ويتصرف ا جميع أنواع التصرفات الشرعية من بيع وشرا وهبة وهدية وإرث فلا تترع منه إلا إذا أهملها مدة ثلاثة سنوات.

2- الأرض المفتوحة: المشهور أن الأرض المفتوحة عنوة ملكا عاما للأمة باعتبار كون الفتح بإذن الإمام، أمرها بيد ولي الأمر في قسمتها بما يرى ووضع الخراج عليها، فلا يجوز بيع رقبتها عند بعض العلماء على أساس أ ا ملك عام للأمة، لذلك اختلف العلماء فيها، روى عن الإمام مالك بن أنس (لا تقسم الأرض وتكون وقفا يصرف خراجها في مصالح المسلمين من أرزاق المقاتلين وبناء المساجد)، أما الإمام الشافعي يقول: الأرضون المفتوحة تقسم كما تقسم الغنائم يعني خمسة أقسام، بينما يرى أبو حنيفة الإمام مخير بين التقسيم على المسلمين أو يضرب على أهلها الكفرة فيها خراجا ويقرها بأيدهم، والخلاف يرجع إلى تأويل قوله تعالى: ﴿**واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل**﴾ (الأنفال:41).=

الذين أرادوا بناء بيعة أو كنيسة[1] فيها فهذه الأرض لا يمكن أحد منهم أن يبنى فيها بيعة ولا كنيسة، ولو ملكوا الأرض شراء أو غيره. ثم أعطوا على ذلك ملء الأرض ذهبا[2].

= 3- الأرض العشرية: هي تلك الأرض التي أسلم عليها أهلها، وما أحياه المسلمون واختطوه، وما صولح أهله على أنه لهم بخراج يضرب عليهم كما جاء في حديث أبي صقر (من أحيا أرضا موات فهي له). لمزيد من التوضيح أنظر فتح الباري شرح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

4- الأرض العنوة: هي الأرض التي فتحت عنوة وقسمت الأرض المملوكة لأربا ـا فليس فيها خراج.

5- أرض سائبة: هي الأرض التي لا مالك لها، وهنا أوقعت نازلة يهود توات انشقاق وخصومات فقد كان صدى تلك النازلة (والنازلة هي لغة: اسم فاعل من نزل ينزل، وهو الانحطاط والهبوط من علو يقال: نزل الرجل عن دابته، ونزل الرجل من السطح ومن الجبل، يقول صاحب (تاج العروس) هي الشديدة من نوازل الدهر شدائدها، وفي المحكم النازلة: الشدة من شدائد الدهر، تنزل بالناس نسأل الله العافية، واصطلاحا: عرفها ابن عبد البر الأندلسي في كتابه (جامع بيان العلوم وفضله) اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص، في حين نزول النازلة هي الأمر الذي ينزل بالناس ولم يصلوا فيه إلى دليل من الكتاب والسنة. والنازلة كالظاهرة تبرز بأسباب مؤدية لوجودها وتختفي بأسباب تواجدها اختفاء، ففتوى العلماء في النازلة يستصدرون مثيلا لشرحها في متون المتقدمين وإن لم يجدوا أو لم يحصلوا على رأيهم اجتهدوا في حلها وفق شروط منها مراعاة المكان، والزمان (الزمكان) وأثر الردود على الخلق فلا يخالفون في ردهم أحوال العباد، فالمغيلي كان يرى أن الأرض التمنطيطية، والقرارية، والتديكلية أرض سائبة باختطاط المسلمين كما أشار لذلك الجوهري، وإن كانت المساكن قد وجدت كما أشار (هيرودث) حيث أشار لكل من (ملوكت، وبودت، وتسمبيتا، وتمنطيطة، فالاختطاط كان قبل الإسلام. الذي حفلت به الأرض التواتية في 73هأ/692م).

1- هذه الواقعة أي واقعة تأسيس أسباب نازلة يهود توات عنصرها الأساسي شراء بعض اليهود أرضا من مسلم وهي جزء من بستانه كما يقال عندنا (بالرحبة التحتانية) فسكان توات يجزؤونَ بساتينهم لثلاث أجزاء الهدف من ذلك وأساسه قوة وضعف منسوب المياه المتدفقة فيه لذلك تقسم أرض البستان لرحبة فوقانية، ورحبة وسطانية، ورحبة تحتانية هذه الأخيرة تتوسع وتتمدد كلما نقصت مياه الفقارة، وبذلك تتحول لبور، فينبت ـا (أزمان) أو إغيل، فتصعد مياهها وتتملح أراضيها، وتتخيص نخلها، فتصبح غير صالحة للفلاحة يقتطعها المالك فهي تخضع مباشرة لصبيب الفقارة (تتمدد بزيادة الصبيب وتنكمش بنقص الصبيب)، فباع المالك قطعة أرض لليهود لبناء كنيسة لهم، فانتقل الإمام المغيلي لهم مانعهم من مواصلة البناء فأبوا ذلك قائلين نحن اشترينا الأرض وهذه عقودها. فتوجه للإمام العصنوني رفقة عبد الجبار الفيقيقي وابنه محمد، وبعض الرفقاء، فنشر عليه ما رأى من صنيع اليهود في بلاد الإسلام، فلم يلق منه جوابا مقنعا، مع أنه قاضي قضاة الجماعة بإمكانه منعهم، ولكنه كان أفتى ببناء الكنائس لليهود ثم انتقل اليهود للإمام القاضي عبد الله العصنوني مشتكين له قيام المغيلي بنفرته الأولى عليهم، وهكذا تكون هذه الرسالة في الغلائف جاءت بعد رسالته لكل مسلم ومسلمة، فتكاد تكون تكملة لمحتواها.

2- لقد اعتمد يهود توات الخديعة والمكر، وشق الأسافين بين الناس، فاتخذوا أرباب القصور لهم أخلاء وأعوانا مدافعين عنهم يمدو ـم ـدايا غير شرعية حلت محل الجزية الشرعية فخالف الإمام المغيلي هذا الطرح، واعتبر ذلك رشوة وغلول يجب صرف الجزية لبيت مال المسلمين، ولكن الأرض كانت بدون حاكم يحكم ولا أمير يردع، يقول محمد الخليفة بن سيد المختار الكنتي عن البـ ـلاد السائبة أو السيبة أ ـا (الخالية من سلطان، أو أمير، أو رئيس يدفع من ظلم الظلمة وجور الجورة،=

كانت هذه الأرض للمسلمين[1]. وليس لها ولأهل الذمة بحبها شبهة كان بناء البيعة أو الكنيسة فيها من رفع اليهودية أو النصرانية في المسلمين رفعا ظاهرا لا يحتمل تأويلا، وقد نص الشارع (...) صلى الله عليه وسلم على منعه فلا وجه لجوازه[2]. ولذاك قال في

=وعدوان العادين وسطوة المتعالين). كما أشار الإمام محمد بن عبد الكريم في جوابه عن أسئلة الحاج محمد أسكيا الكبير فيقول (إعلم أن البلاد ثلاثة: سائبة: ليس لهم أمير بل مهملون فلا يجوز ترك جماعة مهملة فهؤلاء أجبرهم ما استطعت للدخول تحت طاعتك، فإن أبوا ذلك أجبرهم عليه ما استطعت، لأنه لا يحل لطائفة من المسلمين أن يكونوا هملا فجاهرهم بالسيف حتى يدخلوا كلهم تحت طاعتك على طاعة الله ورسوله، وذلك من أفضل الجهاد). أنظر كتابنا مدونة الفقه النوازلي، ج2، ص414. كما أفتى أهل العلم بجواز إقامة الحدود في البلد الذي لا يحكمة حاكم عدل أو به سلطان فاقد للعدالة مضيع لأحكام الشريعة، فقد سئل الشيخ حمى الله التيشيتي عن (جماعة المسلمين) هل تقوم مقام الحاكم في كل شيء ولو في الحدود، فأجاب: الجماعة في البلد الذي لا حاكم فيه تقوم مقام الحاكم في الحدود وغيرها. لمزيد من التفصيل، أنظر: محمد الخليفة الكنتي في الرسالة الغلاوية تحقيق د.حماة الله ولد سالم، ط1، سنة 2007، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ص201.

1- لقد أفتى أحمد بن يحيى الونشريسي بوجوب هدم ما بنى من كنائس لليهود بقصور توات فقال: قلت الحق الأبلج الذي لا شك فيه ولا محيد عنه، أن البلاد التواتية وغيرها من قصور الصحراء النائية المسامته لتلول المغرب الأوسط المختطة وراء الرمال الملتهبة التي لا تنبت زرعا ولا ضرعا بلاد إسلام باختطاط، لا تقرر للملاعين اليهود أبعدهم الله فيها كنيسة إلا هدمت باتفاق ابن القاسم والغير، ولا حجة لهم في الحوز الأعم من الإذن الشرعي المعتبر وعدمه، لأن الأعم لا إشعار له بالأخص المعين، لأن حاصله تردد الحوز بين الإذن وعدمه، وذلك عين الشك في الشرط، والشك مانع من ترتب مشروطه عليه فلا يتصور خلاف بين ابن القاسم والغير في المختطة للمسلمين كهذه إلا بعد تحقيق الإذن من مشائخ المكان وسكان تلك الأوطان يعنى بالطبع من مشائخ المكان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ومعارضة فتوى الإمام العصنوني عبد الله، فعلى محدث الكنائس الإثبات والبيان. أنظر لمزيد من التفصيل كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ص184.

فقد أفتى فقيه تونس الرصاع بحرمة بناء كنائس فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه قال: سألني بعض الفضلاء من الإخوان عما يشتريه أهل الذمة من أراض المسلمين المبتدعة على أيدي المسلمين أعا م الله، ليس لأهل الذمة أن يشترطوا بناء كنيسة في تلك الأرض المذكورة، وليس للمسلمين ولا مانع عليهم من شراء ما يبنون فيه سكناهم إذا هم يؤدون الجزية، وهم بجزية بسنة المسلمين تؤخذ منهم طوعا وكرها، ولا يقصدون بإذاية، وإذا صارت الأرض المذكورة على عهدهم دون اشتراط فلا مكان يعبد فيها غير الله تعالى فلهم أن يتصرفوا فيها بالبناء، لمزيد من التفصيل أنظر المعيار المعرب لأحمد بن يحيى الونشريسي، ج2، ص227.

2- لقد أفتى الإمام أحمد بن يحيى الونشريسي بوجوب هدم كنائس اليهود بتمنطيط، وحدد حكمه على بنائها بثلاثة أمور:

* الأول: إن كانوا في بلدة بناها المسلمون فلا يمكنون من بناء كنيسة.
* الثاني: وجودهم في بلدة مسلمة دليل واضح في أن ما أحدثه ملاعين اليهود من الكنائس بالقصور التواتية وغيرها من بلاد الجريد المسامتة لتلول المغرب الأوسط لا تقر بل لدم.
* الثالث: يلزمهم الصغار وكذلك المرأة في الحمام وخارجه وفيه وجهان. لمزيد من التفصيل، أنظر المعيار المعرب ج2، ص235.

الجواهر[1] فإن كانوا في بلدة بناها المسلمون فلا يمكنون من بناء كنيسة[2]، وكذلك لو ملكنا رقبة بلدة من بلادهم قهرا، ومثله في الذخيرة[3] وفي المدونة[4] قال مالك وليس لأهل الذمة أن يحدثوا ببلد الإسلام كنائس إلا أن يكون لهم أمرا أعطوه[5].

يريد أن يكون قيل لهم أول الفتح نعطيهم هذه الأرض على أن تسكنوها، وتحدثوا فيها كنيسة واحدة، فيدخل فيها قبل الاستثناء بلدة بناها المسلمون، وبلد العنوة، ثم استثنى

= أما محمد بن يوسف السنوسي: لما وصله كتاب المغيلي أثنى عليه بعد قراءته وفي فتواه حول نازلة يهود توات يقول: من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي غفر الله له ولوالديه بلا محنة: إلى الأخ في الله الحبيب في ذات الله تعالى القائم بما أندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... لقد بلغني أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية من تغير إحداث اليهود أذلهم الله، وأخمد كفرهم للكنيسة في بلاد المسلمين... فاعلم يا أخي لم أر من وفق في الإجابة لهذا المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفى غليل الإيمان في هذه المسألة. أنظر المعيار، ج2، 254-255.

1- كتاب: الجواهر الحسان لعبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي في تفسير القرآن الكريم.

2- لقد جاء في تفسير القرآن للقرطبي، ج2، ص70 وهو مالكي المذهب في المسألة الخامسة تحدث فقال قال ابن خويز منداد تضمنت هذه الآية: وهي قوله تعالى: ﴿ ولَولَا دفْع اللَّه الناس بعضهم ببعضٍ لَّهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذْكَر فيها اسم الله كَثيرا﴾ (الحج:40)، فقد جاء المنَع منَ هدم كنائس أهل الذمة وبيعهم، وبيوتَ نيرا م لما صولحوا عليه وعقدوه مع الحاكم، ولا يتركون أن يحدثوا ما لم يكن، ولا يزيدون في البنايات لا سعة ولا ارتفاعا، ولا ينبغي للمسلمين أن يدخلوها، ولا يصلوا فيها، ومتى أحدثوا زيادة وجب نقضها، وينقض ما وجد في بلاد الحرب من الكنائس، والبيع، وإنما لا ينقض ما في بلاد الإسلام لأهل الذمة لأ ا جرت مجرى بيو م وأموالهم التي عاهدوا عليها.

3- كتاب الذخيرة للشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، 584هـ. /1285م، فقد أشار في كتاب إحياء الأموات ص147. قال الجوهري الموات بضم الميم الموت، وبفتحها مالا روح فيه. وأيضا من الأرض التي لا مالك لها (الرق) عندنا بالقاف المعجمة، ولا منتفع ا، إذ يجوز الإحياء دون إذن الإمام وإحياؤها شق العين وحفر البئر وغرس الشجر، والبناء، والحرث. قال اللخمي إن حفر بئرا في أرض ذات بياض أحياؤها به.

4- المدونة كتاب للإمام مالك بن أنس عدد أجزائها أربعة، طبع دار الكتاب العلمية، 1995م.

5- يرى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي عدم تمكين أهل الذمة من إحداث كنيس أو بيعة في أرض الإسلام، وإن أعطوه في ذلك في عهدهم من الأمير أو القاضي أو الحاكم أمرا في ذلك، بل يرى نقضه ورده عليه، ويستاب على فعله، مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام (لا تصلح قبلتان في أرض واحدة) فقد ساقه ابن المناصف في كتابه (الانجاد في آداب الجهاد) فقد روى عن ابن حبيب عن ابن الماجاشون قال سمعت مالكا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا ترفع فيكم يهودية ولا نصرانية).

وبذلك أفتى الشيخ أبا القاسم العبدوسي فيقول (وإذا فعلوا ذلك بعد النهي عنه كان نقضا للذمة التي لهم وهو مجمع عليه، إن بلاد المسلمين ليس لأحد منهم أن يحدث فيها نقضا للعهد فتكون أموالهم للمسلمين وذراريهم مستباحة للمسلمين، إلى أن يقول: (ومن تسبب لهم في ردها وأعا م في ذلك وأنصرهم في ردها معتقدا حليته فهو كافر وإلا فاسق تلحقه لعنة الله). أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ص95، مرجع سابق.

من بلد العنوة، وبقيت الأخرى على إطلاقها، وحاصله أن بلدة بناها المسلمون في أرض هي للمسلمين أصل متفق على منع بناء الكنائس فيما اختطه المسلمون[1]، عند فتحهم وسكنوه كالفسطاط، والبصرة، والكوفة، وإفريقيا[2] وشبهها من مدائن الشام: لقوله لأن تلك المدائن صارت لأهل الإسلام يبيعو ا ويتوارثو ا.

1- إن ما أشار إليه الجوهري، وأحمد بن يحيى الونشريسي من أن قصور توات خطت بعد الإسلام فيه الكثير من التجني والابتعاد عن الجادة، فقد نزح لقصور توات العديد من القبائل بداية من القرن الأول الميلادي يمكن ذكرهم كما يلي:
أولا نزوح الجيتولين، ثم جاء بعدهم الجاليات اليهودية وثم القبائل الزناتية، في القرن الأول والثاني الميلادي، ثم القبائل المعقلية والمرينية، والجدول التالي يوضح ذلك.

تاريخ توطينها بالقصور التواترية هجريا وميلاديا					
إسم القبيلة	بالهجري	بالميلادي	اسم القبيل	بالهجري	بالميلادي
أولاد عبد الجليل	502هـ .	1108م	أولاد عياس	516هـ .	1122م
أولاد خير الله	518هـ .	1124م	سيدي وعلي البلبالي	517هـ .	1123م
أولاد نذير	520هـ .	1126م	أولاد حسين	519هـ .	1125م
أولاد بن سليمان	536هـ .	1141م	أولاد زكوان	550هـ .	1155م
أولاد الصابون	556هـ .	1161م	أولاد البرامكة	508هـ .	1114م
أولاد عنان	508هـ .	1114م	أولاد علي	573هـ .	1177م
أولاد الحاجب	575هـ .	1179م	أولاد ناسامر	576هـ .	1180م
أولاد أحمد عرابي	609هـ .	1212م	أولاد عبو	608هـ .	1211م
الحمراوية	680هـ .	1285م	أولاد إعيش	609هـ .	1212م

إذ كيف يعقل أن تخط هذه المدائن والمداشر ونزوح كل هذه القبائل العربية كان إلا بعد سنة 73هـ . /692م فنؤكد تواجد البنايات والمباني قبل هذا التاريخ.

2- لقد أسجى المؤرخ ابن مبارك في مخطوطته (تاريخ توات) أن وصول العرب كان منتصف القرن السادس ميلادي فلما دخلوا المنطقة وجدوها ذات نخيل وفقاقير، وهو ما أشار إليه المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون حيث يقول: (لما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى المصار والمدن قام هؤلاء المعقل في القفار وتفردوا في البيداء غربا فنموا نموا لا كفاة له، وملكوا قصور الصحراء التي اختطتها زناتة بالفقر مثل قصور السوس غربا، ثم توات، ثم بودة، وتمنطيط، وواركلة ثم تسابيت وهي نفس القصور التي ذكرها هيرودوت.
أنظر للمزيد العبر، الجزء السادس، ص69.
وفي بحثه عن نزوح القبائل لهذه المنطقة يقول (وقد كان قبائل بني يالدس، وتوجين، وبني مانوا يزعمون أن موطنهم متصلة قبلة المغرب الأقصى، والأوسط، وراء العرق المحيط بعمرا م المذكور اختطوا في ذلك الموطن القصور والأطم، واتخذوا ا الجنات من النخيل والأعناب، وسائر الفواكه) كما هو أحد الافتراضات من أن توات جاءت من (الأتوات التي كان يدفعها المستوطنون الجدد للسكان القدامى) فمنها يقول ابن خلدون على ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة وتسمى وطن توات.
أنظر للمزيد العبر ا لمد السابع، ص67-68.

وقد سألت[1] عن ذلك مالكا فقال: ليس لأهل الذمة أن يحدثوا ببلد الإسلام كنائس، إلا أن يكون لهم أمرا[2] أعطوه انتهى فعلى من ذلك أن ما كان للمسلمين.

إلا أن يكون لهم أمرا[3] أعطوه انتهى، فَعلم من ذلك إن ما كان للمسلمين من البلاد بإحياء أو نحوه أصل متفق عليه يقاس عليه ما صار لأهل الإسلام وذلك واضح"[4].

1- هناك خطأ من الناسخ فقد كتبت في كل النسخ (وقد سألت) والأصح (قد سئل).

2- يكون لهم ذلك بعهد مكتوب مختوم من الحاكم الفعلي للمنطقة.

3- أفتى الإمام محمد بن عبد الكريم بعدم حلية بناء كنيس حتى لو أعطى ولي الأمر مكتوبا على ذلك فيقول (... قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا كنيسة في دار الإسلام) وأمر أن ـدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام. وهنا نرى اختلاف الحديث عن ألأديرة والكنائس المبنية في كل من تمنطيط، وتيمي، وتيميمون، فقد وجدت قبل الإسلام ووصوله لهذه المناطق أواخر القرن الأول هجري، وعليه رأى عمر أن يبقى ما كان قبل الإسلام. ويواصل الإمام المغيلي في فتواه فيقول: وقد انعقد على ذلك الإجماع بين المسلمين فلا خلاف بين علماء الأمر أجمعين، إنه لا يحل إحداث كنيسة في شيء من بلاد المسلمين، ولا إقامة بيت لصلا ـم أو شيء من ضلالتهم، ولو أعطوا ذلك ملء الأرض ذهبا. وكانت الأرض التي أرادوا أن يفعلوا (أنظر لذلك التوظيف فقد قال أن يفعلوا ولم يقل أن يبنوا والقصد أن الفعل، والتفكير والتدبير، والتهيؤ يسبق العمل) فيها ذلك ملكا لهم بشراء أو هيبة أو غيرها.

فإن أذن لهم في ذلك سلطان أو قاض، أو غيرهما (من ولاة الأمر) وجب نقض إذنه وهدم ما بنوه به إذ لا يكون إذن أحد ولا حكمه مانعا من إقامة الحق وتغيير المنكر كائنا من كان، وإن طال الزمن ﴿**أَفَحكْم الْجاهلية يبغونَ ومن أَحسن من اللّه حكْما لّقَوم يوقنونَ** ﴾ (المائدة:50). ولا يستدل في هذا الزمان الكثير الشر (الإمام يوصفه بكثير الشر، والإمامً العصنوني يصف ما صدر عن الإمام بالتشغيب، نفس الرأي أشار إليه الإمام أحمد بن يحيى الونشريسي فقد اعتبر من يخالف ما جاء به الإمام المغيلي تشغيبا، كما أشار الشيخ أحمد بن محمد بن زكري التلمساني إذ يقول (لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية على رأي المحققين في الفقه المالكي الناظرين في القضية والتشغيل فيها من عدم التحقق في أصول المسائل العلمية فيعتبر (المشغب) في المسألة بظاهر عموميات هي مخصوصة، وكذلك أفتى عبد الرحمان بن سعيد بالخوض في مثل هذه المسائل بالمشغب فيول (لا ينبغي التتبع والتعمق والتشدد (والتشغيب) على الناس فيما أقره العلماء. أما الشيخ أبا القاسم العبدوسي كفر من منح لهم حق بناء كنيسة واعتبر المخالف لرأي الإمام (تشغيبا)، إذ يقول (بعثتم مكتوبات تستلهمون ـا همم أهل العلم ينظروا في المسألة نظر أهل العدل والإنصاف، ويبينوا الحق فيها بيانا شافيا قاطعا لكل تخليط (وتشغيب) يرد أهل الهوى والانحراف وإذ نرى أن المؤيد للبناء والناظر لعدمه يرى في المسألة (تشغيبا) قسم ظهر البعير، وبمعنى آخر أحدث فصولا كلامية، وتعاليق بيانية أدت لانفصال ا تمع لفريقين؛ فريق أيد فتاوي الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وفريق آخر رفضها واعتبرها تشغيبا لا يجب الخوض فيه لأنه ينهش أواصمر السكينة ويدفع بالناس لما لا يمكن الخوض فيه لأن الأسبقون خاضوه وأمره منتهي. للمزيد أنظر كتابنا مدونة يهود توات، ص148-149.

4- ـاية الوجه الأول للصفحة التاسعة من كل النسخ.

القسم الثاني: الأراضي العائدة من الكفار للمسلمين

أرض للمسلمين وقد كانت لأهل الذمة الذين أرادوا إقامة بيعة أو كنيسة فيها[1]. فهذه الأرض في الحقيقة بما فيها من الكناس وغيرها إنما هي ملك للمسلمين، ولهؤلاء أهل الذمة شبهة من الملك فيها بكو ا كانت لهم فأقروا فيها على الجزية، وسبب ذلك كان في هدم ما فيها من كنائسهم ومنعهم من إحداث شيء منها لثلاثة أقوال:

القول الأول: نظر لحقيقة الملك في القديم والحادث فراءهما من رفع اليهودية والنصرانية في الإسلام، وهو قول ابن الماجاشون[2]، فقال لا يترك لأهل العنوة عند ضرب الجزية عليهم كنيسة إلا هدمت، ثم لا يحدثوا كنيسة، وإن كانوا منعزلين عن بلد الإسلام[3].

1- لقد ملك قضاة المالكية الحائز بشروط أن يكون مضى على الحوز مدة عشر سنوات بين الأجانب، وخمسين سنة بين الأقارب لا سيما مع البناء والهدم، ولا أثر لذلك الاحتمال أو التعدي، وعلى هذا الأصل يقول الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (بين شيخنا سيدي أبو الفضل قاسم العقباني فتياه للقاصرين بتلمسان، فإ م يملكوا مقبرة من مقابر المسلمين تصرفوا فيها بالبيع والابتياع، وتورث عنهم فقام عليهم قائم، وأراد نزعها من أيديهم وتصييرها حبسا كسائر المقابر محتجا عليهم باتفاق المذاهب على أن الميت إذا دفن في موضع فهو حبس.
فأجاب الشيخ بأن الحوز بأيديهم مدة طويلة من غير نكير، وذلك يوجب ملكهم، ولا يسألون عن سببه، ولا يحمل أمرهم على العداء لا مكان طريان الدين على ملكهم، والحصار ونحوه، فهذه الكنائس المسؤول عنها مندرجة فيما أفتى به شيخنا بل هي أحروية، فنقول هدم الكنائس الموصوفة لا يجوز شرعا، بيان الصغرى (يعني المدونة) ما تقدم من ثبوت ملك ما أريد هدمه للذميين المذكورين، واحتمال التعدية فيها مرجوح (الذمي معلوم من الدين ضرورة، فهدا المنهج في تحصيل المطلب المسؤول عنه كاف، ويدفع الشغب عن القضية). لمزيد من التوضيح، أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ص86-87.

2- ابن الماجاشون: من أكابر علماء المالكية تتلمذ على الإمام مالك بن أنس هو أبو مروان عبد الملك بن الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجاشون، التيمي المالكي تلميذ الإمام مالك، حدث عن أبيه وخاله يوسف بن يعقوب الماجاشون، ومسلم الزنجي ومالك وإبراهيم بن سعيد، قال عنه مصعب بن عبد الله كان مفتي أهل المدينة في زمانه، فقد كان فقيها فصيحا، كان ضريرا فقد عينيه آخر عمره، مولعا بسماع الغناء، توفي رحمه الله سنة 212هـ. /827م.

3- فتواه هذه هي من قسم ظهر البعير فهي أساس على ما يبدو وسبب استصدار هذه الأسئلة التي طرحت على الإمام المغيلي، أساسها وجود أناس ثكلى في صحراء لا ينالهم حكم حاكم، ولا يدينون بدين يتخذهم اليهود أخلاء لهم، مما يدخل تحت هذه الأسئلة ثلاثة توجهات متقاطعة ومتباينة في آن واحد.
- أولها: وجود أناس همل في صحراء غائرة والمغيلي قد أفتى بعدم ترك الناس همل، جاء ذلك في رده على سؤال محمد بن أبي بكر أسكيا الكبير جواب المسألة الرابعة حيث يقول (إعلم أن البلاد ثلاثة أقسام: الأول بلاد سائبة ليس لهم أمير بل مهملون فهؤلاء أجبهم إلى مبايعتك والدخول تحت طاعتك فإن أبوا ذلك فأجبرهم عليه بما استطعت لأنه لا يحل لطائفة من المسمين أن يكونوا همل). وإن أبوا جاهدهم بالسيف حتى يدخلوا كلهم تحت طاعتك على طاعة الله ورسول. ه وذلك من أفضل الجهاد وأهمه ففي صحيح مسلم عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقد بيعة مات ميتة جاهلية). لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير محمد بن أبي بكر أسكيا الكبير، طبع دار الغرب 2002، ص134-135.
- ثانيها: قد ينصرف المدلول لأولائك الأطفال الغر الصغار المولودون من أمهات مسلمات، وهي إحدى الرهانات والخروقات التي ثار ضدها الإمام المغيلي.
- ثالثها: قد يكون انصراف المدلول لمن لم يختن أو أن هناك قوما لا يعرفون الختانة غلف فشبههم بغشاء عضو الطفل الصغير، فهم كما وصفوا لا يعرفون عن الدين شيء.

القول الثاني: نظر لشبهة ملكهم في القديم والحادث لم يرهما من رفع اليهودية والنصرانية في الإسلام وهو قول غير ابن القاسم في المدونة[1]. فقال كل بلد افتتحت عنوة، وأقروا فيها وأوقفت الأرض لا عطيات المسلمين ونوابيهم فلا يمنعوا من كنائسهم التي فيها، ولا من أن يحدثوا فيها كنائس، لأ م أقروا فيها على ما يجوز لأهل الذمة ولا خراج عليهم، في القرى التي أقروا فيها وإنما الخراج على الأرض.

القول الثالث: نظر لحقيقة الملك في الحادث ولشبهة ملكهم في القديم ووجهه ظاهر، وهو قول ابن القاسم على ما فهمه اللخمي[2] من أن ظاهر قوله في المدونة أن القديم فيها يترك، قال فيها وليس لأهل الذمة أن يحدثوا الكنائس أو البيع في بلاد العنوة لأ ا فيئ[3] وليست لهم، ولا تورث عنهم، ولو أسلموا[4] لم يكون لهم فيها شيء.

1- المدونة الكبرى: هي عبارة عن أسئلة وأجوبة لمسائل فقهية وردت على الإمام مالك رواها عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بابن سحنون سنة 240هـ. /854م فقد جمعها وصنفها ورواها عبد الرحمان بن القاسم العنقي سنة 191هـ. /806م عن الإمام مالك بن أنس، كما تنسب أحيانا لسحنون لأنه رواها، والمدونة جمع أراء الإمام مالك المروية عنه والمخرجة على أصوله، وعلى أراء بعض أصحابه مع بعض الآثار، والأحاديث التي وردت في مسائل الفقه المالكي، فأصبحت أصل الفقه المالكي تأتي في المرتبة الثانية بعد الموطأ، أكثر علماء المالكية يتلقون ما جاء فيها بالقبول. تتألف من أسئلة وأجوبة تتبع منهج (الفنقلة) بلغت مسائلها 6200 مسألة مرتبة على أبواب الفقه تضمنت رواية الإمام مالك عن الصحابة والتابعين، أجزاؤها ستة.

2- هو أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن مضاء بن مهند بن عمير اللخمي قرطبي جياني الأصل قديما، كان ممن ختمت م المائة السادسة من أفراد العلماء وأكابرهم ذاكرا للمسائل الفقهية عارفا بأصوله متقدما في علم الكلام ماهرا في كثير من العلوم كالطب، والحساب، والهندسة، كما كان بليغا في التصريف من العربية شاعرا بليغا متحققا في المنقول والمعقول. لقد استقضى ببجاية وتقلد بمراكش قضاء الجماعة، واستقضى بفاس، ثم دخل الأندلس وتفرغ لإقامة العلم صابرا محتسبا. ولد بقرطبة سنة 513هـ. /1119م وتوفي رحمه الله بأشبيلية سنة 592هـ. /1196م.

3- الفيء: هو ما حصل عليه المسلمون من ممتلكات الحربيين بدون قتال مصداقا لقوله تعالى: ﴿**ما أَفَاء اللَّه علَى رسوله من أَهلِ الْقُرى فَلِلَّه وللرسول ولذي الْقُربى والْيتامى والْمساكين وابن السبيلِ كَي لَا يكُونَ دولَةً بين الْأَغْنياء منكُم وما آتاكُم الرسولُ فَخذُوه وما نَهاكُم عنه فَانتهوا واتقُوا اللَّه إنَّ اللَّه شَديد الْعقَابَ**﴾ (الحشر:7).

ويطلق على ما بذله العدو من أموال ومعدات للكفّ عن قتالهم، كما يطلق على الجزية والخراج، والعشر، ومال المرتد، ومال من مات ولا وارث له، قال الإمام مالك في المدونة (والفيء، والخمس يجعلان في بيت المال) قال تعالى: ﴿**واعلَموا أَنما غَنمتم من شيء فَأَنَّ للَّه خمسه وللرسول ولذي الْقُربى والْيتامى والْمساكين وابن السبيلِ**﴾ (الأنفال:41). يكون مرجع توزيع هذه الأموال بيت مال المسلمين، وبحسب اجتهاد ولي الأمر يصرفها في المصالح العامة كما جاء في صلب الآية السابعة من سورة الحشر. تعد هذه القضية من إحدى المعوقات الدرامية التي ناقض الإمام محمد بن عبد الكريم علماء عصره فيها. فأفتى بضرورة دفع الجزية من الكتابي لبيت المال، وغيره يرى أن ما يدفعه اليهود من صدقات لرؤساء القصور كاف، بما أن للإمام تحديدها بحسب الأحوال والظ. روف، فطلب أن تدفع الجزية لبيت المال مصداقا لقوله تعالى: ﴿**حتى يعطُواْ الْجزيةَ عن يد وهم صاغرونَ**﴾ (التوبة:29).

4- أعتقد أن في ذلك نظر بحيث لو دخلوا في الإسلام لا نطبق عليهم إلا ما ينطبق على المسلمين فلا يلزمون بدفع الجزية، ولهم حق التملك والبيع والشراء في أرض العنوة، لأن مانع المنع ينتفي بنفي سببه. فقد جاء في متن الرحبية هي متن في علم الفرائض، المواريث، عدد أبيا ا 175 بيتا من بحر الرجز. صنفها العلامة أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الحسن الرحب. ي الشافعي المعروف بابن المتقنة المتوفي سنة 557هـ. /1162م قام بشرحها الشيخ عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، يقول أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد، في أسباب الميراث:

أسباب ميراث الورى ثلاث. ة ∴ كل يفيد ربه الوراث. . . ة
وهي نكاح وولاء ونسـ. . ب ∴ ما بعدهن للموارث سبـ. ب

أما موانعه يقول فيها:

ويمنع الشخص من الميـ. . راث ∴ واحدة مـ. ن علل ثـ. . لاث

وكذلك ما اختطه المسلمون عند فَتحهم، وسكنوه كالفسطاط، والبصرة والكوفة، وإفريقيا، وشبهها من مدائن الشام، فليس لهم إحداث ذلك فيها، إلا أن يكون لهم عهد فيوفي لهم به، لأن تلك المدائن صارت لأهل الإسلام يبيعو ا ويتوارثو ا، ولقد سألت عن ذلك مالكا[1] فقال ليس لأهل الذمة أن يحدثوا ببلد[2] الإسلام[3] كنائس إلا أن يكون أمرا أعطوه انتهى.

قال بعض الأشياخ قوله أن يكون أمرا أعطوه يريد أن يكون قيل لهم أول الفتح نعطيكم هذه الأرض تسكنوها وتحدثوا فيها كنيسة، فإما أن يقال لهم على أن تحدثوا ما شئتم من الكنائس، ومتى شئتم فلا؟ وقد اختصر ابن عرفة نقل اللخمي والأقوال الثلاثة بقوله: وفي جواز إحداث ذمي الذمة الكنائس ببلد العنوة المقر ا أهلها وفيما اختطه المسلمون فسكنوه معهم وتركها إن كانت ثالثها تترك ولا تحدث، ثم نقل عن اللخمي عزوها، ومراده بما اختطه المسلمون ما ذكره في المدونة، وغيرها من أرض الفتح لا ما هو أعم من ذلك، ومن بلد بناها المسلمون، بأرض أحيوها لأن ضمير الجمع في سكونه راجع للمسلمين، وفي معهم راجع لأهل الذمة، فهي أرض سكنها المسلمون معهم لا أرض سكنوها مع المسلمين فافهمه.

رق، وقتل واختلاف دي. . . ن ∴ فافهم فليس الشك كاليقي. ن

1- لقد كتبت هكذا في أ و ج والأصح إن تكتب (ولقد سئل عن ذلك مالك).

2- اية الصفحة الثانية عشر في أ و ج.

3- لقد تفرع في الكلام على ما يتمسك به بظاهره في منع الإحداث فقد قسم الأرض باعتبارها إحداث الذمي فيها كنيسة لثلاثة أقسام :

– **الأولى: أرض المسلمين**: وهي ما ملكه المسلمون ملكا تاما يقبل نقل الملك بسبب من أسبابه، ومن ذلك الأرض المختطة المعطاة والخطة العطية، قال الجوهري الخطة بالكسر الأرض يخطها الرجل بنفسه وهو أن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد اختارها ليبنيها دارا ومنه خطط الكوفة، وعندنا خط القائد في أولف، حيث علم على أرض وبقيت له ولأبنائه وأحفاده، كما أن ثمة طريقة أخرى يقوم ا سكان السهوب بالنعامة، والبيض، وسيدي بلعباس وتيارت، فهم يعلمون على الأرض بوضع كومة من الردم ا، وأحيانا حفر بئر، أو بناء بيت، أو التخيم قرب ضاية تتجمع ا مياه السيول، وهذه الخطط والتعليمات الخطية لازالت قائمة لحد الآن.

قال الشيخ أبو إسحاق التونسي (ما اختط المسلمون من أرض فلهم أن يبنوا ويمتلكوا مثل القيروان التي اختطها العرب حين نزولها فلا شك في جواز بيعها).

– **الثانية: أرض الصلح**، فهي على وجهين.

الأول: يعمرها أهل الصلح بخراج ورقبتها للمسلمين.

والثاني: أن تكون الرقبة لهم وعليهم الخراج.

– **الثالثة: أرض العنوة**: فهي المأخوذة من أيدي الكفار الحربيين قهرا وهي أيضا للمسلمين لا تقبل النقل، وللملك بسبب من الأسباب فيمنع فيها الابتياع، فالأرض الأولى اتفق العلماء المالكين على منع إحداث الذمي فيها كنيسة، ففي المدونة (ولا يجوز لمسلم أن يكرى داره أو يبيعها لمن يتخذها كنيسة، وفي رسم يسلف في المتاع والحيوان من سماع ابن القاسم من كتاب السلطان من العتبية. أنظر للمزيد كتابنا مدونة الفقه النوازلي، ج1، ص87–88.

القسم الثالث: أراضي صولح عليها أهلها

أرض ليست للمسلمين وهي أرض صالح أهلها عليها، فأقاموا ا، فإن كانوا منعزلين عن المسلمين، فلا يتعرض لبيعهم وكنائسهم، ولهم إحداث ما أرادوا منها، وإن لم يشترطوه اتفاقا لأن الأرض لهم وهم منعزلون عنا فلم يكن إقامتهم لبيعهم وكنائسهم هناك من رفع اليهودية والنصرانية[1] في الإسلام، وإن كانوا بين المسلمين فقولان:

القول الأول: نظرا لملكهم أرضهم في القديم والحادث، فلم يرهما من رفع اليهودية أو النصرانية في الإسلام، وهو قول ابن القاسم في المدونة، قال فيها ولأهل الذمة أن يحدثوا الكنائس في بلد صولحوا عليها لأ ا بلادهم ليس للمسلمين فيها شيء.

القول الثاني: نظرا لملكهم أرضهم في القديم ولكو م بينها في الحادث فرأى أن القديم ليس من رفع اليهودية والنصرانية في الإسلام وهو قول ابن الماجاشون، فقال ويمنع أهل الذمة أن يحدثوا كنيسة في بلد صولحوا عليها إن كانوا بين المسلمين[2]. ويمنعون من رم كنائسهم القديمة إذا رثت، إلا أن يكون ذلك شرطا في عهدهم فيوفي لهم به، ويمنعون من الزيادة ظاهرة[3]، وباطنة، قال وإن صولحوا على أن يحدثوا الكنائس إن شاؤا لم يجز هذا الشرط، ويمنعون منه لأنه خلاف ما قال النبي عليه السلام. فلا يوفي لهم إلا بما شرطوا من الذمة فقط انتهى.

فهذا حكم الكنائس كلها بنصوص أهل المذهب، ومن ذلك تعلم أنه لا يحل لليهود المذكورين بناء كنيسة في البلاد المذكورة قولا واحدا من غير خلاف لأ ا ملك للمسلمين ليس لليهود فيها شبهة ولا يهمك كلام ابن عرفة[4]، إن قول الغير يدخل هنا لأن قول

1- لقد كان اليهود يحملون أولائك الأبناء الغلف يحملون بعيدا عن أعين الخلق يعلمو م اليهودية وكتابتها، يغرسو م ديانتها، مبعدينهم عن الخلق، أصموا آذا م وعموا أبصارهم فكانوا لهم عيونا مفتحة ينقلون لهم أخبار المسلمين من داخل القصور.

2- المشكل النوازلي الذي نزل وتم عليه طرح هذه الأسئلة أشار إلى قوم خارج النسيج العمراني، ومن جهة أخرى لا ينالهم حكم أمير أو قاض، ولا يعرفون عن الدين شيئ. لهذا بناء الكنائس في هذه المواقع لم يكن لهم فيها عهد ولا ميثاق ولم يكن للإمام عليهم عقد، فهم هم، فلا يمكن أن نطرح عليها أحكام أهل الذمة إلا بعد بيان شروطها، قال تعالى: ﴿**وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون**﴾ (القصص:59).

3- بالنسبة لقصور توات كانت هذه الكنائس مبنية داخل النسيج العمراني بين دور المسلمين لذلك يؤكد الإمام المغيلي على هدمها، ويفرض على أهل الذمة نقلها من حي تفاغي لمكان أبعد عن النسيج العمراني، اية الصفحة 12 في كل النسخ، هكذا كتبت في كل النسخ.

4- هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي مولدا. فقد ولد سنة 716هـ. /1316م، فهو إمام تونس وخطيبها العلامة المحقق القدوة النظار الظاهر على رأس المائة الثامنة كما قال عنه الإمام الشيخ عبد الرحمان السيوطي، من أبرز مؤلفاته: تفسير القرآن الذي اعتمد فيه على ابن عطية، والزمخشري، تولى الإمامة والخطابة، والتدريس بجامع الزيتونة بداية من سنة 772هـ. /1370م. وبعد وفاة الشيخ البسيلي سنة 756هـ. /1355م تقدم لإمامة الصلوات الخمس بجامع الزيتونة، توفي رحمه الله في 24 من جمادي الأولى الموافق لـ. 6 أكتوبر 1401م، ودفن بالزلاج بالقرب من مقبرة أبي الحسن المنتصر على مقربة من مقام أبي الحسن الشاذلي.

الغير في أرض سكنها المسلمون مع الكفار، وهذه الأرض التي سألت عنها (إنما سكنها الكفار مع المسلمين فافهمه) [1].

وأما ما ذكرت من رفعهم أصوا م بالقراءة وغيرها فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله عند ذكر عقوبة أهل الذمة على تعدي الحدود.

وأما ما ذكرت من اتخاذهم بعض المسلمين خدمة في طين الكنائس[2] وبنائها: فحرام شرعا وقبيح طبعا، ولا يخالف في ذلك أحد من علماء الإسلام قطعا لأنه من التعاون على الإثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف لا وقد قال في

1- إذا كان طارح السؤال يعني يهود توات وقرارة فهؤلاء كانت بيو م ملاصقة لبيوتات المسلمين، وإن كان حيزهم يطلق عليه درب اليهود أو زنقة اليهود، أو (زقاق اليهود) وتميزهم به، يرجع أساسا لما هم فيه فاعلون من صناعات تقليدية، اعتمادهم على أن يكونوا قريبين من بعضهم البعض للحماية، والحراسة اللصيقة لدكاكينهم فتجد مدرستهم ومتعبدهم، وصنائعهم قرابى. وسك النقود، وضرب الحلى الذهبي والفضي، ونسج البرانس، والجلابيات، والكرزية (جمع كرازى والكنبوش جمع كنابش والدكالي جمع دكاكيل)، والعطف، والقشابيات والحواويق الصوفية، والسلاهيم البيضاء، وحدادة المسحاة، والقادوم، والمنجل، والمطرقة، والقدور، والأواني المترلية، فقد جاء التخصيص من التخصص للاستبانة والمظهرة بتلك الأزقة الضيقة المظلمة عادة، أغلبها حفر في مادة التافزة، وكالسيوم الملح. فقد كانوا يجعلون تحت بيو م دهاليز للخزانة والاختباء، عندما تنشب التراعات بين الطوائف المسلمة واليهود، كما كانت هذه الدهاليز للطائفة وائها صيفا تعويض عن نزولهم للفقاقير لاتقاء حرارة الصيف، واختلاطهم بالمسلمين.

2- بحسب الموروث الشعبي المتداول بقصور توات وقرارة، كان اليهود يعمدون لتخديم بعض المسلمين كخماسين وخراطين لكميات المياه الجارية في بساتينهم، كما كانوا يكرون البيـ ـوت خماسـ ـة= = وخراصة، أما مسألة البناء فقد كان العرب المسلمون مهرة في البناء فكان يعمد اليهود بجلبهم لذلك ويعطو م أجرة عند عملهم، والإمام المغيلي رحمه الله قد أفتى بكفر من قام ببناء كنيس أو دير أو صومعة يعبد فيها غير الله. أما الطين المستعمل في تلك الأحقاب يقسم لثلاثة أنواع:

1- الطين الأصفر: كان يستعمل أحيانا لغسل الملابس على ضفة السواقي.

2- الطين الأبيض: يعتمده الطالب معلم القرآن للأطفال لطلي اللوح الأفربيشي لتصبح ناصعا أبيض يخط عليه الطفل الحروف فتنصع وتظهر، فالنقش في الصغر كالنقش على الحجر والنقش في الكبر كالنقش على الرمل.

3- الطين الأحمر: اعتمده السكان كرداء وقائي لكسر أشعة الشمس وإعطاء راحة ظلالية للأعين خلال فصل الحر الوقاد، فإنك ما ترى بيتا إلا وطلى بالطين الأحمر، كل هذه المعادن تستخرج من معد ا (تكازطين)، فعند قيام (الماصو) بالبناء المدعم بثلاثة عمال مساعدين له أحدهما مساعد، والثاني عجان، ولتتم العملية وتعطى قوة للجرار يقوم العجان بخلط الطين الأحمر بالمواد التالية: غرارات من الطين الأحمر+ غرارات من التاقة+ غرارات من الجبس+ غرارات من الملح+ غرارات من الرمل) تخلط هذه المواد مع بعضها ويضاف لها الماء بعد أن يحفر لوضعها بفقير ثم تردم وتغطى بكمية من الرمل لتصبح بعد الغد جاهزة للاستعمال بعد تخميرها، فمادة تراب الملح أو كلس الجير+ التاقة) تستعمل لأ ا تمنع الجدار من الانجراف كما تعطيه قوة وصلابة فلا يتأثر بسقوط قطرات المطر النادرة، هذه المواد استعملت في قصر تمنطيط والتي جدارا ا لازالت قائمة على حالها.

المدونة (ولا يجوز لمسلم أن يكري داره أو يبيعها ممن يتخذها كنيسة وبيت نار كان في مدينة أو قرية لأهل الذمة) [1]. ولا يكري منهم دابة ليركبوها لأعيادهم أو بيع منهم شاة يعلم أ م يذبحو ا، لذلك انتهى.

فإذا كان لا يجوز لمسلم أن يعين على بناء كنيسة بأرضه فأحرى بيده، فإن في ذلك من الإعانة على الضلال، ومباشرته وإذلال المسلم نفسه للكافر ما لا يرضى به إلا منافق أو فاسق ألم تر إلى قول أصبغ[2] في نصراني دفع إلى نصراني طيرا مادة بأن يبيعه، ويجعل ثمنه في الكنيسة فمر به مسلم فسأله، فأخبره قصته، وما أمره في ثمنه، فأراد المسلم شراءه قال أصبغ لا يعجبني ولا أراه في سعة، وأراه في إثم وحرج، وأراه عونا على شرائع الكفر، وتعظيم الكنائس، وعمار ا، والذي فعل هذا أو شبهه مسلم سوى مريض الإيمان انتهى.

فإذا كان ذلك من قول العلماء في مشترى هذا الطير فكي ـ ف بم ـ ن باش ـ ر بن ـ اء الكنيسة بيده وأعمل لها بابا[3] أو حصيرا، أو خدمها في شيء، فواجب على من قلده الله النظر في أمور المسلمين أن يؤدبه على فعله إلا أن يعذر بجهله[4].

1- من خلال سياق الطرح الاسترسالي للسؤال وتضمين الإجابة عليه فإن بناء الكنائس خارج النسيج العمراني للمسلمين لا ضير فيه إذا كانوا معزولين وشرطوا ذلك في عقد زمتهم، إلا أن السؤال في الفصل الأول كان عن أناس مهملون لا ينالهم حكم الأمير ولا يعرفون عن الدين شيء، فهؤلاء كيف نحاسبهم وهم مهملون، قال تعالى: ﴿**وما كَانَ ربك مهلك القُرى حتى يبعثَ في أُمها رسولًا**﴾ (القصص:59).

2- الإمام أصبغ: بن الفرج ابن سعيد بن نافع الشيخ، من فقهاء المالكية، الإمام الأكبر مفتي الديار المصرية ومحدثها وعالمها أبو عبد الله الأموي المصري المالكي، ولد سنة 150هـ ـ /767م، وتوفي في 4 من شوال 225هـ ـ /839م.

3- اية الصفحة الثانية عشر في أ و ج.

4- يحث الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ألا يعفى مرتكب هذا الجرم إلا إذا صدر منه عن جهالة وعدم تبيان بينة لذلك على الأمة أن تختار من يحكمها أن يكون ذا بصيرة وتبصرة، وألا يكون جاهلا لأحوال الناس ونجاعتهم، يقول الإمام المغيلي (وإقبالك على الناس بوجه أداء الحق، ولا تفتح فمك ولو للتثاوب فإن كاد أن يغليك، فأذكر ربك يذهب عنك، وإن غفلت حتى غلبك عليك بسد فمك بظهر إحدى يدييك. فيقول في هذه الأبيات:

مولاك لا تفتحه أبدا فإنم ـ ـ ـ ـ ا ∴ يقهقه الأعمى ويزداد عم ـ ـ ـ ى
وكن على الصمت حريصا دائم ـ ا ∴ فقلما يسلم م ـ ن تكلم ـ ـ ـ ـ ا
وإن يكن لا بد فاختر محكم ـ ـ ا ∴ واخفض من الصوت ليلا تندم ـ ا

المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فقدم عقلك بين يدي لسانك، فإن لسانك مرآة قلبك وقلبك مجمع شأنك أقبح القبائح إثنان: كبر الفقير، وكذب السلطان. فإذا تحدثت فاصدق وإذا وعدت فأوفي، وإذا أمرت بأمرا و يت عن شيء فلا تغفل عنه حتى تبلغ المقصد منه، وإياك أن تقصر خطوتك عن مقالك فتذهب هيبتك من قلوب رعيتك وعمالك فأنشد يقول:

إذا أهمل السلطان شأن قوم ـ ـ ـ ه ∴ فقد بان منه الضعف في كل حاله=

وأما أجرته فيتصدق ـا قبضها أو لم يقبضها، وهو في ذلك كمؤجر نفسه لرعي خترير أو حمل خمرا ونحوهما. ففي المدونة قال ابن القاسم، ولا يجوز لمسلم أن يؤجر نفسه أو عبده أو دابته في حمل الخمر، أو داره، أو حانوته، أو شيئا مما يملكه في أمر الخمر. ولا يعطي من الأجرة شيئا لا ما سميا، ولا أجرة مثله كمسلم باع خمرا، فلا يعطي من ثمنها شيئا، ويفعل فيه إن كان قبض الأجر ة مثل ما وصفنا في ثمن الخمر يريد يؤخذ الثمن منه فيتصدق به[1].

وقال فيها أيضا[2]، وإن أجر المسلم نفسه من ذمي يرعى له الخنازير فإن المسلم يؤدب على ذلك، إلا أن يعذر بجهله، وتؤخذ الأجرة من الذمي، ولا تترك له فيتصدق ـا على المساكين[3] وفيها أيضا، وإكراه لمسلم أن يؤجر نفسه من ذمي لحرث، أو بناء، أو سراحة، أو غير ذلك[4]، أو يأخذ منه قرضا[5] ولا بأس بالأجرة على طرح الميتة، والدم والعزرة.

= وأمسى كليل الأمر والنهي والـ ـورى ∴ وارمي بثوب عزه وجمالـ . . ـه

ولا تقرب لمسك وخدمتك ناقصا في أعين الناس، فإن دائرة المرء لباسه فاختر خير لباس. لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا مدونة فقه التشريع لبناء الإمارة، ج2، ص254-255-256.

يقول الإمام محمد بن عبد الكريم في شأن اختيار الحاكم وتفرسه في حداقة أمور الناس :

إذا كنت في أمر فقم فيه ناصحـ ـا ∴ وإن تستنب فاختر خيارا لأهله

ومن يأت بالكلب العقور لبابـ . ـه ∴ فعقر جميع الناس من سوء فعله

فإن اختيارك لتدبير أمرهم لا حبا فيك بل لما لمسوه فيك، يقول الشاعر:

لم يؤثروك ـا إذ قدموك لهـ . . ـا ∴ لكن لأنفسهم كانت بك خيـ ـرا

وإذا أصابت الحاكم الغفلة فاحكم عليه وعلى شعبه بالضياع، يقول الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

إذا أهمل الراعي المواشي في الخـ ـلاء ∴ وآلى إليها في المراح وأهملا

فما هو إلا واحد من أسودهـ . . ـا ∴ وعما قريب تتجلى منه أولا

أنظر لمزيد من التفصيل كتابنا مدونة فقه التشريع لبناء الإمارة، ج2، ص251. وإذا انتفت منه الفطنة والتبصر يصبح كماسك قرون البقر لحالبها، ويمسى كسلم الدار لصاحبها.

1- أفتى المغيلي بأن يتصدق بأجرة أخذها المسلم من ذمي نظير عمله اليومي عنده.

2- هناك محو في أ و ب.

3- يشدد الإمام المغيلي على المسلمين وعلى الضعفاء منهم الابتعاد عن الذميين وعدم التعامل معهم، والظاهر أن الحياة البسيطة للناس، وقلة الحاجة والفاقة ونقص المأونة، لأن القصور تعتاش من مرور القوافل فصليا. وبالتالي يأتي ربيعا أو خريفا، أو شتاءً تقل فيه المئونة فتجدب الأرض ويندر الزرع وينضب الضرع، ومع هذه الحالات يحث الناس على عدم مساعدة أو العمل للذمي لأنه يعتبر ذلك معاونة على عدم الطاعة واعتماد الإضاعة فقد كان البعض يقترض، ويسلف، ويخرص، ويخمس، البساتين، والمياه وحتى لا يتم التضييق عليهم، أفتى بذلك لأ م العدو الدائم للمسلمين.

4- لقد اعتمد اليهود الميسورين المشاركة في جلب مياه الفقارة بالمشاركة في حبا ـا (المعبود، والزريق) فناتج المحصول يدفعونه لبساتينهم أو يخرصونه ويخمسونه، وأحيانا يكرونه للمسلمين.

5- من أسباب مكرهم وخداعهم تعامل اليهود يكون دائما فيما يجلب الربح وإن كان بطرق غير شرعية، فاعتمادهم على الربى سفَّه الإمام المغيلي به أحلامهم وفضح سرهم ومقاصدهم للمسلمين،=

وفي ابن يونس[1] وكره مالك وغيره من العلماء أن يأخذ المسلم قرضا من ذمي لئلا يذل نفسه. وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) [2].

أن يؤجر نفسه في عمل يكون فيه تحت يده كأجير الخدمة في بيته، وإجارة المرأة نفسها منه لترضع له ابنه في بيته، وما أشبه ذلك، فهذه تفسخ إن عثر عليها قبل العمل، فإن فاتت مضت، وكانت الأجرة له.

* **والحرام**: أن يؤجر نفسه منه لما لا يحل من عمل الخمر أو رعي الخنازير وما أشبه ذلك، فهذه وقد فصل ابن رشد حكم إجارة المسلم نفسه من ذمي: فقال إجارة المسلم نفسه من النصراني، أو اليهودي على أربعة أقسام؛ جائزة، ومكروهة، ومحظورة، وحرام.

* **فالجائزة**: أن يعمل له في بيت نفسه، أو حانوته كالصانع يعمل للناس، فلا بأس، أن يعمل له كما يعمل للناس من غير أن يستمد بعمله.

* **والمكروه**: أن يستمر بجميع عمله من غير أن يكون تحت يده مثل أن يكون مقارضا له[3] أو مساقيا.

=ومع هذا كان البعض يتعامل معهم قراضةً، وسلاَفَةً ورهانة، ووديعة، فكانوا يقرضون لمدة سنة حملا قمح أو شعير بحملين في السنة القادمة وأحيانا حمل قَمح بثمنه مزدوج.

1- ابن يونس ولد بقلعة أربل ونشأ في الموصل بالعراق سنة 535هـ. /1140م هو محمد بن يونس بن محمد بن منعة أبو حامد عماد الدين الموصلي إمام وفقيه شافعي، تولى القضاء سنة 592هـ. /1196م، توفي سنة 608هـ. /1211م، وعندما توفي الإمام نور الدين سنة 607هـ. /1210م توجه لبغداد، من مؤلفاته :
- المحيط الجامع بين المذهب والوسيط في الفقه.
- شرح الوجيز للغزالي في العقيدة.
- تعليق على الخلاف لم يكمله.

2- لقد روى الحديث بوجه عدة قال ابن حجر (في الدراية في تخريج أحاديث الهداية) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، ص196-197. والبيهقي في الدلائل من حديث عمر بن الخطاب، وأخرجه الدار قطني من حديث عائد بن عمرو، وأخرجه أسلم بن سهل في تاريخ واسط من حديث معاذ بن جبل، أضاف الناسخ حرف الألف في أ وحذفت من باقي النسخ.

3- المقارضة: ما كان يتم بين المسلمين واليهود من مقارضة ربوية فكثرا ما كان المسلم ينقضي أجل رد ما قرض فيعجز، فيأخذ منه بستانه، أو بيته، أو شاته، أو حبات المياه المالكها، والأخرى من ذلك أن يأخذ أحد أبنائه للعمل عنده مدة سنة نظير ما عليه من دين، أو إحدى فتياته للعمل في مترله كخادمة، والقانون العرفي المتبع المكاتبة بين المسلم والذمى وإن كان هناك ثلاثة أنواع من المحاكم.
1- محاكم للمسلمين.
2- ومحاكم لليهود.
3- ومحاكم مختلطة تنظر في القضايا الحاصلة بين المسلم واليهودي ومحاكم اليهود خاصة م قضا ا يهود كما هي محاكم المسلمين.

* **والمحظورة**: تفسخ إن عثر عليها قبل العمل، فإن فاتت بالعمل يتصدق بالأجرة[1] على المساكين انتهى. وإما ما ذكرت من قولهم في العرب فذلك من حسدهم والتهاب قلو م كما قال تعالى: ﴿**قَد بدت الْبغضاء من أَفْواههم وما تخفي صدورهم أَكْبر قَ ـ د بينا لَكُم الآيات إن كُنتم تعقلُونَ**﴾ [2] إنما مثلهم في ذلك كمثل إبليس[3] اللعين حين رفع الله آدم واصطفاه أبي واستكبر وكان من الكافرين، ثم قال (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) [4]، وسيأتي إن شاء الله ذكر عقوبتهم على ذلك. وأما قولهم نحن خير منهم في قوة الدين لأ م يقتلون النفوس ونحن لا نقتلها[5]. فذلك من تا م.

لم تزل اليهود على نقض العهود، وتعدي الحدود، وقتل الأولياء والأنبياء بغير حق حتى انحطت راية عزمهم تحت الأقدام وانكسرت شوكة بغيهم بسيف الإسلام، ألم تر إلى

1- لا أعلم أن يعمل الرجل أو المرأة طيلة يومه لا يتلقى طعاما وتسلب منه أجرته ليتصدق ا، أعتقد أن في ذلك غبن وضياع لحق الأجير. والرسول عليه السلام يقول (إعط الأجير حقه قبل أن يجف عرقه) فما إن كان العمل شرعي وعقدي على حلال فلا أرى سلب أجرة الأجير، ففي الحديث القدسي فيما رواه النبي (ص) قال جل جلاله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى ولم يعطه أجره) الحديث رواه أبو هريرة، وأخرجه البخار، وأحمد، والبيهقي، قال الحافظ بن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري قوله ثلاثة أنا خصمهم هو خصم لجميع الظالمين فأراد التشدد بالتصريح لقوله أعطى بي ثم عذر أعطى بيمينه بي عاهد عهدا حلف بالله عليه ثم نقضه.

2- اقتبس جزء من الآية 118 من آل عمران قوله تعالى: ﴿**يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ بطَانَةً من دونكُم لاَ يأْلُونكُم خبالاً ودواْ ما عنتم قَد بدت الْبغضاء من أَفْواههم وما تخفي صدورهم أَكْبر قَد بينا لَكُم الآيات إن كُنتم تعقلُونَ**﴾.

3- إبليس: هو كبير الشياطين، وهو جانّ من الجن العابدين الله تعالى، ومن عبادته كرمه الله بأن رفعه في الملأ الأعلى قال تعالى ﴿**وإذْ قُلْنا للْملاَئكَة اسجدوا لآدم فَسجدوا إلَّا إبليس كَانَ من الْجن فَفَسق عن أَمر ربه**﴾ (الكهف:50) لكنه عصى الله بامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام.
كما يطلق اسم (شياطين) على الذين يسلكون سلوك الشيطان من البشر، والشيطان: عدو الإنسان إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**إنَّ الشيطَانَ لَكُم عدو فَاتخذُوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكُونوا من أَصحاب السعير**﴾ (فاطر:6). فقد كان هو السبب في إخراج آدم وحواء من الجنة، بعد أن جعلهما يأكلان من الشجرة المحرمة، قال تعالى: ﴿**فَوسوس لَهما الشيطَانُ ليبدي لَهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقَالَ ما نهاكُما ربكُما عن هذه الشجرة إلاَّ أَن تكُونا ملَكَين أَو تكُونا من الْخالدين**﴾ (الأعراف: 20). وهو من الجن حيث يستطيعون أن يروننا نحن البشر، ونحن لا نستطيع أن نراهم، وهو مثبت علميا بوجود عوالم أخرى فوق العالم ثلاثي الأبعاد، قال تعالى: ﴿**يا بني آدم لاَ يفْتننكُم الشيطَانُ كَما أَخرج أَبويكُم من الْجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكُم هو وقَبيله من حيثُ لاَ ترونهم إنا جعلْنا الشياطين أَولياء للَّذين لاَ يؤمنونَ**﴾ (الأعراف:27).

4- اقتبس جزء من الآية قوله تعالى: ﴿**قَالَ ما منعك أَلاَّ تسجد إذْ أَمرتك قَالَ أَنا خير منه خلَقْتني من نارٍ وخلَقْته من طين**﴾ (الأعراف:12).

5- يشير هنا لواقعة النفرات التي أحدثها الإمام المغيلي في اليهود والتي أدت إلى موت بعضهم، فما لم يزل السبب الذي أدى لذلك تبقى ردت الفعل من أجناد الإمام دفاعا عن العرض والأرض، ونصرة لدين الله وحظوة لنبيه عليه الصلاة والسلام، يقول الإمام المغيلي في حب النبي

حب النبي يقتضي بغض اليه ـ ود ∴ فابك على ما قد مضى ولا تعود
كيف بمن قرب أعداء النبـ ـ ي ∴ في القبر والحشر إلى نار الوقـ ـود
من ذا الذي يشفع فيه إن دنت ∴ من وجهه الذي أرضى به اليهود

أنظر شرح ذلك بكتابنا مدونة نازلة يهود توات، ص133.

قوله تعالى: ﴿**ضربت علَيهم الذِّلَّةُ أَين ما ثُقفُواْ إلاَّ بحبلٍ من اللّه وحبلٍ من الناسِ وبآؤوا بغضب منَ اللّه وضَربت علَيهم الْمسكَنةُ ذَلكَ بأَنهم كَانواْ يكْفُرونَ بآيات اللّه ويقْتلُونَ الأَنبياء بغيرِ حق ذَلكَ بما عصَوا وكَانواْ يعتدونَ**﴾ [1] وسيأتي إن شاء الله ذكر عقوبتهم على ذلك، وفي بعض هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله هداية، وما يتذكر إلا أولوا الألباب، ويتوب الله على من تاب والله المرفق للصواب[2].

1- سورة البقرة، الآية 61. لقد جاء في شرح هذه الآية بتفسير ابن كثير قال قال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**وضربت علَيهم الذِّلَّةُ والْمسكَنةُ**﴾ قال هم أصحاب الديانات أي أصحاب الجزية، ضرب عليهم الذل والهوان، وقال الحسن أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين، قال الله في شرحها (هذا الذي جازيناهم من الذلة والمسكنة وإحلال الغضب م لاستكبارهم عن أتباع الحق وكفرهم بآيات الله، وإهانتهم حملة الشرع وهم الأنبياء وأتباعهم، فلا ذنب أعظم من قتل نبي بغير الحق.

2- اية الفصل الرابع وبداية الفصل الخامس.

الفصل الخامس
هل يجوز إقرار مفاسدأهل الذمة وما رأى الشرع في ذلك

1- إسدال أسئلة الفصل الخامس

في قوله فهل يجوز لغلائفهم[1] إقرارهم على هذا الفساد وإعانتهم عليه، أو لا يحل لهم ذلك، وتجب عليهم التوبة والاستغفار، والتبرء من هؤلاء الكفار، لأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز ﴿**ومن يتولّهم منكُم فَإِنه منهم** ﴾[2].

وهل يجوز سبى[3] هؤلاء اليهود، وسفك دمائهم ويكون قتالهم جهادا حتى يؤدوا الجزية كما قال تعالى وينقادوا لأمر الشرع العزيز، ويلزموا الذل، والصغار؟ أم لا يجوز ذلك، ويتركون على ماهم عليه.

2- حواصل الإجابات عن الأسئلة المطروحة:

أقول والله الموفق للصواب.

أما جواز إقرارهم على ما ذكرت من الفساد، وإعانتهم عليه فلا يقول بذلك أحد من المسلمين إقرارهم على ذلك حرام، ومن رخص فيه فقد خرج عن شريعة الإسلام، ففرض واجب على الغلفاء المذكورين التوبة والاستغفار، والتبرئ من أولائك الكفار بإلزامهم ما ألزمهم الله من الجزية، كما قال تعالى: ﴿ **قَاتلُواْ الَّذين لاَ يؤمنونَ باللّه ولاَ** بِالْيومِ الآخرِ ولاَ يحرمونَ ما حرم اللّه ورسولُه ولاَ يدينونَ دين الْحق من الَّذين أُوتواْ

1- لقد أفتى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بعدم تولية يهودي لمصالح المسلمين فقال (ولأجل ذلك لا يحل لمسلم أن يوكل كافرا على سمسرة أو بيع أو شراء، أو صيرفة لأن الله في ذلك حقوق أوجب علينا القيام ا، وحقوق الله تعالى لا يؤمن كافر عليها). أنظر مدونة نازلة يهود توات، ص140.

2- اقتبس جزء من الآية 51 من سورة المائدة قوله تعالى ﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ الْيهود والنصارى أَولياء بعضهم أَولياء بعضٍ ومن يتولّهم منكُم فَإِنه منهم إِنَّ اللّه لاَ يهدي الْقَوم الظَّالمين**﴾.

3- السبى: ومسألة من لم يبلغ من أولاد الكفار ورأى المذاهب الأربعة فيه لقد جاء عند ابن قتادة في كتاب الجهاد (ومن سبى من الأطفال منفردا فهو مسلم، ومن سبى مع أحد أبويه فهو على دينهما، وحملته من سبى ولم يبلغ صار رقيقا، لا يخلو من ثلاثة حالات،

الأول: أن يسبى منفردا عن أبويه فهذا يصير مسلما إجماعا- لثبوت الدين له تبعا. وانقطعت تبعته لأبويه.

الثاني: أن يسبى مع أحد أبويه فيحكم بإسلامه أيضا، كما قال الأوزعي، وقال الشافعي وأبو حنيفة يكون تابعا لأبيه في الكفر لعدم انفراده عن أحدهما. ويرى الإمام مالك أن سبى مع أبيه يتبعه.

والثالث: أن يسبى مع أبويه فيكون على دينهما وبذلك قول مالك، وأبو حنيفة والشافعي، اية الصفحة في أ، ب، ج.

الْكتاب حتى يعطُواْ الْجزيةَ عن يد وهم صاغرونَ﴾ [1]. وقال تعالى: **﴿ يا أَيها الَّذين آمنواْ لاَ تتخذُواْ الْيهودَ والنصارى أَولياء بعضهم أَولياء بعضٍ ومن يتولَّهم منكُم فَإنه منهم إنَّ اللّه لاَ يهدي الْقَوم الظَّالمين﴾**[2] **﴿ومن لَّم يحكُم بما أنزلَ اللّه فَأُولَئك هم الظَّالمونَ﴾**[3]. و**﴿ وسيعلَم الَّذين ظَلَموا أَي منقَلَبٍ ينقَلبونَ ﴾** [4].

عقل المرء أساسه، وأديرته لباسه، فابن على الأساس واختبر خير لباس، من لا ينظر بعقله يسعى إلى الهلاك برجله، اليوم في الدور وعذا في القبور، وإلى الله النشور **﴿فَمن يعملْ مثْقَالَ ذَرة خيرا يره ومن يعملْ مثْقَالَ ذَرة شرا يره﴾** [5].

وأما ما ذكرت من سبى أولائك اليهود، وسفك دمائهم على سوء فعالهم فينبغي أن يتقدم في ذلك إليهم؟ وأن لا يعجل عليهم حتى يتقرر وجه طغيا م.

وطريق ذلك أن يؤمر أهل الحل والربط، بأن يضربوا عليهم (ما ضرب الله عليهم من الجزية) [6] والصغار، من غير ظلم ولا ضرر، ولا إضرار، فإذا حدت الحدود وعقدت العهود سلك م بعد ذلك سبيل أهل الذمة في تعدي الحدود. وسبيلهم في ذلك أن من تعدى من أهل الذمة ما عليه من الذمة وجب على المسلمين منعه وردعه، وذلك فرض لازم لولاة الأمر[7] من الملوك، والمشائخ والقضاة[8]. وكل من قدر على ذلك بفعل أو قول[9] وأهل الذمة في عقوبتهم على تعدي حدود العهد قسمان: -أهل صلح، وأهل عنوه.

1- سورة التوبة، الآية 29.
2- سورة المائدة، الآية 51.
- استساق جزء من الآية 45 من سورة المائدة.
4- سورة الشعراء، الآية 227 استنبط عجزها.
نلاحظ أن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي منهجه تعليمي موجه لثلاث فئات؛ الفئة الأولى: علماء عصره، الفئة الثانية: طلابه، الفئة الثالثة: علماء عصره خارج قطرية المكان الاستصداري لفكره، فلا يخرج منهجه عن المنهج المتبع من قبل علماء عصره منقل، مثقل بالحجج النقلية والعقلية لاعتماده على المنطق كحجة البهرجة الفكر وإعطائه رونقا استلهامي.
5- سورة الزلزلة، الآية 7-8.
6- لقد حذف ما هو داخل القوس في كل من ب، ج وأضيف لألف.
7- يشير هنا أن موقع صدور السؤال جاء ممن كان يقطن داخل نسيج عمراني فقد أشار لولات الأمر.
8- وأعتقد أن تصنيفه تحديدا للملوك سؤال يراعى منه طالبه إجابة شمولية، ولكنه عرج على المشائخ وهم رؤساء القصور الذين كانوا يتصرفون تصرف الحاكم الفعلي، ويظهر أن هناك مناطق أخرى يحكمها قضاة.
9- أعطى الإمام محمد بن عبد الكريم تكملة للروادع الثلاثة المشار إليها عرج على تبطينية بوجود مناطق لا يحكمها قاض، ولا ملك، ولا شيخ، والتي أستدل ا في صلب ونص الأسئلة المطروحة، فقال استدلالا (من قدر على ذلك بفعل أو قول فليفعل) وهذا أنيط استنتاجا من الحديث التالي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم.

أما أهل الصلح: فهم في عقوبتهم على تعديهم بحسب ما اشترط عليهم من الشروط الشرعية فلو شرط عليهم أ م إذ أظهروا خمرا أو خنزيرا، فلا عهد لهم[1] وقد حلت دماؤهم وأموالهم فذلك شرط لازم لهم كما في كتاب عمر رضي الله (عنه)[2]، في صلح نصارى الشام[3] حيث قال بعد ذكر شروطه عليهم، فإن خالفوا شيئا مما شرطوا فلا ذمة ذمة لهم، وقد حل للمسلمين منهم ما حل من أهل المعاندة والشقاق.

1- أعتقد أظهار الخمر ولحم الخنزير يعاقب عليه إذا كان خارجا عن محل الكتابي، وأما إذا كان داخل بيت أو معبده فلا أرى في ذلك حرج عليه لأنه في دينه محلل. أما إظهاره خارجا فيستاب وإن عاود يعاقب بمقامع ردعية شرعية أما وجوده عنده أو أكله لحم الخنزير فذلك له. وبخلاف ذلك يعاقب إذا خرج للطريق العام به أو أكل في وضح ار رمضان، أو شرب الخمر على قارعة الطريق فهذا يدخل تحت طائلة محتوى قوله تعالى: ﴿**وإن نكَثُواْ أَيمانهم من بعد عهدهم وطَعنواْ في دينكُم فَقَاتلُواْ أَئمةَ الْكُفْرِ إنهم لاَ أَيمانَ لَهم لَعلَّهَم ينتهونَ**﴾ (التوبة:12).

2- لقدَ سقطت من أ وج كلمَةَ عنه فأضفناها كما هي في ب.

3- لقد روى ابن حبان عن عبد الرحمان بن غنم رضي ا الله عنه أنه قال كتبت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام كتابا نصه (بسم الله الرحمان الرحيم لعبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: من نصارى الشام، أما بعد:

إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسها ودرارينا، وأموالنا، وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدائننا ولا في حولها ديرا، ولا بيعة، ولا كنيسة، ولا صومعة راهب، ولا نجدد ما خرب منها، وأن لا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا ار، وأن نوسع أبوا ا للمارين وابن السبيل، وأن ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاثة ليال، نطعمهم ونسقيهم، ولا نأوى في كنائسنا ولا منازلنا جاسوسا، ولا نكتم غشا للمسلمين، ولا نعلم أولادنا القرآن، ولا نظهر شرعنا، ولا ندع إليه أحدا، ولا نمنع أحدا من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام إن أراده وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجلسنا إن أرادوا الجلوس، ولا نتشبه م في شيء من لباسهم ولا في قلنسوة ولا عمامة ونعلين ولا فرق شعر. ولا نتكلم بكلامهم، ولا نتكني بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا، ولا ننقش خواتمنا بالعربية، ولا نبيع الخمر، وأن نجز مقادم رؤسنا، ونلزم زينا حيثما كنا، وأن نشد الزنانير على أوسطانا، وأن لا نظهر صلباننا وكتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم وأن لا نضرب بنواقسنا في كنائسنا إلا ضربا خفيفا، ولا نرفع أصواتنا بالقراءة ولا في شيء من حضرة المسلمين ولا نخرج ياسوعاتنا ولا يغوثنا، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرف المسلمين وأسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيق من جرت عليه سهام المسلمين، ولا نطلع على منازل المسلمين. انتهى الكتاب.

لما بلغ الكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه زاد فيه (ولا نضرب بأحد من المسلمين شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا، وقبلنا عليه الأمان، فإن نحن خالفنا عن شيء مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا، وقد حل لكم منا ما يحل لكم من أهل المعاندة والشقاق).

ليكتب إليه عمر: أن أقضى ما سألوه وألق به شرطين اشترطهما عليهم (أن لا نشتري شيئا من سبايا المسلمين، ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده). أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ج1، ص151-152-153. وقد سميت بالعهدة العمرية والتي وضعها رضي الله عنه عند دخوله بيت

وسنذكره إن شاء الله[1] فيما يجب على أهل الذمة، وإن لم يشترط على أهل الصلح شيء من ذلك، فهم في عقوبتهم كأهل العنوة.

وأما أهل العنوة[2] فمن فعل منهم ما هو نقض للعهد أو ما في معناه ما ينتقض به عهد الذمة، ومن فعل ما لا يصل لذلك فعليه العقوبة فقط، فينقض عهد الذمى إن قاتل عدوانا على وجه التمرد، ورفض الذمة من غير ظلم لحقد أو منع الجزية. كذلك أو تمرد على الأحكام الشرعية أو إكراه حرة مسلمية على الزنا أو (...)[3] بالإسلام حتى نكحها، أو تجسس علينا، أو آوى عينا أو تطلع على عورات المسلمين، أو أضر بسحره مسلما. ويقتل ليكون نكالا لغيره.

وكذلك ينتقض عهده، ويجب قتله إن تعرض لجناب الله تعالى أو جناب أحد من الملائكة أو أحد من أنبيائه بغير ما به كفر من السب كقوله في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يوح إليه أو أنه لم يترل عليه قرآن[4].

المقدس وسميت بذلك نسبة إلى واضعها الفاروق عمر بن الخطاب، لما صالح نصارى الشام فشرط عليهم شروطا.

1- يردد هذه الجملة مما يوحي إرجاؤه تفصيل بعض الأمور لحين وصوله لمقصد مراده أو أنه يرجأ التفسير تشويقا لاستدراج القارئ وتطلعه لما قد يصل إليه على حين غرة من أمره، أو لأنه يعمد لهذا الأسلوب الإرجائي تطويقا لذاكرة القارئ واجترارا للطالب، فعمد أسلوب الإرجاء.

2- لقد سئل مالك عمن أسلم من أهل الذمة أتكون له أرضه أو تكون للمسلمين، ويكون لهم ماله، فقال ذلك يختلف، أما أهل الصلح فمن أسلم منهم فهو أحق بأرضه وماله، وأما أهل العنوة الذين أخذوا عنوة فمن أسلم منهم فإن أرضه وماله للمسلمين لأن أهل العنوة قد غلبوا على بلادهم، وصارت فيئا للمسلمين، وأما أهل ا لصلح فإ م قد منعوا أموالهم وأنفسهم حتى صالحوا عليها فليس عليهم إلا ما صالحوا عليه. للمزيد أنظر شرح الزرقاوي على موطأ مالك كتاب الجهاد باب إحراز من أسلم من أهل الذمة.

3- هكذا في كل النسخ غير مفهوم فالجملة غامضة، و ا محوشان قراء ا.

4- من المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر في التوارة كتابة ونطقا في العهد القديم باللغة العبرية القديمة، ففي تشييد الإسناد (تشييد سليمان) الفصل الخامس العدد السادس، قال تعالى في كتابه العزيز ﴿**الَّذين يتبعون الرسول النبي الأمي الَّذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل**﴾ (الأعراف: 157). وفي هذا المعَنى أشار عبد الحق الإسلامي في كتابه (السيف الممدود في الردَ عَلى أحبار اليهود) هذا المخطوط يوجد بالخزانة العامة بالرباط بالمغرب الأقصى مسجل تحت رقم 3395د وقد طبع طبعة حجرية بفاس يحتوي على 240 صفحة من الحجم المتوسط لا يحتوي على تاريخ للطبع. لقد كان عبد الحق الإسلامي من أحبار اليهود، وهداه الله للإسلام فأتى بنصوص من التوراة بالخط العبري، ووضعها في طرة الكتاب، ثم كتب الألفاظ بالخط العربي في داخل السطور، ثم فسر المعنى بأثره، وذكر في مواضيع من التوراة اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، برموز وحللها بأسرار الحروف، فوجد في التوراة في باب (يدخل الله جن الجنة) فإشارة (جن) تعني اسم أحمد، فهي توافق 53 = ج تقابل الرقم 3 والحرف ن تقابل الرقم 50. وأما حروف أحمد فيقابلها ما يلي (أ=1. ح=8. م= 40. د= 4، ا موع=53) قال تعالى في كتابه العزيز

وإنما هو شيء نقوله لأنه لم يعاهد على ذلك ولو عوهد على مثله لم يكن له فيه عهد، ولا يوفى لأحد بشيء من ذلك ونحوه. وأما ما به كفر كادعاء معتقده من صافد أو ولد أو أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يرسل إليهم[1]، وإنما أرسل إلينا فلا ينقض بذلك عهده، لأن ذلك هو دينه الذي أقر عليه ولأجله أدى الجزية، لكن إن أظهر شيئا من ذلك أدب بحسب جرأته، في إظهاره وفي النوادر[2] من كتاب ابن حبيب[3].

روى أن قوما من المسلمين لجؤوا إلى حصن من أهل الذمة فلم يفتحوا لهم فمات أحدهم من البرد فاستباحهم عمر بن الخطاب ورآه نقضا للعهد.

﴿**وإذْ قَالَ عيسى ابن مريم يا بني إسرائيلَ إني رسولُ اللّه إلَيكُم مصدقًا لّما بين يدي من التوراة وَمبشرا برسول يأتي من بعدَيَ اسمه أَحمد**﴾ (الصف:6). للمزيد أنظر كتابنا مدونة= =الفقه الجدلي، صَ217ً. وبالنسبة لعلم الحروف أنظر كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر الجزء الأول، طبع دار الكتب العلمية، ص558. وعبد الحق الإسلامي، هو أبو محمد عبد الحق الإسلامي السبتي المغربي عاش في عصر دولة بني مرين كان يهوديا ومن أحبار اليهود، فأسلم وكتب رسالة بعد ستة عشر سنة من إسلامه حوالي سنة 798هـ . /1396م، كما لرسالته عنوان آخر هو (الحسام الممدود في الرد على اليهود)، توفي بالقرن 8هـ . ، الرابع عشر ميلادي. وهو مالكي المذهب بمدينة سبتة، والقاضي بمكناسة الزيتون الفقيه، من شيوخه لسان الدين بن الخطيب، من مؤلفاته (الحسام الممدود في الرد على اليهود) يحتوي على 240 صفحة نشرته دار البشائر الإسلامية سنة 2001 لبنان، تحقيق د.عمر وفيق الداعوق. تحدث فيه المؤلف عن عدة قضايا أولها: أسباب إسلامه، ويرد فيها على افتراءات اليهود ومزاعمهم مستخدما النقل والعقل معالجا الموضوع بدقة ووضوح، ويدين اليهود من أقوالهم ويقيم الحجة عليهم بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة على فساد اعتقادا م.

1- توحي هذه التبويحات الكفرية مدى ما كان عليه ا تمع من ردة فعل تجاه الإسلام والمسلمين وإلا كيف نوفق بين مجتمع جاهل وعلماء خلدوا للراحة وذمي يصدر عنه كل هذه الكفريات.

2- النوادر: هو كتاب النوادر والزيادات على ما في المدونة وغيرها من المهمات من مسائل مالك وأصحابه للعلامة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي، قال الإمام عياض له تصانيف أخرى ككتاب مختصر المدونة، قال عنه ابن خلدون في المقدمة، ج1، ص259. جمع ابن أبي زيد جميع ما في الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال في كتاب النوادر، فاشتمل على جميع أقوال المذاهب وفروع الأمهات كلها، ونقل ابن يونس معظمه في كتابه.

3- ابن حبيب: فقيه أندلسي أبو مروان عبد المالك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن حاهمة بن الصحابي عباس بن مرداس السلمى العباسي القرطبي الأندلسي المالكي، ولد في حياة الإمام مالك بن أنس 170هـ . . رحل سنة 210هـ . /883م للحج وحمل عن عبد المالك بن الماجاسون، ثم رجع لقرطبة بعلم جم، فكثرت تصانيفه، منها: غريب الحديث، فضائل الصحابة، تفسير الموطأ وكتاب حروب الإسلام، وكتاب فضل المسجدين وكتاب طبقات الفقهاء وكتاب مصابيح الهدى. أنظر للمزيد كتاب سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج12، ص103.

ومن كتاب ابن حبيب أيضا، وروى عن ابن عمر في يهودي رمس[1] ناقة عليها امرأة فوقعت، فانكشفت، فضربه ابنها بالسيف فقتله، فأهدر ابن عمر دمه.

وروى عنه أن نصرانيا نخس[2] بغلا عليه امرأة يعنى مسلمة فوقعت، فانكشفت عور ا فكتب أن يصلب في ذلك الموضوع.

وقال إنما عاهدناهم على إعطاء الجزية عن يد وهم ضاعرون، ومن نقض منهم العهد أو فعل ما يقتضي نقضه فقتل فما له لورثته، لأن الذمة انعقدت لهم ولأولادهم[3].

فليس عذر أحدهم يلزم باقيهم، ويؤدب الذمي إن تزيا بزي المسلمين[4]، وخرج عن معنى الصغار، وجهه كترك زنار أو بسط لسان، أو إظهار سكر، أو مسكر، أو ناقوس، أو صليب، ويكسر ما أظهر من ذلك ونحوه. وكذلك يؤدب إن أظهر تكبرا على مسلم أو صدمه في طريق، أو لم يتنح عنها أو أظهر شيئا من مشاعر الكفر، أو من كتبه، أو مدح دينه أو علماء دينه، أو أظهر زينة أو تطييبا، أو لهوا في نكاح، أو صراخا في كموت، أو حمل سلاحا، أو ملك مالا يحل له ملكه، أو استولى على مسلم باستخدام، وإن رغب المسلم في ذلك، أو ركب فرسا أو بغلا وإن (باكاف)[5] عرضا، أو ركب حمارا إلا (بكاكاف) عرضا[6].

ويوجع ضربا إن استهزأ بدين الإسلام أو أحد من علمائه، أو تقول في أحد منهم، ويشدد النكال عليه في ذلك، ولا يقتل به، إلا أن يظهر من ذلك معنى نقض العهد، فيكون نقضا، وبالجملة، كلما خرج الذمي من حده عوقب بحسب جرمه، وجهله، وعمده، فواجب على المسلمين من الغلفاء[7] وغيرهم أن يسلكوا بالكفرة من اليهود

1- الرمس: فهي من رمس، يرمس، رمسا، فهو رامس، والمفعول مرموس، نقول رمس الميت دفنه وسوى عليه التراب، ونقول رمس الشيء طمس أثره، ونقول ترمس الريح الآثار بما تثيره من أتربة. للمزيد أنظر قاموس المعاني عربي.

2- نخس: فعل ثلاثي لازم متعد بحرف، فنقول نخست أنخس وأنخس مصدر نخس، نقول نخس الدابة طعن مؤخر ا أو جنبها بحديدة أو عود لتسرع في سيرها.

3- اية الصفحة 14 في أ و ج.

4- هذه المقامع والعقوبات استخلصها من رسالة عبد الرحمان بن غنم المشار إليها أعلاه التي وجهها لعمر بن الخطاب.

5- هكذا في كل النسخ عبارة غير واضحة.

6- هكذا في كل النسخ عبارة أ مت صناعتها ومداليلها.

7- أشار هنا بالخصوص للغلائف المسلمين وهما إشارة جديدة تعطينا أكثر فهما لهذه العبارة التي لم نجد لها تفسيرا واضحا.

وغيرهم سبيلهم من العداوة والذلة، (ومن لم يفعل ذلك فأولائك هم الظالمون) [1]، و﴿**وسيعلَم الّذين ظَلَموا أَي منقَلَبٍ**﴾ [2].

(وفي بعض هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله هداية وما يتذكر إلا أولوا الألباب ويتوب الله على من تاب والله الموفق للصواب).

1- استنبط المعنى من الآية رقم 45 من سورة المائدة.
2- سورة الشعراء، الآية 227.

الفصل السادس
بيان هدم الكنائس المبنية بين دور المسلمين

1- استدلالية الأسئلة الواردة بالفصل السادس

في قوله: وهل ـدم تلك الكنائس التي بنوها بين دور المسلمين أو تترك على حالها كما أفتاهم به بعض قضاة بلدهم، وهل ما جعله لهم هذا المفتي من الرخصة في رفع الأصوات بالقراءة والآلات، وأنواع الضلالات صحيح أم لا؟

2- استرسال إجابات الفصل السادس

أقول والله الموفق للصواب: (وما يتذكر ألا أولوا الألباب) [1]، أما هدم الكنائس المذكورة فلا إشكال في وجوبه، ولا أعلم في ذلك خلافا لأن الأرض التي ذكرت إنما هي أرض المسلمين لا ملك لليهود المذكورين فيها. ولا شبهة ملك، إنما جاءوا[2] من بلاد أخرى فترلوها بين المسلمين، فلا يحل لأحد أن يمكنهم من بناء كنيسة فيها ولو ملكوا أرضها[3] قبل بنائها بشراء أو بغيره.

ولو أعطوا في ذلك ملء الأرض ذهبا، لقوله صلى الله عليه وسلم (لا ترفع فيكم يهودية ولا نصرانية)[4] فإن جهل ذو أمر أو اتبع هواه فأذن لهم في ذلك يجب إلغاء إذنه، وهدم ما بنوه من ذلك ولا يكون رضى أحد، ولا إذنه، ولا حكمه مانعا من إقامة الحق، ففي العتبة[5] سئل مالك عن بناء الكنائس في الفسطاط المحدثة في خطط الإسلام، أن أعطوهم العراص أو أكروها منهم يبنون فيها الكنائس: قال مالك أرى أن تغير و ـدم ولا يتركون، ذلك لا خير فيه.

1- اقتبس معنى ذلك من الآية الكريمة قوله تعالى ﴿ **وما يذَّكَّر إلاَّ أُولُواْ الألْباب** ﴾ (آل عمران: 7).

2- لقد أفتى أحمد بن يحيى الونشريسي وغيره بأن أرض توات كانت للمسلمين باختطاط وقد جاء ذلك في رسالة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي لعلماء عصره حول تحريم إعطاء موثوق من الحاكم يسمح لبناء كنيس وإذا صدر يلغى ذلك الكتاب.

3- لقد كانت حادثة شراء اليهود قطعة أرض من مسلم لبناء كنيس بتمنطيط من بين الأسباب الأساسية في ظهور نازلة يهود توات والتي جسدها الإمام في رسالته لكل مسلم ومسلمة فقد أرسل الإمام المغيلي بعض أعوانه لمنع اليهود من بناء الكنيس ولكنهم رفضوا فأمر ـدمها ومحوها من على الأرض.
لقد سبقت الإشارة لذلك تفصيلا في كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ص148-149.

4- لم نعثر لهذا الحديث فيما توفر لنا من مصدر واعتقد أنه لابن عباس، فقد استدل به الإمام كثيرا فقد جاء في المحور الثاني (فيما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار) وتحت عنوان بناء الكنائس. أنظر مدونة نازلة يهود توات، مرجع سابق، ص148، ومع هذا البعض ينسبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

5- العتبية أو المستخرجة للشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي الأندلسي، توفي سنة 255هـ . /869م.

قال ابن رشد[1] هذا مثل ما في المدونة وغيرها، وهو مما لا اختلاف فيه أعلمه، والأصل في ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا ترفع فيكم يهودية ولا نصرانية) يعني البيع والكنائس.

وأما ما ذكرت من فتوى بعض قضاة بلدهم بترك تلك الكنائس على حالها، وترخيصه لأعداء الله ورسوله في رفع الأصوات بالقراءة والآلات، وأنواع الضلالات، وهم بين أظهر المسلمين فخروج عن شريعة الإسلام، وخرق لإجماع أمة النبي عليه الصلاة[2] والسلام.

وقد خالف هذا الدجال نص كتاب الله، ونص أحاديث رسول الله ونصوص العلماء، فضل عن سبيل الله ضلالا بعيدا، وانقلب بطمعه وجهله على المسلمين شيطانا مريدا، فياليته لم تلده أمه وإن ولدته يا ليته مات وليدا[3].

فإن قلت كيف يصنع هؤلاء القبائل فيما يترل عليهم من النوازل[4] وهم لا يفرقون بين عالم وجاهل ألا بحمل الكتب، ورصد المسائل والتصدي للفتوى، والحكم، والجدال،

1- ابن رشد: هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القطربي المتوفى سنة 520هـ. أنظر كتابه (البيان والتحصيل والشرح، والتوجيه، والتعليل لمسائل المستخرجة).

2- لكأني أجد هذا الفصل أخذ من رسالة الإمام الميغلي (لكل مسلم ومسلمة) والتي حققتها ضمن كتابنا مدونة نازلة يهود توات، فالسرد الاستطلاعي الاستشراقي يمدنا بنفس الآيات والأحاديث المدعم ا حديثه في نازلة يهود توات كحديث (لا تكون قبلتان في بلدة واحدة) الحديث الذي رواه أبو داود، ج2، ص1802. وضمنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ص2032. وحديث (اهدموا الصوامع واهدموا البيع) واستدل في هذا الباب بما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا كنيسة في دار الإسلام) وهذه كلها منقولة حرفيا من المحور الثاني المعنون تحت عنوان (فيما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار) وهذا تأكيد ثاني أن هذه الأسئلة والإجابة عليها طرحت عليه بعد أحداث نازلة يهود توات، ومما يؤكد كذلك وإن لم يظهر في السرد النصي للأسئلة أن طارحها يكون من تخوم الصحاري ا ـاورة للصحراء الجزائرية آنذاك.

3- كأنه حمل وزرا لطول العمر، بما اقترف من فعل خارج عن السياقات الشرعوية.

4- تعرف النازلة لغة: من نزل يترل وهو الانحطاط والهبوط من علو يقال نزل الرجل عن دابته، ونزل من الجبل وهبط من السطح.

واصطلاحا: عرفها ابن عبد الله الأندلسي في كتابه جامع لبيان العلوم وفضله على أ ـا اجتهاد الرأي على الأصول: عند عدم النصوص، في حين نزول النازلة هي الأمر الذي يترل بالناس ولم يصلوا فيه لدليل من الكتاب والسنة، لقد قسم العلماء الشريعة إلى عقائد وعبادات، ومعاملات، وسلوك، وأخلاق، ومن هذه الأقسام قسم فقه النوازل، فينتمي فقه النوازل إلى العلم النظري، وهو علم يحتاج إلى نظر وتدبر لمعرفة حقيقته كالنظر في المسائل الفقهية، وفي مقابل بل العلم النظـري ثمة العلـم الضرورية الذي يعمله كل أحد فلا يحتاج لجهد فهو العلم اليدوي مثل معرفة النار حارقة، والثلوج باردة.

والنازلة: هي عبارة عن سؤال فالفرق بينها والفتوى أن الأخيرة عبارة عن جواب عن النازلة، وسميت نازلة لأ ـا نزلت بالناس وحدثت وطرأت.

والنازلة الفقهية تعتبر (وقائع، ومسائل، مستجدة وحادثة) تحتاج لحكم شرعي، والنازلة اسم فاعل من نزل يترل إذا حل، وقد أصبح اسما على الشدة من شدائد الدهر، هذا في اللغة، وفي الاصطلاح: اختلاف واضح بين المذاهب :

فالحنفية: تراها خاصة على الفتاوى والواقعات، وهي مسائل استنبطها ا تهدون المتأخرون لما سئلوا عنه، ولم يجدوا فيها رواية عن أهل المذهب المتقدمين، وهم أصحاب أبي يوسف ومحمد.=

وا ادل، وفيهم رجال متصفون ـذه الصفات فإذا نزلت نازلة اختلفوا فيها بالنفي والإثبات، وجاء كل منهم بنصوص، وآيات، فتتلاطم على العامة الأمواج، ويعلو العجاج، حتى لا يعرف الحسن البصرى الحجاج فكيف يفرق السائل بين العالم والجاهل حتى يتبع الحق ويترك الباطل.

= أما (الوقائع، والجدة والشدة) فقد عرفوها اعتمادا على القيود التالية: على أ ا (ما استدعى حكما شرعيا من الوقائع المستجدة)، أو هما الوقائع المستجدة الملحة لذلك يظهر الفرق بين النوازل والوقائع، والمستجدات. فالنوازل: تطلق على المسائل الواقعة إذا كانت مستجدة، وكانت ملحة تتطلب حكما شرعيا.

وفي اصطلاح المالكية خصوصا في بلاد الأندلس والمغرب العربي على القضايا والوقائع التي يعطل فيها القضاة طبقا للفقه الإسلامي، فقد قال ابن عبد البر (باب اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص في حين نزول النازلة) يشترط في النازلة ثلاثة شروط هي: الوقوع، والجدة والشدة، لذلك حددوا مراحل للنظر في النازلة الفقهية.

المرحلة الأولى:إعداد الفقهاء وتأهيلهم، المرحلة الثانية: التدريب على الاستنباط الفقهي، المرحلة الثالثة: تصور المسألة النازلة، المرحلة الرابعة: تقسيم المسألة ومعرفتها، المرحلة الخامسة: مراجعة الدراسات ذات الصلة، المرحلة السادسة: جمع الأدلة الشرعية عقلية ونقلية.

استرسال إجابات الفصل السادس

فأقول والله الموفق للصواب، وما يتذكر إلا أولوا الألباب: الحق نور وصاحبه منصور والباطل غرور.

وصاحبه مكسور[1]، (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) [2]، قال الله تعالى (قد تبين الرشد من الغنى)[3] فلا يتلبس حق بباطل ولا عالم بجاهل إلا على أرباب الشهوات (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) [4] من جميع الشبهات.

ولذلك قال ابن عطاء الله[5] رحمه الله (لا يخاف التباس الطرق عليك، وإنما يخاف غلبة الهوى عليك)، فالناس في ذلك قسمان:

- رجل يطلب موافقه هواه.
- ورجل يطلب رضى مولاه.

أما الرجل يطلب موافقه هواه، فإذا نزلت به نازلة انبسطت ظلمات هواه على قلبه فعمى عن رشده، وحينئذ يقول في نفسه العلم في الكتب فأطلب صاحب كتاب

1- ـاية الصفحة 15 في أ وب.

2- اقتباس جزء من الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿**أَو كَظُلُمات في بحرٍ لُجي يغشاه موج من فَوقه موج من فوقه سحاب ظُلُمات بعضها فَوق بعض إذَا أَخرج يده لَم يكَد يراها ومن لَم يجعل اللَّه لَه نورا فما لَه من نور**﴾ (النور:40) إن وجه الإعجاز ـذه الآية تصريحها بوجود ظلمات في أعماق البحار والمحيطات، ومع هذا الأسماك والكائنات الحية ـا تقتات رزقها كل حين بإذن ر ـا، فقد ركب المولى جل وعلى في أعينها ما يجعلها تلتقط رزقها وترى من تحت قيعان البحار والمحيطات في تلك الظلمات المتراكمة فوق بعضها بعضا. ووجود أمواج داخلية في البحار والمحيطات العميقة، والتي غالبا ما تغطي هذه البحار والمحيطات سحب ركامية تحجب قدرا مهما من أشعة الشمس، وهذا ما كشفت عنه دراسات علم البحار في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

3- اقتباس جزء من الآية قوله تعالى: ﴿ **لاَ إكْراه في الدين قَد تبين الرشد من الْغي** ﴾ (البقرة:256).

4- اقتباس جزء من الآية قوله تعالى:﴿**ومَن يتقِ اللَّه يَجعل لَه مخرجا ويرزقْه من حيث لَا يحتسِب**﴾ (الطلاق:2و3).

5- ابن عطاء الله: ولد سنة 1260م بالإسكندرية هو الإمام الملقب بتاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله السنكري المالكي، من أعيان القرن السابع هجري، الثالث عشر ميلادي، درس التفسير، والفقه، واللغة والأدب على شيوخ عظام مشهود لهم بالتصوف، وبعد أن درس مبادئه على الشيخين العالمين جمع كل منهما بين ضوابط العلوم الشرعية، وأصول تزكية النفس التي سماها الله (بباطن الإثم) أحدهما الشيخ أبو العباس المرسي أحمد بن عمر المتوفى سنة 686هـ . /1287م. والثاني: هو الشيخ أبو الحسن الشاذلي علي بن عبد الله، وهو المرجع الأول للطريقة الشاذلية، توفي سنة 656هـ . /1258م، قال الإمام مالك بن أنس (من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق)، من مؤلفات ابن عطاء الله:

- القصد ا ـرد في معرفة الاسم المفرد.
- مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح.
- تاج العروس الحادي لتهذيب النفوس.
- الحكم العطائية.
- لطائف المتن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن.

يعطيك طريقا، فيتقدم شيطان الغواية[1]. بين يديه دليلا، إما لغبّى زين له سوء عمله فرءاه جميلا، وأما الشقى اشترى بآيات الله ثمنا قليلا، فإن قيل له هذا ليس بعالم؟ قال بل عالم أليس له كتب ينظر فيها ويقرأ علينا منها[2]، وإن قيل له هذا ليس بتقي لعله اتبع هواه فيما أفتك به قال (بينه وبين الله، أنا جعلت مسألتي في رقبته)[3]. وهو أخبر في نفسه، وإن قيل له خالفه الفقهاء، قال نسمع إلا كَلاَم كُتب العلْمِ، وإن قيل له خطؤه بنصوص الكتب قال هو أيضا له كتب نظرها وتكلم فيها، ونحن عامة لا نعرف شيئا واختلاف العلماء رحمة ما نترك كلام من يعطيني طريقا ونتبع كلام من لا يعطيني طريقا.

فهذا حال من اتبع هواه (فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله).

ليس العلم بكثرة الكتـ . . ـب ولا ∴ بقراءَتها وحفظها من صنعة الأطفال[4]

1- الغواية: كتب ابن القيم الجوزية (تدعو النفس للطغيان وإيثار الدنيا، والله يدعو العبد لخوفه و ى النفس عن الهوى، والقلب بين الداعيين يميل مرة لهواها، وهو موضع الابتلاء والمحنة. أنظر للمزيد (مختصر إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان)، فالشيطان يركز على خداع النفس ووسوسة للزيادة من المعاصي، لذلك لا ينبغي إتباع الهوى لألا يغلب على المرء صفة الذم كما جاء في كتاب الفروق في اللغة للشيخ الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري.

2- في ذلك الزمان كان يعد من حمل كتابا وكتب طلاسم، أو استعانة بتحضير الجن، أو ادعى لنفسه برهنة على خرق العوائد عد طالبا وعالما. لذلك نجد هؤلاء الجهلة اعتبروا من فتح كتابا أو حمله عدوه عالما. وهذا الخطأ الذي كان شائعا وقت أن كان العلم حكرا على نفر من الناس ويحرم على آخرين بحجة أن تعليمهم وتعلمهم سوف يفطنهم وينصرفون عن الأعمال الخدمية التي في نظرهم خلقوا لها لا لغيرها، فلذلك نجد كتابات تلك المرحلة عرجاء جوفاء لا كفى بالمقاصد الجماعية والاجتماعية استنبائية احتيازية.

3- هذه الأمثال الانحطاطية التغيبية يسديها ا تمع وعلماؤه تشيعا لبقاء الحال على هو عليه من رداءة وردة معهودتين فقد استوفى من هذا المقولة قولهم (من قلد عالما لقى الله سالمة). أنظروا سجعها وحلاو ا وتبينها ورصيدها لحالات الا زام المعتاشة سجعوا المثل وقولبه وفق سجية الخلق وقدر م على التمثيل والقبول لإحداثياته استرسلوه لتتلقفه آذان العامي الجاهل وحتى بعض المتعلمين فقد قال لي أحد الخلق في يوم ما (والله لو قال لي العالم الفلاني صلى لخلف القبلة ما ترددت إلا أن اتبعه) فما هذه الحماقة التي يدغدغ ا علماء التجسيد العامة، أرايج هذه الأمثال، فالسبحة في أعناقهم وارتداء الصوف ومعاطف الملف يكورون العمامة، فمن حاول معرفة الفرق بين التجسيد والتجريد دفع بغضاضة واغتصاب واستيفاض، فيعد من المارقين تنصب له حبال الشك حتى في عقيدته لأنه آمن بالتجريد وتغاضى عن التجسيد، ومثال ا زامي آخر يجسد ا تمع مدلولاته يقول (كل التمر وارم بالعلف) ما يعني أن خروج الأبناء من عباءة الآباء حماقة وتطاول على السرد العرافي العاداتي المتبع، في تقديس ما يقدس تجريدا وتجسيدا والله في خلقه شؤون.

4- فالعلم دلالة فلسفية وليس دلالة لغوية يعرف على أنه (مجموعة المعارف المتكاملة، والمبادئ والكليات العامة المتعلقة بحقيقة ظاهرة معينة) إذ يقوم العلم على أسس ودعائم هما:

1- الملاحظة وهي: تعني في مدلولها العيني الابستمولوجي الميتودلوجي الارتباط بالواقع العيني واعتماد الاستطلاع والمعاينة إزاء ما يدرس.

2- الواقعية أو الحتمية وهي: تعني أن الظواهر تخضع لقوانين ثابتة.

3- والموضوعية هي: ما يعني غياب ذات الباحث في عمله العلمي وأحكامه واستنتاجاته أي تجنب مذاجاته وثقافته وإيديولوجياته وأحكامه فهي في الأساس تعني الحياد وغياب الذات في مراحل البحث.=

ليس كل من له كتب يقرؤه . . . ا ∴ وليس كل من حفظه . ا يفهمه . ا
العلم نور وكل النـ . اس يطلبـ . ه ∴ وهل يرى النور منهم غير ذي بصر
الرأس رأسا ذو عين وذو كمـ . . ة ∴ والقلب قلبان ذو صفو وذو كـ . ـدر
لكن للعلم شأنا شـ . . ان جاهلـ . ه ∴ بين البرية في بدو وفـ . ي حضـ . . ر
حتى تقرب للأوهـ . . ام وانبعـ . ث ∴ له النفوس انبعاثا غيـ . ر مصطبـ . . ر
وصار ذو الجهل ينفي الجهل عنه كما ∴ ينفيه ثور عصى خوفا بلا ضـ . . رر

3- تقليد مصالح المسلمين لأهل الذكر المتقون وشروط ذلك

فالعلم نور يقذفه الله[1] في قلب الشخص حتى يرى الحق حقا والباطل باطلاً[2]،

= لقد أشار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في أرجوزة منح الوهاب إلى العلم حيث يقول في باب أنواع العلم:

العلم أن حكما فتصديق وما ∴ عدا تصور فكان لازمـ . ا
لكن ما حوصله بالنظـ . . ر ∴ ليس ضروريا ولكن نظر

إن ما يحصل بالملاحظة التي تعني في دلالتها الإبستمولوجية الميتودلوجية الارتباط بالواقع العيني واعتماد الاستطلاع والمعاينة للظواهر التي نحن بصدد دراستها فهناك الناظر، والمنظور، فإما يحصل بالملاحظة قد لا يكون في كل الأحوال صائبا لأن النظر يعتمد أساسا على المنظور. فإذا انعدمت أشعته انعدمت الرؤية، غير أن هذا لا يعني إن عدم الرؤية تعني عدم وجود المنظور في كل الأحوال، فما لا يدرك حينا لا يعني عدم الوجود، فإننا لا نرى الروح ولكنها متواجدة بين ضلوعنا، ولا نرى من خلف الباب ولكنه موجود شكلا ومادة فالذهن عندما يقذف في الأذن تلك المعني يصور الحالة ويبدأ العقل في صياغة الجواب. إن أول ما يتقرب به العبد لربه العلم، فقد يطلب بالنظر وليس النظر بمصيب ولا مخطئ أبدا بل بعض النظر مصيب وبعضه مخطئ.

فالنظر المصيب: هو المراد والصحيح يقول الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (النظر المصيب هو الصحيح وهو ترتيب معلومين فصاعدا على جهة يتوصل ـا إلى المطلوب، فما النظر، وما العلم وما المعلوم؟ هنا وما تلك الجهة وما ذلك المطلوب وأقسامه، فالترتيب هو جعل الأشياء في المرتب، والمنازل، وأما العلم فهو حصول صورة أمر الذهن. والمعلوم الصورة الحاصلة في الذهن، وأما تلك الجهة فهي إدخال الداخل، وإخراج الخارج لأنه إنما يقع بإدخال ما ليس بداخل أو بإخراج ما ليس بخارج، وأما ذلك المطلوب فهو ا ـهول طلب علمه). للمزيد أنظر كتابنا مدونة الفقه الجدلي، ج1، ص141.

1- ـاية الوجه الأول للصفحة السادسة عشر في أ و ب.

2- يقذف الله حقا في قلب كل مخلوق ما يشاء من الأشياء والمعالم يستجمعها ما طال بالدهر حيا، عن أبي عبد الرحمان ثم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك. ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أو سعيد، وذكر أو أنثى. فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) رواه البخاري ومسلم، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ **وعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم** ﴾ (البقرة:31-32). فالعلم هو معرفة الخالق فثمة علم أخروي وعلمَ دنيوي، وعلمَ لا دوني، كما في الآية السابقة.

1- والعلم: هو الإدراك للشيء على ما هو عليه إدراكا جازما.=

ولذلك قال مالك رحمه الله (ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله في قلب من يشاء)[1] ألم تر إلى قوله تعالى (فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) [2].

ولم يقل أنظروا الكتاب إن كنتم لا تعلمون، لأنه لا يجوز الاعتماد في دين الله على شيء من الكتب إلا بشروط.

4- الاعتماد في التحقق على المصنفات العدول الثقاة

الأول: أن ينسب ذلك الكتاب لمنصف علم اسمه وثبتت أمانته في العلم والتقوى بحيث يجوز تقليده[3]. والاعتماد عليه فيما يذكره، فكل كتاب لم يذكر له مصنف أو

= 2- والجهل البسيط: هو عدم الإدراك بالكلية.
3- والوهم: هو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.
4- والظن: هو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.
5- والجهل المركب: هو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.
6- والشك: هو إدراك الشيء مع احتمال مساو.
هذه مراتب العلم ومدركاته الستة، فالعلم إذن قسم لضروري ونظري، فالضروري: ما يمكن إدراكه المعلوم فيه ضروريا بحيث يضطر إليه من غير نظر واستدلال كعلمنا بأن النار حارقة، أما العلم النظري: هو ما يحتاج إلى نظر واستدلال وتبصرة كالعلم بوجوب النية عند الوضوء أو الصلاة، لأن معرفة الخالق سبحانه وتعالى تقتضي منا قبول ما شرعنه والإذعان والانقياد له وتحكيم شريعته والإقبال عليه ظاهرين.

1- لقد حل بنا زمنا يحاول فيه الغاث والثمين الاستفتاء والإفتاء والاستجلاء للأمور مدركة وغير مدركة، فما أن يسمع البعض فتوى يقلدها دون تصديرها وتمحيصها فيخرجها عن سياقا ا وما جعلت له خاصة (زمكانها) قديما عندنا يقولون من لا شيخ له شيخه الشيطان، ويرد بعضهم بالقول: العلم في الرأس لا في الكراس، فاستذلها سجعا وإطنبها تنميطا فصيغت كأنما ا حكم وجلال، ليتبع البعض ذلك قولا: وتقولون (المحبة بمدغ الضروس لا بمحبة الرؤوس) ومعناها أن الشيخ يستذلم ويستزكي الطفل كلمها حك ضرسه بما لذ وطالب، ليترله مترلة التقريب والصفح والتهذيب، فما أن بالغ فيما طلب المعلم حتى صاح في وجهه الطفل بقوله (ألم يان الطالب عيان ما خلاني نقرأ أو لا نسرح جديان).

2- اقتبس جزء من الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿**وما أَرسلْنا من قَبلك إِلاَّ رِجالاً نوحي إِلَيهِم فَاسأَلُواْ أَهلَ الذِّكْرِ إِن كُنتم لاَ تعلَمون**﴾ (النحل: 43).

3- في معرض رده عن أسئلة الحاج محمد بن أبي بكر أسكيا الكبير جواب المسألة الأولى: إذ يقول في مستهله (من أبين علامات علماء السوء أ م لا يصلحون ولا يتركون من يصلح، فمثلهم كمثل الصخرة في باب النهر لا تشرب ولا تترك من يشرب، فكل واحد منهم أضر من ألف شيطان (تلميح واستعطاف على مناوئيه من علماء زمانه بقصر تمنطيط)، وليس الخبر كالعيان، وإن لم تفهم ما قررناه أو أشكل عليك شيئا مما ذكرناه، فاعلم أن القراء ثلاثة أنواع:
الأول : من تبين لك بلا شك أنه ليس عالم تقي.
الثاني: من تبين لك أنه ليس بعالم أو أنه ليس تقي.
الثالث: من شككت فيه فلم تعلم هل هو عالم تقي أو لا؟
* فمن تبين لك أنه عالم تقي فهو من أهل الذكر فاسأله عن دينك وقلده ينجيك ويكفيك.
* كمن زعم أنه خبير وتبين لك بلا شك أنه عارف أمين.=

ذكر له مصنف لم تثبت أمانته لا يجوز الاعتماد عليه في شيء مما ذكره، وإن كان فيه شيء كثير من الكلام الطيب المعروف، ومن الآيات، والأحاديث، ومن الأدلة الواضحة. لأن كثيرا من أهل الضلال يصنف الكتاب لضلالته، ويزينه، ويعمى ضلاله بذكر كثير من الحق والآيات، والأحاديث، والبراهين ويدرس في طمى ذلك مراده ليضل عن سبيل الله[1] ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**فَويلٌ لِّلَّذين يكْتبونَ الْكتاب بِأَيديهِم ثُم يقُولُونَ هذَا من عند**

=* ومن تبين لك أنه ليس بعالم، وأنه ليس بتقي فليس من أهل الذكر فلا تقلده في شيء من دينك ولا تسأله عنه.

* كمن زعم أنه خبير وتبين لك أنه ليس بعارف، وأنه ليس بأمين.

* ومن لم يتبين لك حاله فلم تعلم هل هو عالم تقي أم لا فقف عنه أيضا، ولا تقلده في شيء من دينك ولا تسأله ولو كان فصيحا عربيا يحفظ ما جمع في الكتب حتى يتبين لك بلا شك أنه عالم تقي.

* فمن زعم أنه خبير عارف أمين، ولم يتبن لك هل هو صادق أو كاذب، وإذا علمت ذلك لم يلتبس عليك أمر القراء في هذا الزمان، ووجب عليك أن تطلب عالما من أهل الذكر. للمزيد أنظر كتابنا، ج2، أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للحاج محمد بن أبي بكر السكيا الكبير، ص104-105.=

=يقول الإمام الشافعي رحمه الله في المتقون :

عليك بتقوى الله إن كنت غافـ . . . ـلا ∴ يأتيك بالأرزاق من حيث لا تـ . . ـدري
فكيف تخاف الفقـ . . . ـر والله رازق ∴ فقد رزق الطير والحوت في البحـ . . ـر
ومن ظن أن الرزق يأتي بقـ . . . . ـوة ∴ ما أكل العصفور شيئا مع النسـ . . . ـر
تزول عن الدنيا فإنك لا تـ . . . . ـدري ∴ إذا جن الليل هل تعيش إلى الفجـ . . ـر
فكم من صحيح مات من غيـ . ـر علـ . ـة ∴ وكم من سقيم عاش حينا من الدهـ . ـر
وكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكـ . . ـا ∴ وأكفانه في الغيب تنسج وهو لا يدري
فمن عـ . ـاش ألفـ . ـا وألفيـ . . . . . ـن ∴ فلا بد من يوم يسير إلى القبـ . . . . . ـر

1- نرى لبضع الناس الحديث الطويل والعريض، والخوض في ما علم وما لم يعلم على أنه تعلما وتبحرا وتمحيصا غير ناظرينه بين الناس قال تعالى: ﴿ **ومن الناس من يشتري لَهو الْحديث ليضلَّ عن سبيل اللَّه بغير علْم**﴾ (لقمان:6)، فالجدل الباطل خاصة في الدين فسق كبير، ولا أعني عدم النظر فالله أمرنا بالنظر لقوله تعالى: ﴿قُلِ **انظُرواْ ماذَا في السماوات والأَرضِ وما تغني الآيات والنذُر عن قَومٍ لاَّ يؤمنونَ**﴾ (يونس، الآية:101). فهو بلاد دراية أعني الجدال ضلال مضل للناظرين آنيه، قال تعالى: ﴿ **يجادلُونك في الْحق بعدما تبين كَأَنما يساقُونَ إِلَى الْموت وهم ينظُرونَ** ﴾ (الأنفال:06). فالذي يهويه ركوب البحر لا يجب أن تخيفه لطمات الأمواج العاتية، قال أبو القاسم الشابي في قصيدته العصماء نيل الحرية طريقه مخضب بالدماء.

ومن يتهيب صعود الجبـ . ـال ∴ يعيش أبد الدهر بين الحفـ . . . ـر

أقول لمن تخطى عتبة التبني وكتب ليبني واعتمد على غير المباني والقواعد حداثة ومجراسا

وان من كاتب بيده يكتـ . ـب ∴ إلا وخطت عنه المَـ . . . ـلازم
وما من كاتب ألا سيفـ . . . ـنى ∴ ويبق الدهر ما كتبت يـ . . . ـداه
فلا تكتب بكفيك غير شـ . ـيء ∴ يسركَ في القيامة أن تـ . . . . ـراه
ولا تظنن الشطـ . . . . ـط إن ∴ بان فذكر الخلق فيه ما حـ . ـوى
وإن تفرعت مراميـ . ـك قـ . ـددا ∴ فذاكرة الدهر به أعـ . . . ـددا
والقاسطون بالإجـ . . . ـادى ∴ فما سلم من ألسن من مـ . ـات

اللّه ليشتروا به ثَمناً قَليلاً فَويلٌ لَهم مما كَتبت أَيديهم وويلٌ لَهم مما يكْسبونَ﴾ [1]، فكما كان ذلك في بني إسرائيل يكون مثله في هذه الأمة لقوله صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا في حجر ضب لا تبعتموهم: قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن)[2]؟ أنظر ما في القرن التاسع وقد كان من ذلك كثير لا سيما في القرن التاسع وأطراف الأرض[3].

الثاني: أن يثبت أن ذلك الكتاب للإمام الذي نسب إليه[4] وإن تلك المسألة منه بلا زيادة ولا نقصان[5]، وإلا كان كالكتاب الذي لا يعرف من صنفه، فلا يجوز الاعتماد

1- سورة البقرة، الآية 79.

2- الحديث: لقد ورد بصيغة أخرى قوله صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) فمن سنن من قبلنا تحريف الكلام عن مواضعه، ما يلزم تحريف اللفظة نفسها. ثم إن من أظهر مظاهر اتخاذ المشائخ بدون علمية وروية يؤدي للتحريف والانزلاق فيما لا يحمد، فإذا ما اعترضت على فتوى لأحدهم تعنف وتقبح متناسين أن الفتوى تأتي جوابا عن نازلة في تاريخ معين ومكان معين وأسباب خاصة. فما يصلح لزمان قد لا ينطبق مساره على زمن آخر، وهذه هي سنة الله في خلقه، لكل زمان رجال، ولكل عهود عقود، وملاحم.

3- أحدث هناك تحديدا زمانيا وأعطى منظارا ثاقبا للقرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي هو زمن إعداد هذه الرسالة وبالأحرى وقت طرح تلك الأسئلة وما عاصرها وأسباب طرحها، فقد أشار عما قبل من أن طرح هذه الأسئلة تصنيفا كان في الثلث الأخير للقرن التاسع هجري، وبما أن الإمام المغيلي لا يضع في غالب كتاباته عنوانا لما يكتب يتسابق الخطاطون والنساخ لاستعارة وتحديد العناوين لموروثاته لذلك تتعدد عناوين كتابته، ومن جهة أخرى كثيرا ما يكتب أو قل أغلب كتاباته لا تحمل تاريخ كتابتها ولكنه يلمح في بواطنها فازكن.

4- أشير هنا اعتمادا للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي عند صياغته لهذه الرسالة على أمهات الكتب ذات الصلة بالموضوع كما حاله في ذلك الاعتماد على الموثوق والابتعاد على المخالف فيه والشقاق، فقد اعتمد في رده على الأسئلة التي طرحت عليه على الكتب التالية بحسب الجدول الموالي:

		الرقم	اسم الكتاب	عدد اجزائه
1	البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في المسائل المستخرجة	الفقه المالكي	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموي القرطبي ابن رشد	20 مجلد
2	المدونة	الفقه المالكي	مالك بن أنس	جزئين
3	الذخيرة	في فروع المالكية	للإمام القرافي	14 مجلد
4	المستصفى		للإمام أبو حامد الغزالي	
5	النوادر		لابن حبيب عبد المالك	
6	الحكم العطائية		لابن عطاء الله	
7	تفسير ابن رشد لما بعد الطبيعة		ابن رشد القرطبي	
8	المقدمات الممهدات		ابن رشد القرطبي	
9	العتبية	في مسائل الفقه المالكي	محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي	
10	المعونة		للقاضي عبد الوهاب البغدادي	5 مجلدات
11	الجواهر الحسان	تفسير القرآن	لعبد الرحمان الثعالبي	6 اجزاء

5- يحدد هنا كيفية اعتماد العلماء على المساطر الفكرية المتبعة آنذاك لإظهار المنهجية العلمية والفقهية التي يعتمدها إذ ذاك العلماء لإحقاق حق المؤلفين وتزيف المزيفين والساطين غير القاسطين على مؤلفات الغير نقلا أو تحريفا أو حتى اعتماد الشخص الذي له حظوة ومكانة علمية يعلق به البعض لا تبركا، ولكن

عليه لأن من أهل الضلال من يصنف كتابا في ضلاله وينسبه لبعض أيمة الهوى، ليزينه للناس بتلك النسبة، ولأن من المسائل ما يقع في بعض الكتب، وليس من الأصل أو فيه زيادة أو نقصان من سهو ناسخ[1]، أو غير، وذلك كثير يظهر بالمشاهدة في المقابلة[2]، والأصل في إثبات الكتب ومسائلها الرواية بنقل العدل عن العدل لفظ الكتاب[3] إلى مصنفه، فإن تعذرت الرواية والأمهات المشهورة في الفقه أو نحوه. بحيث لا يمكن ثبوت صحة مسائلها بالرواية جار الاعتماد عليها (بالمقابلة) على الأصول الصحيحة القديمة المختلفة، الخطوط والأقطار[4] حتى يغلب على الظن صحة ما فيها.

وأما غير الأمهات المشهورة المعتمدة فلا يثبت إلا برواية العدل عن العدل إلى مصنفه، أو إلى عالم تقي أو خبر بصحة وإذن في الاعتماد عليه، ولأجل ذلك قال سحنون من اشترى كتب الفقه، ثم أفتى ـا ولم يعرضها على الفقهاء أدب أدبا شديدا[5].

مباهاتا وسرقة الحق، لذلك على المتردي المتبع أن يتبين ما ينقل وما يضبط حتى لا يقع في فخ المسطين المنهبين لحقوق الناس وجهدهم فإن سرقة جهد عالم تعد خيانة لا تغتفر.

1- هنا بين لنا تلك المدارس النساخية النسخية التي اعتاشت مهنتها توثيق وإعادة ترشيف المخطوطات سواء أكانت مستقدمة من قبل الحجيج أو الطلبة أو كان مقتادها تاجرا يسترزق بثمنها فعندما يرحلون للبلاد البعاد يحملون منها ما خف وطاب أو طلب منهم بعد سماع تأليف استقدامه، أو كانت من مخطوطات المرحلة الثالثة للمخطوطات المحلية، فقد تكونت مدارس للنسخ وإعادة النساخة والكتابة مما أدى لازدهار الكتاب وانتشاره بين مختلف القصور.

2- حدد لنا كذلك طريقة إظهار الاقتباسات الظالمة المسروقة فقد حدد لها طريقة المقابلة والمظاهرة والمشاهداتية بين الناس (ملقات السيوف ولا ملقات الصفوف).

3- وفي ذلك يجتمع العلماء العدول الثقاة الموصوفون بالتقوى والورع والتراهة لاستظهار كل غش أو اعتداء على ملكات الغير.

4- لم يزل يسترسل في كيفية كشف وفضح أولائك الغشاشين الناقلين أخذًا مما أصدره غيرهم فيعمدون به انتسابا افتخارا وزينة بين الناس فسرقت ما للغير أهون عند العارفين من سرقة المتاع المادي، لذلك طلب أن يكون الكشف والفضح لهم على أعين الإشهاد واعتماد طرقا كاشفة لخيانة المعتدين على أعين الناس لبيان الحق وإبطال الباطل عن طريق عدول ثقاة وتقاة عرفوا بالاستقامة والورع والزهد لا يخافون في الله لَومة لائم خوفهم من الله الواحد الأحد ونظرا للتوسعة بين الأسفار والأدبار بين تلك الأقطار، ناظرا أن الخط المعتاد والمعتمد هو الخط العثماني المغربي الثعالبي، فومضات الكشف تكون بمتابعة رسم حرف النون والسين، ونقاط القاف والفاء، ورسم حرفا العين والغين ووضع النبرات فوق الطاء والظاد، وإسدال عاقب الضاد في المؤخرة هما أسس كشف الخائنين المعتدين على حق الغير.

5- أيام وأحقاب ذلك الزمان كان المنحى السائد عند الناس أن النقل يجري فوق حمولات الجمال وصهوات الجياد فكان يستغرق النقل للبضائع وما حوت من كتب يدرسو ـا حقبة حولية أحيانا يعتاد الناس إرجاؤها مع قدوم قوافل التجار، فإذا ما ظهر كتاب في مدينة ما ووصل خبره طلب من أصحاب القوافل شراؤه وا يئ به، فيتحول لمنتوج منسوخ يحتاج لمدة تفوق الشهر، ومع ما ذكرنا من ازدهار للمدارس الناسخوية، إلا أن التباطؤ في إعادة النسخ تعوقه: عقبة الورق الصالح، والصمغ الجيد. وقد كان لهذه العقبات سيادة المذهب الوحيد مذهب الإمام مالك، لانغلاق نوافذ الإتيان، مما لا يعطي مجالا أو سعة لنشر مذهب غير مذهب الإمام مالك ولا زال حتى اليوم. لهذا طلب الإمام تأديب من أفتى من كتاب من غير المصنفات المعتادة والمعمول ـا على المستوى المحلي=

الثالث: أن يكون الذي نظر في ذلك الكتاب وزعم أنه مهم معناه قد تفكر فيه بطريق النظر الصحيح حتى استغرق نظره على ما فهمه، لأن الفكرة سراج القلب، فإذا عرفت فلا إضاءة، ولأن النظر ليس بمصيب كيفما كان، وإنما النظر المصيب هو النظر الصحيح، والنظر الصحيح ترتيب معلومين فصاعدا على جهة يتوصل ا إلى المطلوب، وتلك الجهة إنما هي إدخال الداخل وإخراج الخارج لأن الخطأ كله إنما يكون بإدخال ما ليس بداخل أو إخراج ما ليس بخارج.

وأهم ما تتوقف عليه معرفة ذلك معرفة معاني الكلمات ومعرفة كيفية الحكم ببعضها على بعض بنفي أو إثبات، وإنما تعرف معاني الألفاظ بمعرفة الوضع إن كانت ألفاظا لغوية أو بمعرفة الاصطلاح إن كانت ألفاظا اصطلاحية.

وإنما تعرف كيفية الحكم من بعضها على بعض بمعرفة النسب الأربعة والأحكام الأربعة[1].

ومقتضى النسب من الأحكام، ومقتضى الأحكام من النسب، فلا بد للناظر في كل كلام ليفهم منه حكما من الأحكام، أن يكون عارفا بعلم اللغة وعلم المنطق، لأن باللغة يتوصل إلى معرفة معاني الكلمات. وبالمنطق يتوصل إلى معرفة كيفية الحكم ببعضها على بعض بنفي أو إثبات، فمن لا معرفة له باللغة، أو لا معرفة له بالمنطق لا يوثق بفهمه أصلا، ولذلك قال الإمام الغزالي في مقدمة كتابه المسمى (بالمستصفى). المنطق مقدمة لجميع العلوم، ومن

=للديار التواتية، والمعروفة خصا للفقهاء المحلين، وهذا ما يوحي أن طرق التداول للكتاب، واستصدار الفتوى لا يمكنه الخروج عما هو متعارف عليه، فوحدوية طرق التعاطي، والتناول تبين كل فتوى من غير ما عليه العلماء محليا. وما لم يسترسله لنا هنا كيفية تأديب من أفتى من كتاب غير متداول محليا، فلم يبين الطريقة أو الكيفية التأديبية أتكون مادية أو معنوية، أو تعذيرية توبيخية، أورد ما أفتى به عليه مع بيان للناس خلافه، ومخاطر فقهيا على العامة.

1- استفاض ذلك واستخلصه من رجزه (منح الوهاب) حيث يقول فيه

فانسب لكل لا لجزء ما عندنا ∴ إن قبل الشرك وإن لم يكن

ثم الذأت أن يكن قد اندرج ∴ في الذات أو في العرض حيث خرج

فالأول المختص منه فضلها ∴ وما عن المختص منه جنسها

الكلي: هو الحكم بالإثبات على جميع سور كل أو ما في معناه مثاله كل (ج، ب).

فالأحكام الأربعة عنده هي: الإيجاب الكلي، الإيجاب الجزئي، السلب الكلي، السلب الجزئي.

فالإيجاب والإيجاب الجزئي: هو الحكم بالإثبات على بعض سور البعض أو ما في معناه مثاله لا شيء من (ج، ب).

والسلب الكلي: هو الحكم بالنفي على جميع وسوره لا شيء أو ما في معناه مثاله لا شيء من (ج، ب).

والسلب الجزئي: هو الحكم بالنفي على جميع وسور البعض وسوره ليس بعض أو في معناه ليس بعض (ج، ب).

فالإيجاب حكم إدخال كلي وجزئي، والسلب حكم إخراج كلي أو جزئي وذلك واضح، أما مقتضى النسب من الأحكام مثاله قسم إلى مقتضى المباينة: السلب الكلي والجزئي مثل أن نقول (لا شيء من الصلاة وضوء)، و(ليس بعض الصلاة وضوء) إلخ. أنظر لمزيد من التفصيل كتابنا: مدونة الفقه الجدلي، مرجع سابق، ج1، ص143.

لم يحظ به علما لا ثقة له بفهمه أصلا. ومثاله ما بلغني عن بعض العلماء من أنه سئل عن علم المنطق؟. فأجاب بأنه لا يحل لمن لا معرفة له بالمنطق أن يفتي بين المسلمين وذلك واضح لا شك فيه لأنه كما قال الإمام الغزالي لا يوثق بفهمه فلا يحل له أن يفتي، ولا أن يحكم، ولا يجوز لأحد أن يقلده في حكم ولا فتوى، لأن ذلك لا يصح إلا بالفهم، ولا يصح الفهم إلا بالنظر ولا يصح النظر إلا بترتيب معلومين فصاعدا على جهة يتوصل ا إلى المطلوب، وتلك الجهة كما قدمنا لا بد في معرفتها من علم المنطق، فمن لا يعرف المنطق يخبط في فهمه خبط عشواء في الليلة الظلماء[1].

الرابع: أن يكون الذي نظَر في ذلك الكتاب وزعم أنه فهم معناه من أهل الفهم في ذلك العلم بأن يكون له فيه ملكة يملك ا التصرف في جهة قصده لأن من لا ملكة له في علم الفقه مثلا الغالب عليه في طلب الفهم من كتبه، أن يخطأ بسبب أصول أو قيود تخفى عنه، ولا يكفيه في ذلك الشرح لاسيما في الحكم والفتوى، لأن الشرح بنفسه كتاب، وكل كتاب يحتاج لملكة في فهمه[2] ولو كانت الكتب وشراحها كافية في التفقه لما كان الناس يقرؤون على الأشياخ[3]. ويرتحلون إليهم قديما وحديثا في مشارق الأرض ومغار ا[4] ومن الدليل الواضح أيضا على أن الشرح لا يغنى عن الشيخ.

1- لعلم المنطق فائدة إذ أنه يعرفنا على الشروط الصورية التي تضمن السير السليم للفكر، وينمي مقدرة الذهن والتمييز بين القضية والحجة، كما يسمح بعدم تناقض الفكر مع نفسه منميا القدرة الذهنية على الاستنتاج واستخلاص النتائج والبراهين، أنظر للمزيد كتابنا مدونة الفقه الجدلي، ج1، ص60.

2- لقدكانت تخضع عملية اكتشاف النقل والاستحواذ على منتوجات الغير عن طريق الكتابة والنساخة فهي التي تخضع لروح ونفسية الكاتب والناسخ، فمن خلال متابعة رسم الحروف على الورقة نتبين الخوالف والمؤثرات النفسية للناسخ والمستحوذ، كما ويمكن توصيف تطلعاته ونجعاته الذاتية والخلجية، فإذا ما كان مزاج الكاتب رائق استقام له رسم الخطوط والسطور فندرك تلك الاستقامات البيانية للرسم فتأتي مروية رائقة هادئة، وعندما يعكر صفو المزاج أي طارئ تتلعثم وتترلق قبضة القلم فتتعلق شدة القم بما يفكر فيه فوضع الحروف الموحدة يختلف رسمه من وقت لآخر، فإذا ما نزل بساحة الغير التصنيفية عارض وتعرض الناسخ لمصادر وممتلكات غيره الفكرية فيظهر جليا كيفية الأخذ من المتن والطريقة المعتمد بسحب المكتوب جملة وتفصيلا أو اقتطافا تنصيصي من منتوجات الغير.

3- لا يحبذ التواتيون قديما وحديثا الانفرادية والالتقاط الذاتي لاعتقادهم بكمال فكرة التجسيد، والمنأ عن التجريد، فلا يمكن التشيخ إلا إذا حصل العالم على الإجازات العديدة والمتعددة، كما هو حال الدراسات الأكاديمية الآن الثراتب الشهادي للطالب، فيقولون كمثل شائع بين الناس (من لا شيخ له شيخه الشيطان).

4- لقد اعتاد علماؤنا خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي، اعتماد الهجرات العلمية فبعض العلماء يعتبر الهجرة في طلب العلم فريضة لقوله عليه الصلاة والسلام (أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) وقال عليه الصلاة والسلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وقال (طالب العلم في سبيل الله حتي يرجع) وقال عليه الصلاة والسلام (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) رواه أحمد في المسند. فمن أجمل وأزكى وأفضل الوسائل تقربا إلى الله تعالى طلب العلم فأول ما نزل على الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿ اقْرأْ بِاسمِ ربك الَّذي خلَق

إن المدونة مثلا لم يزل العلماء يشرحو ا والأحق يأت بما لم يأت به السابق من الإيضاح فلو كان الأول كافيا لأهل كل مصر في كل عصر لكان الثاني عبثا، فمن لم يجلس بعالم ولا فهمه عالم خطؤه في فهم الكتب أكثر من صوابه، لاسيما في الحكم والفتوى، ولذلك قال في النوادر[1] لا يؤخذ العلم من كتبي ولا القرآن من مصحفي، قال وإن كانت الكتب في آخر الزمان خزائن العلوم فإن مفاتيح مغالقها في الصدور، قال وقد

خلَق الْإنسانَ من علَق اقْرأْ وربك الْأَكْرم الَّذي علَّم بالْقَلَمِ علَّم الْإنسانَ ما لَم يعلَم ﴾ (العلق:1، 2، 3، 4، 5)، قال الإمامً الشافعي رحمه الله في طلب العلم

لا يدرك الحكمة من عم . . . ره ∴ يكدح في مصلحة الأه . . . . . ل
ولا ينال العلم إلا فت . . . . . ى ∴ خال من الأفكار والشغ . . . . . ل
لو أن لقمان ا لحكيم ال . . . ذي ∴ سارت به الركبان بالفض . . . . . ل
بلى بفقر وعيال لم . . . . . ا ∴ فرق بين التبن والبق . . . . . ل
العلم مغرس كل فخر فافتخ . . . ر ∴ واحذر يفوتك فخر ذاك المغ . . رس
واعلم بأن العلم ليس ينال . . . ه ∴ من همته في مطمع أو ملب . . . . س
ألا أخو العلم الذي يعني ب . . . ه ∴ في حالته عاريا أو مكتس . . . . . ي
فاجعل لنفسك منه حظا واف . . . ر ∴ واهجر له طيب الرقاد عب . . . . س
فلعل يوما إن حضرت بمجل . . س ∴ كنت الرئيس وفخر ذاك ا لم . . . س
سهرى لتنقيح العلوم الذل . . . ى ∴ من وصل غانية وطيب عن . . . . اق
وصرير أقلامي على صفحا . . ا ∴ أحلى من الدوكاء والعش . . . . . اق
وألذ من نقر الفتاة لدفه . . . . ا ∴ نقرى لألقى الرمل عن أوراق . . . ي
وتمايلي طربا لحل عويص . . . ة ∴ في الدرس أشهى من مدامة ساق . ي
وأبيت سهران الدجا وتبيت . . . ه ∴ نوما وتبغى بعد ذاك لحقاق . . . . . ي

من ديوان الإمام الشافعي فقد كان علماؤنا يقارعون قدوم العلماء لأخذ الإجازات وكانوا يسافرون وهو ما يسمونه الهجرات الجهادية العلمية فكانوا يعانون الصعاب، ويتلقون بصدورهم وأجسادهم المشاق، يتركون الأهل والأبناء، والأحباب، والديار ساعين تقربا الله عز وجل في طلب العلم جاعلين نصب أعينهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) رواه الترميذي والضياء وحسنه الألباني، فبعد الرحلة الجهادية، يثنى بالرحلة العلمية ويثلث بالرحلة الحجازية. فقد هاجر الإمام المغيلي من تلمسان لبجاية، ومنها للجزائر، ومنها لقصور توات محطته الرابعة في طلب العلم، كما سافر عبد الرحمان بن عمرو رحلته العلمية لمصر، والحجاز والمغرب فاس، وهاجر محمد بن أبا المزمري لأروان بمالي للتعلم والتعليم وغيرهم كثيرون، فقد كان لهم رحلات علمية متابعة لظهور العلماء والفقهاء والمحدثين يرحلون للأخذ منهم والاستزادة المعرفية. ولم تقتصر رحلا م على العالم الداخلي للترول في مجامع الفقهاء والعلماء بل خطوا رحلات خارجية لمتابعة مشاهير العلماء، ومن لم يستطع لذلك سبيلا يقارع مجيء أفواج الحجيج فينضم لهم أو يسافر تحت رايتهم للبقاع المقدسة فيحصل على الصحبة كما فعل الجد الأول لآل كنتي الشيخ عمر، حين صاحب الإمام المغيلي لأداء فريضة الحج، هذه الإجازات قد تكون شاملة لما يحدث به العالم وقد تكون حول علم واحد، كما كان يحصل تعددها وترسل رسائل للإجازة العامة أو الخاصة لبعض العلماء بعد لقائهم للعلامة.

1- هناك العديد من النوادر: نوادر أدبية ونوادر إسلامية ونوادر شعرية فقد بحثت عن مصنفات ابن حبيب عبد المالك بني سليمان بن هارون بن حاهمة بن عباس بن مرداس الفقيه العالم المالكي المتوفى سنة 238هـ . /652م. صاحب العديد من المصنفات فقد اعتمدته لسببين الأول فقيه مالكي والثاني ما وجدت من عناوين للنوادر لا ينصرف لا على موضوع البحث ولا يناسب ما كتب ابن حبيب المالكي، صاحب العديد من الفتاوى في الفقه المالكي.

تمثل بعضهم في حمل الكتب بلا تفقه، فقال: ذو[1] أهل للأسفار[2] لا علم عندهم يجيدها إلا كعلم الأباعر، لعمرك ما تدري الموطأ إذ غدا

ذو أهل للأسفار لا علم عندهم ∴ يجيدها إلا كعلم الأباعـ . . . . ـر
لعمرك ما تدري الموطـ . ـأ إذ ∴ غدا بأحمالها أرواح ما في الغـ . ـرام[3]

لا يقال بعض الكتب يغنى عن الشيخ لوضوحه ولذلك قال ابن رشد في أول (البيان والتحصيل)[4] (من جمع كتابي المسمى بالمقدمات[5] إلى هذا الكتاب[6] حصل على معرفة ما لا يسع حمله من أصول الديانات وأصول الفقه، وعرف العلم من طريقه، وأخذه من بابه وسبيله وأحكم رد الفرع إلى أصله، واستغنى بمعرفة ذلك كله عن الشيوخ في المشكلات، وحصل في درجة من يجب تقليده، في النوازل المعضلات وحصل في زمرة العلماء الذين أثنى الله عليهم في غير ما آية من كتابه ووعدهم فيه برفع الدرجات، لأنا نقول هذا من عدم فهمكم كلام الكتب ليس مراده بجمع الكتابين المذكورين جمعهما حسا بملك أو حفظ، إنما مراده جمعهما معنى بالفهم لجميع ما فيهما).

ألم تر إلى قوله، واستغنى بمعرفة ذلك عن الأشياخ في المشكلات، فالاستغناء عن الأشياخ إنما ذكره بعد معرفة ذلك كلـ . ـه لا في معرفـ . ـة ذلك كله. ولذلك قال في أول المقدمات[7]. كان العلم أولا في صدور الرجال ثم صار في جلود الضأن وعليه إقفال لا يفتحها إلا العلماء.

1- لقد كتبت في أ و ب وج (زوا) وهو خطأ من النساخ.
2- لقد اقتبس هذا المعنى من الآية الكريمة قوله تعالى﴿ مثلُ الَّذين حملُوا التوراةَ ثُم لَم يحملُوها كَمثَلِ الْحمارِ يحملُ أَسفَارا بِئْس مثَلُ الْقَومِ الَّذين كَذَّبوا بِآيات اللَّه واللَّه لَا يهدي الْقَوم الظَّالمين ﴾ (الجمعة:5).
3- في كثير من الأحيان يأتيك الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بأبيات شعرية لا ينصرف ذهن المتتبع لمغزاها إلا إذا أمعن في صياغة ومدلولية تلك الأشطر الشعرية، وقد يظهر من صياغة وحدقة الناسخ الذي لا يتمكن في كل حين من التميز بين النص السردي والمقطع الشعري.
4- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، كتاب للعلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الجد المتوفي سنة 520هـ/1126م يحتوي الكتاب على عشرين مجلد تحقيق المرحوم محمد حجي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت.
5- كتاب المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية، والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات للعلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي.
6- ـاية الصفحة السادسة عشر أ و ج.
7- يعتمد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي على مصنفات عظام ومؤلفين كبار إلا أنه لا يكمل كتابة عنوان هذه المراجع مما قد يوحي للمتتبع بأخذ هذا أو ذاك لتعدد وتماثل وتشابه التعاريف المعتمدة خلال فترة وزمان الإمام المغيلي.

الخامس: أن لا يظهر معارض عقلي ولا تعلَى يشكِّك في صحة ذلك المفهوم، وإلا وجب التوقف عن الاعتماد عليه لاحتمال أن يكون باطلا لخطأ في المتن، أو في فهمه، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلام النبي صلى الله عليه وسلم[1]، ولذلك قال الله تعالى في القرآن ﴿ ولَو كَانَ من عند غَيرِ اللّه لَوجدواْ فيه اختلاَفًا كَثيرا ﴾[2] فلا يحل الاعتماد على شيء من نصوص الكتب في شيء من دين الله إلا بعد توفر هذه الشروط الخمسة، فإن عدم شرط واحد منها لم يجز الاعتماد خوفا من الكلام في دين الله بغير علم[3] والعمل بما لا يعمل هل هو حق أو باطل، وبسبب عدم التوقف في هذا العصر على الشروط المذكورة كثر الخطأ في الفتاوى والأحكام إنا لله وإنا إليه راجعون[4].

وأما رجل يطلب رضى مولاه فهو إذا نزلت به نازلة[5] انبسطت أنوار تقواه فأبصر طريق رشده، وحينئذ ينظر بعقله في أمره ثم يقول في نفسه ما خلقني الله لأفعل ما أحب،

1- لقد نقل عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعلى، قال: (ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا يؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي صلى الله عليه وسلم)، فمن أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه، قال تعالى ﴿**ومن الناس من يعجبك قَوْلُه في الْحياة الدنيا ويشهد اللّه على ما في قَلْبه وهو أَلَد الْخصام وإذا تولَّى سعى في الأَرضِ ليفْسد فيها ويهلك الْحرث والنَّسل واللّه لاَ يحب الفَساد وإذَا قيل لَه اتقِ اللّه أَخذته الْعزة بالإثْم فحَسبه جَهنمَ ولَبِئس الْمهاد**﴾ (البقرة: 204-205-206).

2- سورة النساء، الآية 82.

3- تم اقتباس هذا المعنى على ما يبدو من الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يجادِلُ في اللَّه بغير علْمٍ ولَا هدى ولَا كتاب منيرٍ ثَانيَ عطْفه ليضلَّ عن سبيلِ اللَّه لَه في الدنيا خزْي ونذيقُه يوم الْقيامَة عَذَابَ الْحريق**﴾ (الحج: 8 و9).

4- في هذا المعنى وصف لنا حالة التعليم والتعلم وكيفية الأخذ بالمتون الصحيحة والضعيفة، وما ينعطف على ذلك الحكم الصادر والفتوى المنجزة من الفقهاء والأحكام الصادرة عن القضاة، فقد وصفهم وأبان حالتهم التي كانوا عليها يوم الناس ذلك فقد جاء في معرض رده على السؤال الأول الذي طرحه عليه أمير كانو محمد بن أبي بكر أسكيا الكبير حيث يقول (أليس من أعظم الواجبات على كل أمير أن يطرد عن طريق الدين جميع المفسدين، فيكف لا يجب عليه أن يطردهم عن طريق الدين وقد تبين بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة أن كثير من قراء هذه الأمة إنما هم من علماء السوء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) استنبط ذلك من الآية 34 من سورة التوبة. فهم لصوص الدين وأضر على المسلمين من جميع المفسدين قال تعالى: ﴿ **شهد اللّه أَنه لاَ إِلَه إِلاَّ هو والْملاَئكَةُ وأُولُواْ الْعلْمِ قَآئماً بالْقسط لاَ إِلَه إِلاَّ هو الْعزيز الْحكيم**﴾ (آل عمران: 81). فأهل العلم هم الثقات العدل الذين استشهد الله بهم على أعظم مشهود وهو توحيده. لمزيد من التفصيل، أنظر كتابنا أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير محمد بن أبي بكر أسكيا، الكبير، ج2، ص96-97.

5- يعد هذا العصر شعلة في التناقضات والاختراعات العولمية، والانفتاح على كل القنوات الفضائية، والفايسبوك والتويتر، والأنترنيت، والياهو، وقوقل، أو ما تم الاصطلاح على تسميته بعصر (التواصل الاجتماعي) فلم يعد خافيا بعد أن أنتج العلم الانكشافي جوالا يمكنه تعرية الشخص عن طريق السكانير، فشبكة التواصل الاجتماعي مكنت وقربت بين الشمال والجنوب والشرق والغرب وتم الاتصال بين الناس كسرعة البرق فما من نازلة تترل بالناس إلا كانت قواما لما بين الخلق ظاهرة اقتصادية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو دينية، أو ثقافية، فأخبار الشرق الأقصى وعاداته تترل حينها على المغرب الأقصى، هذا الانفتاح الهائل والسرعة في تبادل المعلومات أكثرت من كشوف ومصادر النوازل وتنوعا لما تماشيا وحياة الناس المستجدة، لهذا احتاج المسلمون لمعرفة أحكام الله في هذه النوازل الحداثية أو الاحداثية، فقد عرف العلماء النازلة على أنها: الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة التي تحتاج لحكم شرعي. وبذلك حددوا لها مراحل هي:=

أنا خلقني لأفعل ما يجب وهذه المسألة واجب على أن أعمل فيها بما يحب الله، فمن أين نعرف ذلك، فتناديه هداية الأسرار بلسان الأنوار لا يحلل ولا يحرم إلا الله، وليس لأحد معرفة الحلال والحرام إلا بوحي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أوحى الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك ما فيه كفاية إلى يوم القيامة، ووحيه صلى الله عليه وسلم في الذكر الحكيم وهو القرآن العظيم، وقد ورثه أهل الذكر عنه واستنبطوا الأحكام عنه (فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) [1] ثم ينظر أيضا فيقول في نفسه ومن أهل الذكر نسئلهم فتنادية هداية الأسرار بلسان الأنوار، أهل الذكر من اجتمع فيه وصفان (العلم والتقوى) [2] لأن من لا علم له كثيرا ما يظن الحق باطلا والباطل حقا، فيضل عن سبيل الله بجهله، ومن لا تقوى له كثيرا ما يترك الحق ويتبع الباطل طمعا أو حمية فيضل

---

1. إعداد الفقهاء وتأهيلهم للحدث الحادث
= 2. التدريب على الاستنباط والاستخراج الفقهي من الأمهات ذات الصلة.
3. تصور المسألة النازلة ومعرفة حقيقتها وجوانب استعراضها.
4. تقسيم مسألة النازلة وتجزئتها ليسهل على المفتي تناولها.
5. الإطلاع على الدراسات والبحوث ذات الصلة بالنازلة المدروسة.
6. جمع الأدلة الشرعية والعقلية المتعلقة بموضوع النازلة.
7. تطبيق قواعد الجمع أو الاجتماع، والقياس، والتقديد، والترجيح للأدلة بين الأدلة المتعارضة، والموافقة.
8. تطبيق القواعد الأصولية على الأدلة المتعلقة بالنازلة.
9. متابعة مآلات الفتوى ومطابقتها لمقاصد الشريعة.
10. تحديد مناطق وأقطار إسقاط حكم النازلة.
11. التكيف الفقهي للنازلة.

لقد عرف البعض الآخر النازلة في اللغة: هي اسم فاعل من نزل يترل وهو الهبوط والانحطاط، يقال نزل الرجل عن دابته، وهبط الرجل من الجبل ونزل من السطح، يقول صاحب (تاج العروس) هي الشديدة من نوازل الدهر شدائدها، وفي كتاب (المحكم والمحيط الأعظم في اللغة) لصاحبه أبي الحسن علي ابن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيدة، يقول ابن سيدة النازلة: هي الشدة من شدائد الدهر، تترل بالناس نسأل الله العافية.

واصطلاحا: عرفها ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي، القرطبي المالكي المعروف بابن عبد البر الأندلسي ولد سنة 368هـ ـ /967م، وتوفي سنة 463هـ ـ /1070م.

1- اقتبس جزء من الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿**وما أَرسلْنا من قَبلك إِلاَّ رِجالاً نوحي إِلَيهِم فَاسأَلُواْ أَهلَ الذِّكْرِ إِن كُنتم لاَ تعلَمونَ**﴾ (النحل: 43).

2- من ذلك ماَ قَال الإمام على بن أَبي طالب كرم الله وجهه (التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتتريل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل) قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا اتقُواْ اللّه حق تقَاته**﴾ (آل عمران: 102)، قال بن عباس في تفسير هذه الآية أن يطاع، فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر)، والتقوى عندنا هي أن يراك الله فيما يجب أن يراك فيه، وإن لا يراك فيما لا يجب أن يراك فيه.

عن سبيل الله واه، فلا تقلد في دينك إلا عالما تقيا يهديك صراطا سويا[1] لأن بعلمه يعرف الحق حقا والباطل باطلا، وبتقواه يسلك بك طريق الحق لا طريق الباطل، ثم ينظر أيضا فيقول في نفسه، وبأي شيء نعرف العالم التقى من غيره، حتى نقتدي ديه فتناديه هداية الأسرار بلسان الأنوار، العالم التقي نور من الأنوار يدرك بالبصائر لا بالأبصار، فلا يعرف إلا شهادة العلماء الأخبار بذلك يتميز الحق من الباطل، ولا يبقى وجه الحق غبار، وإذا علمت ذلك فالمدعون للعلم ثلاثة أقسام.

5- مدعو العلمية على ثلاثة أقسام

القسم الأول: عالم اشتهر بالعلم والتقوى

رجل مشهور بالعلم والتقوى في بلاد العلماء الأتقياء، وهذا أهل لأن يقتدي به، وإن لم يكن بيده إجازة، لأن شهرته بذلك أقوى من إجارته.

القسم الثاني: عالم حصل الإجازة

رجل بيده إجازة بخط عالم تقي ثبت أنه خطه وشهد له فيها شهادة تقتضي أنه أهل للاقتداء به في دين الله، وهذا أيضا أهل لأن يقتدى به.

1- في رده على السؤال الأول لمحمد بن أبي بكر أسكيا الكبير (إن كثير من علماء هذه الأمة وعبادها يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، وبسبب هؤلاء العلماء والعباد شاع الفساد، في جميع البلاد فالجهاد فيهم وفي أنصارهم أفضل من كل جهاد قال تعالى: ﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ إنَّ كَثيرا من الأَحبارِ والرهبان لَيَأْكُلُونَ أَموالَ الناس بالْباطلِ ويصدونَ عن سبيلِ اللّه**﴾ (التوبة: 34)، وقال عليه الصَلاة والسلام (هلاك أمتي عالم فاَجَر وعابَد جاهل وشر الشَرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء) أخرجه الدرامي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه. أنظر لمزيد من التفصيل كتابنا مدونة الفقه النوازلي، ج2، ص380-381. لقد شاع هذه الأيام أخذ القلم لتبتل الأوراق وتسود بحبر طال انتظاره فمكاتبي جوارنا يجزؤن لثلاثة زمر هما:
زمرة : التناسيخ.
زمرة: التثاؤب النساخي.
زمرة: اللحاق العصبي الغيابي.
هذه الزمر يتأرجح بينها الكتاب الجدد حاول بعضهم إعادة الفلك لخلفه وإعادة طحن الدقيق بين ضفتي الحجرة، غير آبه، أن ذلك يخلط الدقيق بالغبار والذي أصبح ضارا يستمرض الناس منه بما يسمى الشقيقة، ومن الكتاب الأخيار ككتاب القصور والدهاليز المقصرية يكتبون قداسة لما لم يقدس يأنسون بكتابا م ذويهم وأهليهم، لا منهج ولا منهجية ولا ردات فعل عليمة فيها. شطحات معصرنة اغترارا واجترارا كما يفعل الجمل عند دق خشائش التاقة في جوفه ثم يعيد ردها لإعادة ابتلاعها ثم مضغها اجترارا.

القسم الثالث: عالم يشك في الاقتداء به

رجل لم تعلم شهرته ولم تثبت إجازته، فهذا لا يحل الاقتداء به إذ لو جاء يدعى على غيره بدينا، ولا يحل أن يعطاه عن غريمه إلا ببينة عادلة على صدقه، فكيف يحل لكم أن تجعلوا زمام دين الله، وأحكام عباد الله بيده فتأخذون به الأموال وتستبيحون به الفروج، وتقذعون به الحقوق وأنتم لا تعلمون هل هو أهل لذلك أم لا؟ مالكم[1]، لا تجعلون أموالكم إلا بيد عارف أمين دينكم أولى بذلك إن كنتم مؤمنين فتقيموا من غفلتكم ولا تكونوا من الجاهلين.

واجب على كل قوم جاءهم رجل يزعم أنه عالم أن لا يقلدوه حتى ينتقدوه فإن الجهل أكثر من العلم والهوى أكثر من التقوى لاسيما في آخر القرن التاسع[2]. وأطراف الدنيا، ففي العتبية عن مالك أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال (لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فإذا ذهب العلماء اتخذ الناس رؤساء جهالا، وسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[3].

قال ابن رشد هذا مما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيكون فكان على ما أخبر، والله ولي التوفيق برحمته[4].

1- اية الصفحة السادسة عشر في أ و ب. أنظر كيف جاء السؤال تعجبي استفهامي تعجبي لحال هؤلاء الذين قد لا يميزون استنكافا أو استغفالا أو استسهالا لحال لم يعمق الناظر في ردات فعله.

2- لننظر ما كان يعج ويهج به القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي وأعتقد أن رجل آخر هذا القرن يكون بامتياز هو الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، فقد صور لنا أحداث هذا القرن في داخل القصور التواتية وفي خارجها، كما أعطى صورة ذات أهمية عن العالم المحيط وعن علماء عصره، وبيان كيفية أخذهم للمتون، وإظهار فتاوى العلماء بحسب أخذهم للكتاب.

3- لقد وجدته بلفظ آخر فعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا) رواه البخاري ومسلم وروى عنه عليه الصلاة والسلام ما جاء به أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل وتشرب الخمر ويظهر الزنا) رواه البخاري ومسلم.

4- يلاحظ الاعتماد الجلي على المصادر المغاربية في كتاباته فقلما نجده يشير لمصدر مصري أو شامي، إلا إذا استثنينا كتاب إحياء علوم الدين للغزالي وكتاب الماوردي في الأحكام السلطانية، فهو يميل كل الميل للمصادر الإحاطية وأعني ا الكتب الصادرة بالأندلس، والمغرب، والجزائر، وتونس. يأخذ من مصادرها مرجعيات ومصادر لتأليفه ومصنفاته، وأعتقد أن ذلك يعود للأسباب التالية:

1- لحركاته وتنقلاته المغاربية وإحاطته جما بما يصدر، وما يؤلف سواء عن طريق المشاهدة العينية أو عن طريق العلماء الذين يتبادل معهم مراسيل الكتب والإصدارات، أو عن طريق اقتطافات الطلبة.

2- إن حميمية العلاقة القائمة بينه وبين علماء هذه البلدان وعلاقتها بعلماء وفقهاء القصور التواتية تسمع له بالنظر والإطلاع على كل جديد يصدر.

3- لقد سمحت له مدة إقامته بالقصور التواتية، وتنقلاته لكل من تلمسان والجزائر، وتونس والمغرب مدته هذه الرحلات بتمتين الصلة بالعلماء ذه الأقطار وبالتالي جمع ما تم جمعه.=

قلت فإذا كان ذلك قد كان في القرن الخامس، فكيف بآخر القرن التاسع هجري، فاحتفظوا رحمكم الله على دينكم من فتنة الدجالين وهم علماء السوء[1] فإنه لا يفسد الدين إلا من حيث صلح إنما صلح بالعلماء، وإنما يفسد م، فمن كان مشهورا بالعلم والتقوى في بلاد العلماء الأتقياء، أو كان بيده إجازة ثابتة بخط عالم تقي تشهد له بما يقتضي إنه أهل للتقليد فقلدوه. فلا بدأن تتلاطم عليكم الأمواج ويعلوا العجاج، حتى لا يعرف الحسن البصري من الحجاج[2]. ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿**يا أَيها الَّذين آمنواْ إِنَّ**

= 4- لقد زاد من مصدرية وتواجد الكتاب المغاربي نذه الديار التواتية تلك الهجرات المتتالية بداية من سنة 1492 فقد حمل العلماء والنساخ والكتاب، والفقهاء، وأصحاب الحرف صنائعهم للأقطار التي استقروا ا، حتى أن العديد من الحرف أدخلت للمنطقة لم تكن معروفة ولكن يفضل الوافدين انتشرت وتوسع استعمالها.

5- لقد أدى سهولة نقل الكتاب من بلد لآخر على كثافته وتنوعه، واستعماله.

6- فالمتتبع لما يكتب عنا اليهود وما يوجهون به التلاميذ في القسم الخامس حيث يحفلون كتاب السنة الخامسة بدراسة أعداء اليهود عندهم قديما وحديثا إذ تتم دراستهم لكل بلد على حداها كما هو في الجدول التالي:

الرقم	البلد	المدروس المعنى بدراستهم	ملاحظة
1	العراق	نبوخذ نصر حفيد حمو رابي	قام بطردهم من العراق
2	مصر	رمسيس الثاني	طردهم من مصر
3	مصر	ششناق	طردهم هو الاخر من مصر
4	القدس	يختصر بما سمي جلاء بابل	طردهم من القدس وخر ا الخراب الأول 588 ق.م
5	القدس	الإمبراطور ميطوش بن فسباسيان	طردهم من القدس وخر ا الخراب الثاني 70 ق.م
6	قشتاله	الدون فيرديناند ملك إسبانيا والزبيثا	محاكم التفتيش 1492م
7	الجزائر	محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني	نازلة يهود توات 1496م
8	المانيا الشرقية	هتلر ادولف	المحرقة 1944م

ويتم التركيز في كتبهم الابتدائية والجامعية على هذه الشخصيات وأسباب طردها لليهود، عبر الأزمان.

1- علماء السوء قال فيهم ابن المبارك رحمه الله

رأيت الذنوب تميت القلوب ∴ ويورث الذل إدما . . . ا

وترك الذنوب حياة القلـ.وب ∴ وخير لنفسك عصيا . . ا

وهل أفسد الدين إلا الملوك ويتم التركيز في كتبهم الابتدائية والجامعية على هذه الشخصيات وأسباب طردها لليهود، عبر الأزمان.

1- علماء السوء قال فيهم ابن المبارك رحمه الله

رأيت الذنوب ∴ وأحبار سوء ورهبا . . ا

وقال آخر:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهـ.وى ∴ ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه ∴ بدنيا سواه فهو من هذين أعجب

وقال آخر:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما ∴ إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيهـ.ا

أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا ∴ فالموبقات لعمري أنت جانيهـ.ا

تعيب دنيا وناسا راغبين لهـ. . ا ∴ وأنت أكثرهم رغبة فيهـ. . . ا

وجاء في الحديث ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق).

2- لقد تكررت مقاربته وتكراره للمقارنة الاستجلابية الإيثارية للمقارنة بين الرجلين، الحجاج بن يوسف الثقافي: ولد بالطائف الحجاز سنة 41هـ. /660م سياسي أموي، تزوج ابنة المهلب بن أبي صفرة، لعب العديد من الأدوار في تثبيت أركان الدولة الأموية، سير فتوحات، خطط لبناء المدن، بنى مدينة واسط، يعد من الشخصيات العربية والإسلامية المثيرة للجدل في التاريخ، تولى حكم الحجاز والعراق مدة عشرين سنة. أما العالم والفقيه الثاني الحسن البصري: ولد أواخر خلافة عمر بن الخطاب سنة 21هـ. /641م، أبوه مولاي زيد بن ثابت الأنصاري، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

كَثيرا من الأَحبارِ والرهبان لَيأْكُلُونَ أَموالَ الناسِ بِالْباطلِ ويصدونَ عن سبيلِ اللّه﴾[1]، وقد ذكر الله في القرآن، على علماء السوء من ذلك كثيرا. فإن قلت[2]: إنما نزل ذلك في الأحبار والرهبان[3] من اليهود والنصارى ولسنا منهم.

فالجواب: أنه أجمعت العلماء كلهم على أن القرآن لمن تقدم ومن تأخر، لا يختص بعصر ولا مصر لقوله تعالى: ﴿ **وأُوحي إِلَي هذَا الْقُرآنُ لأُنذركُم به ومن بلَغَ** ﴾[4]، فكل ما ذكر الله تعالى في القرآن من مدح أهل الخير وثوابهم ينال منه كل من تبعهم فيه إلى يوم القيامة[5].

وكل ما ذكر الله تعالى في القرآن من ذم أهل الشر وعقابهم ينال منه كل من تبعهم فيه إلى يوم القيامة. وكل ما فعله اليهود[6] والنصارى[7] من الكفر والعصيان يكون من هذه الأمة مثله سيما في آخر الزمان لقوله صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن الذين من

1- سورة التوبة، الآية: 34.

2- أسلوب الفنقلة: نهج قديم بشيوخ الأزهر الشريف في تقديم دروسهم على طريقة إذا قلتم كذا قلنا كذا، تكلم عنها الدكتور طه حسين في كتابه (الأيام) إذ يقول عن نفسه: أقبل صاحبنا على دروسه في الأزهر وغير الأزهر من المساجد فإمن في الفقه والنحو، والمنطق وأخذ يحسن الفنقلة التي كان يتنافس فيها البارعون من طلاب الأزهر وينسب للعالم ابن رشد القرطبي أن العالم لا يتوفر له الإبداع الذهني إلا بخمسة شروط هي: الذهن الثاقب، والشهوة الباعثة، والعمر الطويل، والخبرة، والأستاذية.

يقول سعد هجرس في إحدى مقالاته: لا أظن أن هناك لغة أخرى غير العربية توجد بها كلمة فنقلة، فهي كلمة غريبة ثقيلة عن النطق وعلى السمع تعبر عن طريقة النقاش والجدل، وطريق عجيبة تتلخص في المجادلة في أي شيء بقوله من ينافسك حتى إذا قال الآن شيئا نقول عكسه، فإن وافقك في جولة ثانية ليرضيك ويخطب ودك فإنك أيضا تنقض قوله نقول عكسه، وهكذا لن تصل إلى نتيجة معه، وبهذا نكسب الفنقلة. وهي بهذا الشكل أقرب إلى المناكفة والاختلاف حبا في الاختلاف، أو هي أقرب إلى منهج أرسطو مع السفسطائيين في منهجه ذا الشقين (التهكم والتوليد).

3- الأحبار والرهبان.

- الأحبار: هم علماء اليهود وهم جميعهم من المسيحيين. ولكن الأحبار هم الأساقفة، والبطاريك.
- الرهبان: هم علماء النصارى، المتوحدين لعبادة الله في البراري والصحاري.
- الكهان: هم المدعون بعلم الغيب، وهم من يستخدم سبلا غير دينه وتعامله مع الناس.

4- سورة الأنعام: الآية 19.

5- بداية الصفحة 17 في أ و ب و ج.

6- اليهود هم: كما جاء في لغتهم العبرية اسم نسبة (ليهوذا) من أبناء يعقوب عليه السلام يتبعون الديانة اليهودية ينتسبون لأربعة من أسباط بني إسرائيل الاثنين عشر يهوذا، سمعون، بنيامين، ولاوى، افترقوا في سبى بابل بالعراق إلى يهود، وسماريين، منذ بداية القرن الثاني للميلاد، بدأ اليهود ينتشرون في أسقاع العالم، كتابهم التراة الذي حرفوه وعدلوه بحسب أهوائهم رغم الإشارة إليه في سورة الفتح، الآية:29.

7- هم المسيحيون أصحاب كتاب الإنجيل ويعني عند المسيحيين البشارة الشارقة.

قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في حجر ضب لا تبعتموهم قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن) [1]، وقد كان من ذلك كثير لاسيما في القرن التاسع وأطراف الأرض[2] فإن الله وإن إليه راجعون.

(وفي بعض هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله الهداية، وما يتذكر إلا أولوا الألباب ويتوب الله على من تاب، والله الموفق للصواب) [3].

1- الحديث رواه ابن مسعود رضي الله عنه وأخرجه البخاري في صحيحه.

2- لقد تكرر ذكر ما حدث في ـاية القرن التاسع هجري، الخامس عشر ميلادي وأطراف الأرض الإحاطية بالمنطقة التواتية، أربع مرات في هذه المخطوطة وهذا يدل على تأثير أحداثها فيه وردات الفعل القوية التي كان يحدثها كل فعل ورد فعل مساو أو مضاهي له، ومن خلال منهجيته العليمة والاستبيانية نلاحظ الانفرادية في الطرح والحوز عن باقي علماء عصره لا سيما علماء تمنطيط الذين كان يوصفهم في كثير من الأحيان بأوصاف قلما يقال عنها أ ـا كمية سلابية، فعندما يتحدث عن هذا القرن أجده يسترسل في تصوير الوقائع لكأني به قابض على آلة تصوير يستجمع من خلال تلك الصور والوقائع، كما يصف حالات التلقي لعلماء عصره وخذلانا م في قبض وتفحص الكتاب، غير آخذين بالمتون المصداقية الحقيقية وبذلك قد يشكك حتى فيما يصدر عنهم من أحكام وفتاوى إن ذلك التصوير والتمحيص للعصر واستكشاف ما لم يتوصل إليه علماء زمانه وضعه في صورة الناظر الثاقب الفاحص فلكأن القارئ لموروثاته يعيش معه تلك الأحقاب، وذلك الزمان الغابر، فهو يشدك إليه ما يجعلك تتابع ما يصدر عنه بأسلوب جذاب وعندما يرجعكم خمسة قرون للوراء تدرك بعد ـاية ما أراد أن يطرح عليك لكأنه يعيش أحداث الألفية الثالثة بكل صراعا ـا ورهانا ـا، وتعثر الدول الاهترائية في ظل ما كان سابقا من صولة المقدس الذي يعتبر نفسه أنه الأقرب للسماء فهو الذي له الحق بالسياسة والحكم والله في خلقه شؤون.

3- هذا الختم يعقبه كل ـاية فصل أو قسم وهو خاص ـذه المخطوطة: وهذه السجعية الاستنباطية أعتقد أ ـا من متون وزخارف القرن الرابع عشر فقد كان العلامة عبد الرحمان بن خلدون يختم أبواب كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر بكلمة (والله ولى التوفيق والهداية)، أنظر الجزء 2 من العبر، ص18.

الفصل السابع
بيان ما لأهل الذمة من حقوق وما عليهم
من واجبات ضمن متن رسالة الغلائف

1- بيان ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات

في قوله بينوا لنا سيدي جميع ذلك مع ما يجب عليهم من الحقوق والشروط فأقول والله الموفق للصواب.

2- حواصل استجلاب الإجابة على أسئلة الفصل السابع

حاصل ما يجب على أهل الذمة (الجزية)، (والصغار) قال الله تعالى: ﴿ **قَاتلُواْ الَّذين لاَ يؤمنونَ باللّه ولاَ بالْيوم الآخر ولاَ يحرمونَ ما حرم اللّه ورسولُه ولاَ يدينونَ دين الْحق من الَّذين أُوتواْ الْكتاب**﴾ [1].

1- شرط الجزية

أما الجزية: فهي مال يؤخذ من أهل الذمة على سكنى غير جزيرة العرب من بلاد الإسلام وعلى حماية المسلمين أنفسهم وأموالهم من العدوان عليهم ماداموا في ذمتهم، فلا يحل إقرار كافر في بلد من بلاد الإسلام بلا جزية، إن كان بصفة من تأخذ منه الجزية.

2- نقص إقرار القاضي أو الإمام

وصفته أن يكون ذكرا بالغا حرا عاقلا مخالطا، قادرا عليها فإن جهل الإمام واتبع هواه فأقر كافرا ممن ذكرنا[2] بلا جزية.

1- سورة التوبة: الآية 29.

أهل الكتاب هم: من يطلق عليهم في الإسلام أصحاب الديانات السماوية التي يعترف ا الإسلام عادة يشار إلى اليهودية والمسيحية من الكتب المذكورة في القرآن الكريم، التوراة، الإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، وصحف موسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وأهل الكتاب اليهود والنصارى كما ينص على ذلك علماء التفسير، أما الماجوس ليسوا من أهل الكتاب إلا أ م يعاملون معاملتهم في أخذ الجزية منهم، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذها منهم.

لقد جاء في كتاب المغنى لابن قدامة المقدسي، يقول فصل: وأهل الكتاب **الذي هذا حكمهم هم أهل التوراة والإنجيل،قال تعالى:** ﴿ **إنما أُنزِلَ الْكتاب على طَآئفتين من قَبلنا** ﴾ (الأنعام:156).

2- استصدار فتوى بتكفير من قضى بعدم قبض الجزية من الذميين، فقد طالب مخالفة اليهود، وعدم التقرب منهم فمن قر م فهو كافر، قال تعالى:﴿**فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا**﴾ (النساء:155).

3- على من تضرب الجزية

وجب نقض فعله بإقامة ما فرض الله إذ لا يكون رضى أحد ولا حكمه مانعا من إقامة الحق ولا يجوز إقرار كافرا على سكنى جزيرة العرب وهي مكة والمدينة، واليمن (حتى يلج الجمل في سم الخياط) [1].

4- أقسام الجزية

وتضرب الجزية على رهبان البيع، والكنائس، لأ م يخالطون[2] أهل دينهم بخلاف المنعزلين، في دير أو صومعة، ومن أسلم سقطت الجزية عنه وكذلك من ترهب وانعزل عنهم يعرض بما عليه.

5- أقسام الجزية

والجزية ضربان صلحية، وعنوية[3].

1- سورة الأعراف: الآية 40.

2- المخالطون هم بلا جزية على الصوامع من الرهبان وتحتمل عند البعض وجو ا كما جاء عند الإمام المغيلي وهو قول الشافعي.

3- لقد قسم الإمام أحمد بن محمد بن زكري التلمساني في معرض رده على فتوى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي حول نازلة يهود توات قسم الأرض لثلاثة أقسام:

1- أرض للمسلمين غرائسها.

2- أرض للصلحين تم صلحهم عليها ليقيموا عليها.

3- أرض عنوة أخذت من الكفار بالقتال. لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ج2 ص218-219.

فقد جاء في فتواه حول نازلة يهود توات المحور الثاني: حيث يقول (فهذا أمر الله تعالى بقتال اليهود والنصارى وقتلهم، ولم يرفع السيف عن رقا م إلا بشرط إعطائهم الجزية وصغارهم، وكيف ينبغي أن يترك عدو من أعداء سيد الأولين والآخرين بين المؤمنين في أرض المسلمين حتى يذعن لما هو أشد من الحرق بالنار من الجزية والصغار، فحينئذ ينبغي أن يترك بماله وأهله، لأن إذلاله بذلك أشفى لقلوبنا من قتله و ب ماله، فلا يحل أن يترك عدو من أعداء النبي المختار في شيء من القرى والأمصار، وسائر الأقطار إلا على الجزية والصغار).

أما صفة أخذها فيقول: أن يجمعوا يوم إعطائها بمكان مشتهر كالسوق ونحوها ويحضروا بأخسه وأسفله قائمين على أقدامهم.

من يتولى أخذها: يتولى أخذ الجزية ولي الأمر أو رجل من أهل الخير بحيث يكون أخذها وصرفها على يد واحدة لا عن أيد متعددة، فكل ما يأخذه الغلائف من يهود هم بأيديهم ليس بجزية، وإنما هو رشوة على توليتهم وتصرفهم بالجزية.

مصارفها : تصرف الجزية مصرف الفيئ وسير أئمتنا العدول في صرفه أن يبدأ سد مالا بد من سده من حصن وسلاح ثم بعطَايا آل النبي، ثم بأرزاق العلماء والمؤذنين ومصالح المسلمين. لمزيد من التفصيل، أنظر كتابنا نازلة يَهود توات، ج2، ص145-146.

فالجزية الصلحية: بحسب التراضي على ما يقتضي النظر.

والجزية العنوية: على حسب ما فرضه عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه، لأنه أول من فرض الجزية على أهل العنوة، حين فتح مصر عامله عمر بن العاص رضي الله عنه[2] فجعل على أهل الذهب أربعة دنانير[3] عن كل رأس في كل سنة، وعلى أهل الورق أربعين درهما عن كل رأس في كل سنة، وفرض عليهم مع ذلك أرزاقا للمسلمين على كل رأس (أرديا من حطنة) [4] في كل شهر، وشيئا من (الودك) [5] والعسل[6]، وشيئا من الكسوة[7] التي كان يكسوها عمر رضي الله عنه[8] للناس.

1- عمر بن الخطاب هو أبو حفص ولد سنة 40 قبل الهجرة النبوية من مكة للمدينة 584م-23هـ. /644م، يلقب بالفاروق ثاني خلفاء الراشدين للرسول عليه الصلاة والسلام، ومن أكابر الصحارة رضوان الله عليهم جميعا. أحد العشرة المبشرين بالجنة، من علماء الصحابة، وزهادهم، يعد أول من عمل بالتقويم الهجري ففي عهده فتحت بقيت العراق وشرقه، ومصر، وليبيا، والشام، وفلسطين، وفارس، وخرسان، وشرق الأناضول وجنوب أرمينيا، وسجستان (أفغانستان الآن) فأصبحت القدس تحت إمارة المسلمين لأول مرة، قضي على أكبر قوتين عظيمتين وهي الدولة الفارسية (الساسنية) وأ ى الوجود البيزنطي في مصر والشام.

2- عمرو بن العاص: حاكم مصر: ولد سنة 51 قبل الهجرة، 573م، وتوفي سنة 43هـ. /664م بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم القرشي السهمي كنيته أبو عبد الله، وقد تزوجت أمه (الملقب بالنابغة) مع أزواج آخرين فكان له إخوة من أمه هم (عروة بن أثاثه العدوى، وعقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري، كان داهية العرب، صاحب رأي وفكر وفارسا من الفرسان أرسل من قريش للحبشة ليطلب من النجاش تسليمه المسلمين المهاجرين تحت كنف النجاشي، فلم يستجب له النجاشي ولما أسلم عين على مصر من قبل عمر بن الخطاب فكان الناس يشتكونه لعمر بن الخطاب فبعث له رسالة يقول فيها (لقد كثر شاكوك وقل شاكروك، فإما اعتزلت وإما استقمت)، مات بمصر ودفن ا.

3- الدينار: يساوي شرعا: 4,25 غرام. للمزيد أنظر كتابنا الأنماط الإنتاجية في القصور التواتية، ج5، طبع دار هومة، 2009، ص76.

4- الأردب: يقال أردب القمح والحمص والترمس يساوي 150 كلغ. والأردب مكيال كان معروفا لأهل مصر وهو مكيال إسلامي يستعمل في الوزان والكيل. وهو يساوي 24 صاعا، وعند الحنفية يساوي 78كلغ. وعند الجمهور يساوي 84,96 كيلوغرام. يختلف كمه بما يكال به.

5- الودك هو: مادة دهنية تستخدم في العديد من المنتجات عن طريق صهر دهن الأبقار أو الماعز، أو الغنم ويصنف الودك على أنه مادة صالحة وغير صالحة للأكل، فالودك الصالح للأكل يستخدم بصفة رئيسية في زبدة الطبخ أو الخبز، ويستخدم الودك غير الصالح للأكل في صناعة علف الحيوانات، كما يصنع منه الشمع، ويعالج لصناعة ألواح الصابون والمنظفات والصالح يكون لونه أبيض يكاد يكون بلا طعم، وغير الصالح يكون بلا طعم، وغير الصالح يكون لونه أبيض أو أصغر أو بني.

6- قال تعالى: ﴿**وأَوحى ربك إِلَى النحلِ أَن اتخذي من الْجبال بيوتا ومن الشجرِ ومما يعرِشونَ**﴾ (النحل:68)، عسل النحل مادةَ سكرية ينتجها النحل من رحيقَ الأزهار، فهو مضاد حيوي طبيعي ومقوي لجسم الإنسان يقوي جهاز المناعة الذي يتولى مقاومة جميع الأمراض التي اجمه، قال تعالى ﴿ **يخرج من بطُونها شراب مختلف أَلْوانه فيه شفَاء للناس إِنَّ في ذَلك لآيةً لِّقَومٍ يتفَكَّرونَ**﴾ (النحل:69).

7- الكسوة من الكساء، تقول كساه أعطاه ثياباً تَكسبه، ونقول عندناً نكسي البيت بالرمل الجديد ونخرج القديم أي نلبس قاع البيت الدار بالتراب، ونقول أكسى الرحبة، ونكسي التاقمي، ونكسى الكانيف بالرمل، والرماد، فهي من مما يغطي ويكسي الإنسان.

8- عمر الفارق لقد سبقت لنا ترجمته.

وفرض عليهم مع ذلك، ضيافة من مر م من المسلمين ثلاثة أيام[1] وجعل تلك الضيافة على كل منهم بحسب ما تيسر له مما ينفق منه على نفسه وعياله، ليس عليه ذبح الغنم، ولا الدجاج، ولا يكلف من ذلك إلا ما طاع به، وتيسر له، هذا ما فرضه عمر رضي الله عنه، فمن كان من أهل العنوة بأرض فرض عمر جزيتها أخذ منه ما فرضه عمر على أهلها، من الذهب أو الفضة في آخر كل سنة.

وأما ما فرضه عليهم من الأرزاق والضيافة: فقال مالك: أرى أن يوضع عنهم اليوم لأجل ما أحدث عليهم من الجور، فإن لم يكن عليهم جور، أخذ منهم، ولا يوضع شيء عنهم.

ومن كان من أهل العنوة بأرض لم يفرض عمر جزيتها، فالإمام أو من يقوم مقامه في عدمه يفرض عليهم بحسب ما يراه أهل النظر مناسبا لفرض عمر رضي الله عنه، وينقص عن الفقير بحسب فقره، ولا يزاد على الغني لأجل غناه.

ولا بد في الجزية أن تكون مفروضة على الوجه الشرعي فيها مأخوذة عند أجلها على إسمها ووجه الإهانة، والصغار لأهلها، بأن يجعلوا بمكان مشتهر من البلد عند أخذها[2]. فيدفعو ا قياما خاضعين صاغرين، ولا يدعى لأحد منهم، ولا يمدح بسببها، ولا عند أخذها، وإذا علمت ذلك: فأخذ غلفاء اليهود[3] المذكورين من يهودهم[4] بلا

1- لقد استنبط ذلك من رسالة عبد الرحمان بن غنم لما بعث ا لعمر بن الخطاب لما لصالح نصارى الشام فقال فيها (وإن لا نمنع كنائسنا أن يترل ا أحدا من المسلمين في ليل، ولا ار، وأن نوسع أبوا ا للمارين، وابن السبيل، وأن نن . زل من مر بنا من المسلمين ثلاثة ليال نطعمهم ونسقيهم). أنظر للمزيد كتابنا نازلة يهود توات، ص151.

2- لقد أخذ بفتوى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي علماء وفقهاء فاس خلال القرن التاسع عشر ميلادي، فقد وجد بعض الفتاوى قولهم (قال الإمام المغيلي وصفة أخذ الجزية من الهيود أن يجمعوا في مكان مشتهر، ويحضرون فيه قائمين). أنظر للمزيد كتابنا، ج1 مدونة نازلة يهود توات، ص143.

3- غلفاء اليهود: عندما نتتبع وندقق ونتمعن جيدا في صياغة ردوده على الأسئلة المطروحة نلامس المعنى الحقيقي الذي أراده لكلمة (الغلائف) ومن جهة أخرى نلمس بصورة أدق وواضحة مقام ورتبة طارح السؤال إذ أن صياغة الأسئلة ومحاور الرد عليها تنبأ عن شخص ومكانة السائل، فهو إما أمير، أو سلطان، أو إمام، أو قاضي، أو مهتم بما يصدره الإمام (محب) لأن سياقات الإجابة ومساطرها توحي بأن الجواب يظهر من خلاله قيام السائل بتنفيذ الجواب لأن توجيه الإجابة تأتي لمعالجة قضايا ونوازل وظواهر حدثت وبانت ونزلت بالناس، فلم يطلعوا على مثيل لها في متون الأولين، أو أ م لم يقنعوا بما قرءوا من فتاوى حولها، فطارح السؤال لا يكون إنسانا عاديا ذا ثقافة عامية بل الأسئلة والإجابة عنها تدل على أن السؤال والإجابة عليه بمقدار ومكانة السائل يستنبط ذلك من صياغات الأسئلة.

4- أشار هنا لما قد يجلى اللبس ويزل الوهم والتلاطم حول كلمة غلائف، فقد فصل هاهنا بين الغلفاء واليهود (فكون بذلك كيانين منفصلين) فقد رأى بعض المتبعين لفكر الإمام المغيلي بأن الغلائف تعني الأبناء الذين أنجبهم اليهود من أمهات مسلمات ولكن أميل هنا لما جاء به الكاتب تنصيصا حول معنى الغلائف. فقد فصل هنا بين الغلائف واليهود وهو ما أميل إليه من أن الغلائف هم أرباب القصور الذين كانوا يدافعون عن اليهود ويحمو م بلا خلفية دينية، بل لما كانوا يمتعو م به ويسدلون عليهم من عطايا، في حين كانوا يدفعون عنهم كل ظلم يوقع عليهم، فهم بمثابة (Boddy gard) أي الحرص الخاص.

فرض ولا توقيت، ولا ذله، ولا بجزية. إنما هو رشوى على إقرارهم في فسادهم فهم فيه على عكس ما أمرهم الله به.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أذلوهم ولا تظلموهم. والغلفاء المذكورون يظلمو م يذلو م فإن الله وإنا إليه راجعون.

6- الصغار

وأما الصغار: فهو أن يسلك م في أقوالهم وجميع[1] أحوالهم سبيل الذلة، والمسكنة، بلا ظلم لاسيما عند أخذ الجزية منهم، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (سموهم، ولا تكنوهم وأذلوهم، ولا تظلموهم ولا تبدؤهم بالسلام).

وفي النوادر من كتاب ابن حبيب: كتب عمر بن عبد العزيز أن يختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص، وأن يظهروا مناطقهم، ويجزوا نواصيهم[2]. ويركبوا على الأكف عرضا.

1- يرى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الصغار على أن حاصله أن يلزموا الذلة والمسكنة في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم، حتى يكونوا بذلك تحت قدم كل مسلم ومسلمة من حر وحرة وعبد وآمة، وأول ما يحتفظ به عليهم صغارهم في دينهم بأن يدسوا جميع ما خالف الشريعة المحمدية، ولو كان في الشريعة المسوية، حتى لا يظهر أحد من المسلمين شيء من صلا م، ولا قراء م، ولا كتبهم، ولا يمدحون بحضرة مسلم أخذا من علمائهم لأن الرسالة بالدين والجهاد على الدين، فالمغالبة بيننا وبينهم في الدين قال تعالى: ﴿**هو الَّذي أَرسلَ رسولَه بالْهدى ودينِ الْحق ليظْهره علَى الدين كُلِّه**﴾ (التوبة:33). فإن نحن غلبناهم في دينهم فنحملهم على إخفائه ودسِّ معالمه، فهمَ صاغرون وإن ملكوا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، لأنا إذا غلبناهم على ذلك غلبناهم على الصغار في الدين ونحوه). لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ج1، ص146-147.

2- تجزية النواصي عادة تواتية قديمة شاعت منذ فترة طويلة ولوحظت حتى الستينات من القرن العشرين، حيث يجز مقدم الرأس للبنت الصغيرة لغرض إطالة شعر مقدمة رأسها، والذي يكون عادة قصيرا، البعض يظن جزه يقوى منه ويأتي بخلفة أحسن وأقوى، بينما الطفل يبقي على مقدمة رأسه، ومنذ الأسبوع الأول بعد إجراء العقيقة، وذلك لتعقد فيه المبروكة (المرأة التي تطهر الأطفال في الأسبوع الأول) كمية من الحنتيت، فالطفل يتقرن، والطفلة تتقرنن والمرأة تتقرنن وتتقطى، فعند بلوغ الطفل السنة الثانية نقوم بوضع على الجهة الأخرى حجابا (تمائم) وعند بلوغه السنة الثالثة نقوم بعملية فريدة من نوعها على رأسه، نقصد فصده على صدغيه صضغه يقولون ليخف رأسه، وفي الكتاب يؤمر بشرب مسوح اللوح المكتوب عليها القرآن ليخف رأسه، كما نطلب منه أن يحتسي شراب بيضة بعد إضافة قليل من الملح ليخف رأيه (نعني ليدخل القرآن في رأسه).

1- نرسم على رأسه ما يطلق عليه خط جبرائيل علامة الزائد (+).

2- نبقي عل شعر أي على خصلات شعرية تدور كأ ا علامة صفر (0) وهو ما يطلق عليه بالقرن، فقسمه على الشكل التالي إذا كان ولدا نرسم هكذا (I0) وإذا كانت بنتا نرسم هكذا (0I) وقد نرسم على الشكل التالي (0I0). كلها تكون على رأس الطفل وهي عادة موروثة عن الماضي.

3- نقسم الرأس بخط من الشعر نسميه العرف كعرف الديك، وهذا لتميزه عن البنت فقد لاحظنا ظهور هذه العادة هذه الأيام لدى الشباب، فهي عادة يهودية قديمة.

4- أحيانا نضع على الرأس قرنين، وأحيانا أخرى نترع القرنين ونبقي على العرف، والآن أصبح العرف موضة للألفية الثالثة، فمن لم يعرف في نظرهم لم يحضر أي مختلف والله في خلقه شؤون.

فالعادة هذه كانت مما فرض على اليهود جز مقادم رؤوسهم لتمييزهم عن غيرهم، فهم يترلون خصلات الصدغ الأيمن والأيسر وهي مما تعودوا عليه مع وضع الطاكية الدينية.

ومن العتبية من سماع ابن القاسم: سئل مالك عن الحزم للأنباط[1] أتلزمهم ذلك، فقال مالك رضي الله عنه إني لا أحب لهم الزلة والصغار، وقد كانوا ألزموا ذلك فيما مضى، قيل له أفكيونون قال إني لأكره أن يرفع ـم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام أنه شرط عليهم فيما كتب عليهم من الصلح (أن لا يحدثوا في مدينتهم ولا حولها ديرا، ولا كنيسة، ولا صومعة راهب، ولا يجددوا ما خرب، ولا يمنعوا كنائسهم أن يترلها أحدا من المسلمين ثلاث ليال يطعمو ـم، ولا يأووا جاسوسا، ولا يلتموا غشا للمسلمين، ولا يعلموا أولادهم القرآن، ولا يظهروا شرعهم، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام إن أرادوه، وأن يوقروا المسلمين، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين، ولا يسموا بأسماء المسلمين، ولا يكنوا بكناهم، ولا يركبوا سرجا، ولا يتقلدوا سيفا، ولا يتخذوا شيئا من السلاح، ولا ينقشوا خواتمهم بالعربية، ولا يبيعوا خمرا، وأن يجزوا مقادم رؤسهم وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم، ولا يظهروا صليبا، ولا شيئا من كتبهم في شيء من طريق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضربا خفيفا، ولا يرفعوا أصوا ـم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين (ولا يخرجوا ياسعا ـم ولا يغوثا ـم) [2] يوم عيد من أعياد النصارى[3] ولا يرفعوا مع موتاهم أصوا ـم ولا يظهروا النيران[4] معهم[5]. ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، فإن خالفوا شيئا مما شرطوا فلا ذمة لهم، وقد حل لنا منهم ما يحل لنا من أهل

1- الأنباط: هو قوم من العرب سكنوا منطقة جنوب الشام وعاصمتهم البتراء (بالأردن) يعتقد أ ـم ينحذرون من الثموديين، تميزوا بالانخراط في تجارة القوافل، تظهر النقوش والآثار التي خلفوها في أماكن بعيدة عن مقرهم حتى بلغت مصر، وإيطاليا، واليمن، يجمع العلماء على أن ما تسميه التوراة (نبايوت بن إسماعيل وآخاقيدر) لا علاقة له بالأنباط، يقال أ ـم انحدروا من الجزيرة العربية.

2- لقد وقع خلط بما بين القوسين هكذا في أ و ج، وقد صححت في ب.

3- إن حضور أعيادهم حرمها بعض العلماء يقول ابن قيم الجوزية (كما أنه لا يجوز لهم إظهارها، فلا يجوز للمسلمين مما لا ـم عليه ولا مساعد ـم ولا الحضور معهم باتفاق أهل العلم الذين هم أهله، قال أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الفقيه الشافعي، ولا يجوز للمسلمين أن يحضروا أعيادهم. لمزيد من التفصيل أنظر كتاب (أحكام أهل الذمة) لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ج3، ص1245.

4- ـاية الصفحة عشرين في أ و ب و ج.

5- الرسالة لعبد الرحمان بن غنم، بعث ـا لعمر بن الخطاب لما بعثه للشام يفقه الناس، لقد حدث عن معاذ بن جبل وتفقه به، حدث عنه ولده محمد قال ابن سعد فيه ثقة إن شاء الله، كان أبوه صحابيا هاجر مع أبي موسى، قال أبو القاسم البغوي ولد عبد الرحمان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان مختلفا في صحبته، روى عنه أحمد بن حنبل في مسنده أحاديث لكنها مرسلة، فقد ذكر يحي بن بكير عن الليث أن عبد الرحمان صحابي، وقال الترميذي له رؤية، وقال عنه أبو سهر عبد الرحمان بن غنم هو رأس التابعين كان بفلسطين، وقيل تفقه به عامة التابعين بالشام، قال الهيثم بن عدى وشباب توفي سنة 78هـ ـ /697م.

المعاندة والشقاق)، انتهى ومن هذا الأثر تفهم معنى الصغار، من قوله تعالى (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) [1].

3- تنبيه في منع الاعتداء على أهل الذمة وعقوبة ذلك

ظلم أهل الذمة حرام، فلا يحل لأحد أن يتناول شيئا من أموالهم، ولا شيئا من أنفسهم وأعراضهم إلا بما فرض الله عليهم من الجزية والصغار[2].

قال تعالى: ﴿**يا أَيها الَّذين آمنواْ أَوفُواْ بِالْعقُود**﴾[3].

وكثيرا ما أمر الله تعالى في كتابه بالوفاء بالعهود، وفي النوادر من كتاب ابن حبيب قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تدخلوا بيوت المعاهدين إلا بإذن) [4].

1- اقتبس جزء من الآية 29 من سورة التوبة.

2- هنا رد واضح وعهدى لفكر وسلامة مسعاه فيما يخص اليهود، فهو هاهنا يطلب عدم ظلمهم، وعدم الاعتداء عليهم،ولكن بينهم وبين المسلمين تطبيق شريعة الله مصداقا لما جاء في الآية السابقة فإذا التزموا بالعهود والمواثيق لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، لقد جاء في هدية الألباب وجوهرة الآداب في باب مراعاة حقوق أهل الذمة والمحافظة على عهودهم.

يقول الشيخ: حسن أفندي:

وارع مواثيـ . ـق مليك الأمـ . ـة ∴ فيما يصون حقوق أهل الذمة
فصون حقهم به قد أمر شـ . ـرع ∴ النبي المصطفى وقـ . . . ـررا
ومن يسوءهم ضم الحـ . . . ـق ∴ خالف الأمر لرب الخلـ . ـق
يكون خصمه بيوم الحشـ . . . ـر ∴ رسولنا طه مقيض البـ . . ـر
وجاء أن ظلمهم إن وجـ . . . ـدا ∴ يسلط الأعداء علينا بالـ . ـردى
كيف بحر ضرهم وهم لناعـ . ـون ∴ على الأعداء إن خطب جنـ . ـا
وهم من الجيرة في الأوطان لهـ . ـم ∴ حقوق الوطن المصـ . . . ـان

3- سورة الأنعام، الآية 1.

4- تعددت رواية هذا الحديث فقد وجدته برواية أخرى جاء فيها (لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم مثل ما أصا ـم) جاء ذلك في غزوة تبوك كما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أرض عاد قال تعالى: ﴿**وأَما عاد فَأُهلكُوا بريح صرصرٍ عاتية سخرها علَيهم سبع لَيالٍ وثَمانيةَ أَيامٍ حسوما فَترى الْقَوم فيها صرعى كَأَنهم أَعجَاز نَخلٍ خاوِية**﴾ (الحافة: 6-7).

وقد روى ابن أبي عاصم وابن منصور بن عكرمة في كتاب الآحاد والمثنى قال قال: فاجتمعنا له فصلى النبي صلى الله عليه وسلم: ثم قال إن الله عز وجل لم يحل لكم بيوت الكتابين إلا بإذن، ولا تأكلوا أموالهم ولا تضربوا نساءهم أم حسب أمرئ منكم وقد شبع حتى بطن وهو متكئ على أريكته لا يظن الله عز وجل حرم شيئا إلا ما في القرآن إلا أني حدثت بأشياء هي مثل القرآن أو أكثر، وأنه لا يحل لكم من السباع كل ذي ناب ولا الحمر، ولا تدخلوا بيوت المكاتبين إلا بإذن، ولا تأكلوا من أموالهم شيئا إلا ما طابوا له نفسا وقال ولا تضروا نساءهم).

لقد جاء في تفسير الإمام القرطبي، ج12، ص70 وهو مالكي المذهب في المسألة الخامسة: قال ابن خويز منداد تضمنت هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿**ولَولَا دفْع اللَّه الناس بعضهم ببعض لَّهدمت صوامع وبيع وصلَوات ومساجد يذْكَر فيها اسم اللَّه**﴾ (الحج:40)، فمن الظلم هدم كنائس المكاتبين أهل الذمة وبيعهم وبيوت نيرا ـم، ولا يتركوا أن يحدثوا مالم يكن سابقا، ولا يزيدون في=

تواردت الأحاديث في النهي عن ظلم أهل الذمة أو أخذ شيء من أموالهم إلا بحق ففرض لازم على أيمة المسلمين أن لا يتركوا أحدا منهم يتعدى مترلة من ضرب الجزية والذلة، وأن لا يتركوا أحدا يتعدى عليهم بظلم في شيء من أموالهم وأنفسهم، وأعراضهم كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أذلوهم ولا تظلموهم) [1]، (ومن لم يفعل ذلك فأولئك هم الظالمون) [2] و(سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) [3].

(وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله هداية، وما يتذكر إلا أولوا الألباب ويتوب الله على من تاب والله الموفق للصواب).

=البنايات لا سعة، ولا ارتفاعا، ولا ينبغي للمسلمين أن يدخلوها ولا يصلوا فيها، ومتى أحدثوا زيادة وجب نقضها، وينقض ما وجد في بلاد الحرب من الكنائس، والبيع، وإنما لا ينقض ما في بلاد الإسلام لأهل الذمة لأ ا جرت مجرى بيو م وأموالهم، التي عاهدوا عليها ولا يجوز أن يمكنوا من الزيادة لأن في ذلك إظهار أسباب الكفر.

وأعتقد أن كانوا خارج النسيج السكني للمسلمين وفي أرض صولحوا عليها وليست عنوية كأرض موات سكنوها خارج عمران المسلمين ويؤدون الجزية فلا مانع من بناء بيت لصلا م، قال الجوهري المُوات بضم الميم الموت وبفتحها مالا روح فيه، وأيضا من الأرض التي لا مالك لها، ولا منتفع ا، والمَوتان بفتح الميم والواو: الأرض التي لم تحيى وهو أيضا ضد الحيوان يقال اشترى الموتان، ولا تشتري الحيوان أي اشتري العقار دون الرقيق.

فيجوز الإحياء بغير إذن الإمام، وإحياء الأرض شق العين، وحفر البئر، وغرس الشجر، والبناء، والحرث، قال اللخمي: إن حفر بئرا في أرض ذات بياض دليل الاستحواذ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحيا أرضا موات فهي له) الحديث رواه أبو داود والترميذي، وقال حديث حسن. لمزيد من التفصيل، أنظر كتاب الذخيرة لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، ج7، المتوفى سنة 584هـ . /1285م.

1- في شروط عمر بن الخطاب على أهل الذمة لما قدم للشام فقد شارطهم بحضور المهاجرين والأنصار، وعليها أئمة المسلمين، لقوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي، تمسكوا ا وعضوا عليها بالنواجد وأياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام (إن الله لم يأذن لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، ولا ضرب أبشارهم، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذين عليهم) فقد كان رضي الله عنه أي عمر يردد (أذلوهم ولا تظلموهم).

2- لقد استوحى هذا المعنى من الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وكَتبنا علَيهم فيها أَنَّ النفْس بالنفْسِ والْعين بالْعين والأَنف بالأَنف والأُذُنَ بالأُذُن والسن بالسنِ والْجروح قصَاص فَمن تصدق بِه فَهوَ كَفَّارةٌ لَّه ومَن لَّم يحكُم بما أنزلَ اللّه فَأُولَئك هم الظَّالمونَ﴾ (المائدة:45).

3- اقتبس هذا الجزء من الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ والشعراء يتبعهم الْغاوونَ أَلَم تر أَنهم في كُلِّ واد يهيمونَ وأَنهم يقُولُونَ ما لَا يفْعلُونَ إِلَّا الَّذين آمنوا وعملُوا الصالحات وذَكَروا اللَّه كثيرا وانتصروا مَن بعد ما ظُلموا وسيعلَم الَّذين ظَلَموَا أَي منقَلَبٍ ينقَلبونَ﴾ (الشعراء: 224 إلى 227).

الفصل الثامن
كيفية أخذ جزية أهل الكتاب

1- متولي جمع جزية أهل الكتاب

في قوله ومن يتول الأخذ منهم إلى آخره، فأقول والله الموفق للصواب. إنما يتولى أخذ الجزية وصرفها الإمام أو من يقوم مقامه، في عدمه وهو أعلم أهل ذلك الزمان[1].

2- التكليف بمقدار سعة التوظيف

قال في الذخيرة: التكاليف قسمان عام وخاص.

فالعام: كالصلاة، والثاني: كالحدود والتعازير، وتولية القضاء ونحوه، فهذا خاص بالأيمة ونوا م، ولا يجوز لأحد أن يفعله إلا بإذ م، فإن فرطوا فيه قال إمام الحرمين إن شغر الزمان عن الإمام انتقلت أحكامه إلى أعلم ذلك الزمان[2] لأن قضية الدليل استواء الناس، لكن لما كان ذلك يؤدي للتشاجر خص به أفضلهم[3].

1- لقد أشار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في صلب الباب الثامن لكتابه جملة مختصرة فيما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة، باب بيان مصارف أموال الله (يجب على كل من بيده شيء من مال الله أن لا يصرفه إلا في المصاريف التي شرع الله، فمال الله قسمان: قسم لا صناف معينة، وقسم فيئ يصرفه الإمام في المصالح، فالأول زكاة العين، والحرث، والماشية، وزكاة المعدن وزكاة الفطر.
والثاني: هو الفيئ كخمس الركاز، والمعادن، وخمس الغنيمة، وما يؤخذ من أهل الذمة، وأهل الصلح، وما يؤخذ من تجارها وخراج الأرضيين، وتركة لا وارث لها، وما أفاء الله من أموال أهل الحرب بلا حرب، حكم ذلك كله للإمام يصرفه بالتقوى لا بالهوى وسيرة أئمة العدل في قسم الفيئ، أن يبدأ الإمام بسد ما لا غنى عن سده من حصن وسلاح، وغيره، ثم بأرزاق العلماء والقضاة، والمؤذنين، وكل من بيده شيء من مصالح المسلمين كالمقاتلين، ثم الفقراء الأحوج، فالأحوج حتى يعمهم بأجمعهم من ذكر وأنثى وصغير وكبير بحسب احتياجهم وأنواع حوائجهم، ثم يعم بما بقى جميع الناس بالسوية غنيهم وأغناهم عربيهم وعبيدهم، إلا أن يرى الإمام حبسه للنوائب بنية صادقة ونظر صائب، فإن اتسع المال أبقى منه شيئا في بيت المال لما يحدث من النوائب، وبناء المساجد وفك الأسرى وقضاء الديون، ومؤونة تزويج العذاب، وإعانة الحجاج، وغير ذلك من وجوه الاحتياج). أنظر لمزيد من التفصيل كتابنا: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، دوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ./15م، ص126-127.

2- لقد أفتى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في هذا السياق بضرورة الفرق بن الحكم والتولية الشرعية، فقد أشار في رسالة الاستخلاف أنه تولى على قصور توات بالولاية الشرعية مبايعة شرعية جماعية من قبل السكان، أما الحاكم يمكن أن يبقى ويترع إذا خالف الشريعة، وهذه إحدى المسائل التي أثارت الخلاف بينه وبين الإمام عبد الله العصنوني رحمهما الله، فالعصنوني يرى أنه القاضي المكلف بقضاء الجماعة فهو يكون بيده الحل والربط، بينما يرى الإمام المغيلي أنه هو صاحب الربط والحل لأنه بويع مبايعة شرعية من قبل السكان.

3- عندما لا يوجد عمود يقود الأمة أو عجز عن تأدية ما عليه فإن جماعة المسلمين لها أن تقيم الحدود في البلد الذي لا يحكمه حاكم عدل أو فيه سلطان لكنه فاقد للعدالة مضيع لأحكام الشريعة.
لقد سئل الشيخ حمى التيشيتي وهو من علماء موريتانيا عن جماعة المسلمين هل تقوم مقام الحاكم في كل شيء ولو في الحدود فأجاب: الجماعة في البلد الذي لا حاكم فيه تقوم مقام الحاكم في الحدود وغيرها. كما أفتى محمد الصالح بن عبد الوهاب المتوفى سنة 1271هت/1855م، وقال كل بلد لا سلطان فيه يقيم الحدود أو فيه سلطان غير عادل فعدول الموضع أهل العلم يقومون مقام السلطان في جميع ذلك. أنظر لمزيد من التفصيل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصيده للخطر اليهودي، ج1، ص 348 للأستاذ عبد الله حمادي.

وهو الإمام، فإن تعذر ذلك انتقل لا علمهم[1] دفعا للمفسدة بحسب الإمكان على أتم الطرق، قال فهذه القاعدة الجميع عليها لا يجوز التعدي على ولاة[2] الأمور فيما فوض إليهم ويجب عليهم أعنى ولاة الأمور الاجتهاد في هذه الأمور وهي كثيرة مذكورة في أبواب الفقه، من أموال الغائبين والصبيان وا انين، ونساء المفقودين، والحجر على

1- اية الصفحة عشرين في أ و ج.

2- يحث الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي محمد بن يعقوب زنقا أن يكون حازما شديدا في تطبيق الشريعة المحمدية إذ يمطره ذين البيتين حيث يقول:

إذا كنت في أمر فقم فيه ناصحـ ـا ∴ وإن تستنب فاختر خيارا لأهلـ ـه

ومن يأت بالكلب العقور لبابـ ـه ∴ فعقر جميع الناس من سوء فعلـ ـه

يقول الشاعر: لقيط بن يعمر الأيادي المزداد سنة 249 قبل الهجرة المرافق سنة 380م، هو شاعر جاهلي فحل من أهل الحيرة يحسن الفارسية واتصل بكسرى سابور (ذي الأكتاف) فكان من كتابه والمطلعين على أسرار دولته، هو صاحب القصيدة التي مطلعها: (يا دار عمرة من محتلها الجرعا)، بعث ا لبني إياد يشعرهم بأن كسرى وجه جيشا لغزوهم إلا أ ا سقطت في يد من أوصلها لكسرى فسخط عليه وقطع لسانه ثم قتله.

يقول في هذه القصيدة

وقلدوا أمركم الله دركـ ـم ∴ رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفا إن رخا العيش ساعده ∴ ولا إذا عض مكروه به خشعـ ـا

مازال يجلب در الدهـ ـر أشطره ∴ يكون متبعا يومـ ـا ومتبعـ ـا

حتى استمر على شزر مريرتـ ـه ∴ مستحكم الرأي لا فخما ولا ضرعا

وقال الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في رسالته لمحمد بن يعقوب زنقا

عليك بطاعة السلطان سـ ـرا ∴ وجهرا ما بقيت مدى الزمـ ـان

فطاعة من له أمر و ـ ـي ∴ أمان في أمـ ـان وأمـ ـان

ولا تجاوب بنعم سفيها وطيش ∴ من قبيح قد يأتيـ ـك الأمـ ـان

طاعة ذي أمر أمان وقبـ ـول ∴ في الدين والدنيا وعز ووصـ ـول

قال تعالى: ﴿ **يا أَيها الَّذين آمنواْ أَطيعواْ اللّه وأَطيعواْ الرسولَ وأُولي الأَمرِ منكُم فَإِن تنازعتم في شيءٍ فَردوه إِلَى اللّه والرسولِ إِن كُنتم تؤمنونَ بِاللّه والْيومِ الآخرِ ذَلك خيرٌ وأَحسن تأْويلاً** ﴾ (النساء:59).

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل ضعيف وملهوف) الحديث رواه البخاري. أن تعيين الإمام واجب شرعي باتفاق العلماء ويعزل بالفسق، والفتنة ويجب أن يدعى له بالصلاح وتصبح الإمامة بأمور ثلاثة

- اختيار أهل الحل والعقد أو ما يمكن أن نسميه البيعة الشرعية للكافة.
- وراثة الإمامة بالعهد ما يحصل لدى الملوك والأمراء.
- والغلبة والقهر كما يحصل بالعصيبات.

يقول العلامة بن خلدون (ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم م فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم، وليست آلة السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم في دفع العدوان فيكون السلطان هو الوازع الواحد منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة.

أنظر: العبر، ج1، ص45-46.

المفلس، والمبذولين والتصرف في بيت مال المسمين بالجباية، والصرف، وقسمة المغنم، والزكاة، وذلك كثير يعرف في مواضعه انتهى.

فبلاد ليس فيها إمام، ولا من يقوم مقامه يجب عليهم رفع أمرهم له حيث كان ليقدم من ينظر في مصالحهم، فإن تعذر ذلك عليهم لبعدهم وانقطاعهم أو لطغيان كبرائهم فلا بد من درء المفسد وجلب المصالح بحسب الإمكان[1] في كل مكان فيتعين عليهم أن يخرج منهم من يقوم بمصالح الناس فريقان أهل الخير الأخيار، وأهل القيام ليختار الفريق الأول من الفريق الثاني من هو أصلح للناس وشروط المختارين ثلاثة، العلم بشروط الأصلح، والعدالة، والحكمة، والرأي المؤديان للمقصود في اختيار الأصلح، والأصلح لكل خطة أقوم الناس بمصالحها، قال في الذخيرة يقوم في كل ولاية من هو أقوم بمصالحها، فيقدم في الحرب من هو أعلم بسياسة الجيوش، ومكائد الحرب[2].

وفي القضاء من هو أعلم بالأحكام ووجوه الحجاج، وفي الأيتام[3] من هو أعلم بقيمة المال، واستصلاح الأطفال، وفي إمامة الصلة من هو أعلم بأحكام الصلاة وأقرب للشفاعة بدينه وورعه، وقد يكون المقدم في باب مؤخرا في باب كالنساء مقدمات في

1- لقد جاء في در الإمام محمد بن عبد الكريم عند ما طرح عليه محمد بن يعقوب أسئلة حول ترتيب إمارته سنة 1492م فأنشد يقول:

إذا أهمل السلطان شأن مقام. . . . ه ∴ فقد بان منه الضعف في كل حال
وأمسى كليل الأمر والنهي في الـ. ورى ∴ وأرمي بثوبي عزه وجمال. . . ه
إذا قرب السلطان أخيار قوم. . . . ه ∴ وأعرض عن أشرارهم فهو صالح
وإن قرب السلطان أشرار قوم. . . ه ∴ وأعرض عن أخيارهم فهو طالح

وبالجملة حال الرعية وحال السلطان كفتان فتصرف في حالك بالزيادة والنقصان حتى يعدل الميزان (ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية)، ويقول في باب ما يجب على الأمير من الحذر في الحضر والسفر.

الأقبح الله الجبان م. . ن الـ. . . ورى ∴ وأكساه ثوب الخزي في طبق الثـ. رى
أبا الجبن كان الملك يملك قلبنـ. . . . ا ∴ وما الملك إلا بالشجاعة يشتـ. . ري
أخذ الحرب إن عضت به الحرب عضها ∴ وإن شمرت عن ساقها الحرب شمـ. را

لمزيد من التفصيل أنظر كتابنا الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي د وره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية مرجع سابق، ص101.

2- هنا يشير الإمام لكيفية تنظيم الحكم ويقسم الأدوار والاختصاصات بحسب كل حالة، فقد فصل بين السلطة التنفيذية والقضائية، والدينية، والتشريعية، وسلطة ولي الأمر بما أسدى إليه من النصح واليقظة والتبصر كما حدد لنا كيفية قبض الحقوق الشرعية، والخاصة بالناس، وكيفية تقسيم التركة، وبيان حقوق اليتامى، قال تعالى: ﴿ **وآتوا الْيتامى أَموالَهم ولاَ تتبدلُواْ الْخبيثَ بِالطَّيبِ ولاَ تأْكُلُواْ أَموالَهم إِلَى أَموالكُم إنه كَانَ حوبا كَبيرا** ﴾ (النساء:2).

3- وقال تعالى: ﴿**وابتلُواْ الْيتامى حَتى إِذَا بلَغواْ النكَاح فَإِنْ آنستم منهم رشدا فَادفَعواْ إِلَيهِم أَموالَهم ولاَ تأْكُلُوها إِسرافًا وبدارا أَنَ يكْبرواْ ومن كَانَ غَنيا فَلْيستعفف ومن كَانَ فَقيرا فَلْيأْكُلْ بِالْمعروف فَإِذَا دفَعتمَ إِلَيهِم أَموالَهم فَأَشهِدواْ علَيهِم وكَفَىَ بِاللّه حسِيبا**﴾ (النساء: 6).

الحضانة مؤخرات في الجهاد والصلاة لأن مزيد شفقتهن وصبرهن يقتضي مزيد صلاحهن للأطفال، ومصالح العيال، فلهذه القاعدة يقدم في جميع هذه الولايات على تباينها من هو أقوم ـا انتهى.

3- التصريح بالممتلكات قبل التوظيف والتكليف

فلا يحل للإمام ولا غيره أن يقدم في كل ولاية إلا من هو أقوم بمصالحها فإن ولى الإمام أو غيره أهلا لولاية من قضاة أو غيره ثم وجد لتلك الولاية من هو أقـ ـوم ـا، ممن هو فيها وجب عليه عزله وتوليتـ ـه[1].

1- في إطار تنظيم الحكم الراشد وفق السياسة الشرعية لبناء دعائم النظام، وضع الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي دواليب صلبة لإقامة النظام العادل المبني على مراعاة الأحكام الشرعية وتقوى الله تعالى تحت رجال يعظمون حكم الله بالتقوى لا بالهوى يخافون الله ولا يخشون لومه لائم، فبنى تلك الأسس على الشكل التالي:

أولا: خدام بالحضرة يتصرفون:

أ- عقلاء يشيرون.

ب- أمناء يقبضون ويتصرفون.

ج- كتاب وحساب يحفظون.

د- رسل وجساس.

هـ - وحفظة وعساس.

ثانيا: علماء عدل يولون مصالح الناس:

أ- علماء تقاة يرشدون.

ب- أئمة فضل يجمعون.

ج- عدل يرشدون ويحتسبون يكشفون ويصلحون.

د- أرباب شرطة يزجرون.

هـ - قضاة ثقاة يفصلون.

و- رجال يعظمون لوجه الله.

ل- عمال يجيبون حق الله.

م- وزراء لا يخشون إلا الله.

ثالثا: حصن حصين مكفى بالخزين:

أ- خيل حديدة وظهور شديدة.

ب- رجال شجعان حاضرة في كل أوان وعدد كثيرة متينة.

ج- أطباء عارفة أمينة.

رابعا: في الحروب:

أ- وزراء يجمعون الرجال ويخففون الأثقال ويحملون على الحذر وحمل السلاح، ويرتبون الجيش للكفاح بصدر ثابت من الأبطال.

ب- وجناحين من سائر الخيل والرجال.

ج- وبلغاء ينشطون القلوب ويقبحون الهروب.

د- وعرفاء بالحروب برأيهم تنكشف الكروب، فإن الحرب خدعة ليس بالكثرة ولا بالسرعة (ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية).

للمزيد من التفصيل أنظر كتابنا: مدونة فقه التشريع لبناء الإمارة، مرجع سابق، ج2، ص257 إلى 262.

الأقوم [1] لأن ولاية الأقوام أَلح للناس فيتعين طلبها[2].

قال في الذخيرة كل من ولى ولاية الخلافة فما دو ـا إلى الوصية لا يحل له أن يتصرف إلا بجلب مصلحة أو درء مفسدة لقوله عليه السلام (من ولى من أمور أمتي شيئا ثم لم يجتهد لهم ولم يصلح فالجنة عليه حرام) [3] ، ولقوله تعالى: ﴿ **ولاَ تقْربواْ مالَ الْيتيمِ**

1- في عصر عمر بن الخطاب بعد اتساع الدولة قسمها الخلفاء لولايات وجعل لكل ولاية والي يعينه الخليفة وله التفويض التام في حكم الولاية، وفي عصر الممالك في مصر وسوريا كانت الولاية تمثل أصغر تركيبة إدارية، فقد حددوا للولي شروط سبق وصفها منها الاستقامة والسلوك السوي والحفاظ على المقومات الشرعية. فالمرء في كل صلاة يدعو الله عز وجل أن يهديه الصراط المستقيم، فالأقوم من قام يقوم قائم وأقوم، وهو المستقيم القائم على شرائع الله فيما رعاه، منفذا لشرعه وضامنا لحقوق الناس بالعدل والصراط القويم حتى يعتدل الميزان، قال صلى الله عليه وسلم (من ولى من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئا فرفق ـم فارفق به) رواه مسلم، فمن ضمن محاكاة تنظيم سير العدل واعتدال الميزان، طلب الإمام من محمد بن يعقوب زنقا بما يلي (أظهر حب الخير وأهله، وابغض الشر وأهله، وزين جسمك، وطيب ريحك، وحسن ثوبك، بمباح من زينة الرجال غير متشبه بالنساء ولا تتزين بفضة ولا ذهب ولا حرير، وتربع إن جلست (قرفصاء) واسكن ما استطعت فلا تعبث ولو بيدك واغضض من بصرك، وليكن نظرك تفرسا، وإطراقك تفكرا وإقبالك على الخلق بوجه أداء الحق، ولا تفتح فمك ولو للتثاوب، فإن كاد أن يغلبك فاذكر الله يذهب عنك، وإن غفلت حتى غلبك عليك بسد فمك بظهر إحدى يديك فأنشد يقول:

مولاك لا تفتحه أبـ . ـدا فإنمـ . ـا ∴ يقهقه الأعمى ويزداد عمـ . ـى
وكن على الصمت حريصا دائمـ . ـا ∴ فقلما يسلم مـ . ـن تكلمـ . . ـا
وإن يكن لا بد فاختر محكمـ . ـا ∴ واخفض من الصوت لئلا تندما

إن من أكبر الكبائر إثنان: كبر الفقير، وكذب السلطان، فإذا تحدثت فاصدق وإذا وعدت فأوفي، وإذا أمرت بأمر أو ـيت عن شيء فلا تغفل عنه حتى تبلغ المقصد منه، وأياك أن تقصر خطواتك عن مقالك فتذهب هيبتك من قلوب رعيتك وعمالك، ولا تقرب لخدمتك ومجلسك ناقصا في أعين الناس فإن دائرة المرء لباسه، فاختر خير جليس، ولا تقرب من طعامك وشرابك وفراشك، وثيابك إلا أقرب أحبابك، ولا تفارق الدرع، ولا تقم بغير مكان أمين وغير مرقدك في كل حين، ثم أنشد قائلا:

إذا أهمل الراعي المواشي في الخـ . ـلاء ∴ وألوى إليها في المراح وأهملا
فما هو إلا واحد من أسودهـ . . . ـا ∴ وعما قريب تنجلي عـ . ـن أولا

ومن ذلك على الوالي: أن يحتفظ على عماله في جميع أعماله ويتدبر أقوالهم ويختبر أحوالهم ويحصى قبل الولاية أموالهم (أنى لك هذا) لأ ـم محاسبون عن عملهم وأموالهم قال صلى الله عليه وسلم (لن تزلا قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه) رواه الترميذي، ويتفقد في كل حين أعمالهم، فكل من ظهر فيه تقصير زجره، وكل من خشى منه ظلم عزله، ومن تكررت فيه الشكوى من غير بيان أبدله إن وجد بدله) لقد بعث عمر بن الخطاب رسالة مقتضبة لوالي مصر عمرو بن العاص لما كثرت الشكاوي ضده، فقال له (لقد كثر شاكوك وقل شاكروك، فإما اعتزلت وإما امتنعت).

2 – لقد وجدته بصيغة أخرى روى عنه عليه الصلاة والسلام قوله (ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجتهد لهم ولا ينصح لهم إلا لم يدخل الجنة) رواه أبو داود عن جابر رضي الله عنه، وجاء في الحديث الذي روته أمنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا (اللهم من ولى من أمور أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمور أمتي شيئا فرفق ـم فارفق به).

3 – سورة الإسراء، الآية 34.

إلاَّ بالَّتي هي أَحسن﴾ [1] وكذلك عند الشافعي[2] لا يبيع الوصي صاعا بصاع لا فائدة فيه، وليس للخليفة أن يفعل ذلك في أموال المسلمين ويجب عليه عزل الحاكم إذا إرتاب فيه دفعا لمرتبة الريبة، ويعزل المرجوح عند وجود الراجح تحصيلا لمزيد المصلحة. واختلف في عزل أحد المتساويين بالآخر، فإذا علمت ذلك ظهر لك ضلال أكث ـ ر أهل البلاد الصحراوية[3].

1- لم يكن الإمام يحمل ذلك الزعم القائل بعدم الخروج على المذهب الواحد، فكثيرا ما نجده يعتمد فتاوى وآراء علماء من المذاهب الأخرى كالشافعية، والحنابلة، علاوة على آراء علماء وفقهاء المذهب المالكي.

2- لقد جاء في الباب الخامس المعنون فيما يجب على الأمير من الكشف عن الأمور حين رد على أسئلة محمد بن يعقوب زنقة (فمن ذلك أن يسأل عن كل ما يجهل من العدول والأمناء والمثقفين قبله والأوصياء، ويحجر على كل مهمل فمن ظهر فيه تقصير زجره وكل من خشي منه ظلم عزله، فمن شهد عليه عدول بوجود خمر في بيته أو علاماته كشف الأمر عن بينته. لمزيد أنظر كتابنا مدونة الفقه التشريعي لبناء الإمارة، ج2، ص259. مرجع سابق.

3- دائما يشير لتلك الأحداث وحال ما كانت عليه البلاد الصحراوية من إهمال، وترك القوم فُرادي لا حاكم يحكم ولا رادع يردع، الناس همل في الصحراء لا يحكمهم أحد خاصة بتلك الأوطان البعيدة، لقد نقل عن ابن حجر الإجماع على عدم جواز الخروج على السلطان ولو كان ظالما فقال قال ابن بطال في الحديث حجة على ترك الخروج على السلطان ولو جار، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعته خيرا من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن للدماء وسفك أرواح الضعفاء، وتسكين الدهماء، فقد أجمع أهل السنة أنه لا يعزل السلطان أو الحاكم بالفسق. وفي الحديث قوله عليه الصلاة والسلام (من مات وليس في عنقه بيعة مات موتة جاهلية) قال تعالى: ﴿يا أَيها الَّذين آمنواْ أَطيعواْ اللّه وأَطيعواْ الرسولَ وأُولي الأَمرِ منكُم﴾ (النساء:59) وقوله صلى الله عليه وسلم (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني) أخرجه أبا هريرة.

يعرف العلامة عبد الرحمان بن خلدون الإمامة على أ ـ ا (هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا) وقد أخذت الإمامة معنى اصطلاحي إسلامي فقصد بالإمامة خليفة المسلمين وحاكمهم، وتوصف أحيانا بالإمامة العظمى أو الكبرى تميزا لها عن الإمامة في الصلاة، على أن الإمامة إذا أطلقت فإ ـ ا توجه إلى الإمامة الكبرى أو العامة، وقد فرق العلماء والفقهاء بين الخلافة، والملك، فيرى عبد الرحمان بن خلدون أن الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار، والخلافة: هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها) وقد اختلف في وجو ـ ا هل وجبت بالعقل أو بالشرع يقول الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ∴ ولا سراة إذا جهالهم سـ ـ ـادوا

في كثير من تصرافتهم، وتولية قضا م[1] لأ م في غالب ذلك أو كله على حسب شهوا م. وتصرف الجزية مصرف الفئي[2]. وسيرة آيمة العدل في قسم الفيئ، إن يبدأ الإمام بسد ما لا بد من سده من حصن وسلاح وغيره، ثم بعطايا آل النبي صلى الله عليه وسلم، ويفضلهم على غيرهم، ثم بأرزاق العلماء والمؤذنين، وكل من بيده شيء من مصالح المسلمين بحسب الاجتهاد، ثم بالفقراء الأحوج، فالأحوج حتى يعمهم بأجمعهم ثم يعم بما بقى جميع الناس بالسوية غنيهم وأغناهم وعربيهم ومولاهم، إلا أن يرى الإمام أو من يقوم مقامه في عدمه حبس هذه الفضلة أو بعضها للنوائب بنية صادقة ونظر صائب[3].

1- لم يكن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي راضيا على تعين القضاء ولا على الأحكام التي كانوا يصدرو ا، فقد وصفهم بالجهل وضعف العلمية وعدم القدرة على حل المشاكل المطروحة، فقد بان منهم الميل في الأحكام وبذلك خرج الحكم عن القضاء والميزان فمصادر علميتهم لا ترتكز أحيانا على قواعد فقهية سليمة، فالتقوى مخافة الله في السراء والضراء، قال الإمام مالك (من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق).

ومن التوصيف الحالك لقضاة زمانه ما جاء في هذه الأبيات التي ألفها فيهم فيقول:

صفة أهل هـ ـذا الزمـ ـ ـ ـ ـان ∴ ترك الحق وقلة الإيمـ ـ ـان
الحسد الكثير ثم البهتـ ـ ـ ـان ∴ والاعتناء بالجور ثم العصيـ ـان
إذا دعوا الله والعبـ ـ ـ ـ ـ ـادة ∴ قالوا بلا طريقنا بالعبـ ـ ـادة
ويسمعون الجور من أهل الظلـ ـم ∴ ويبغضون الحق وأهل العـ ـلم
والأمر بالمعروف عندهم غريـ ـب ∴ وإتباع السنة عندهم صعيـ ـب
قلو م قاسيـ ـة وغافلـ ـ ـ ـ ـة ∴ عقولهم ذاهبة وذاهلـ ـ ـ ـة
وحالهم في البيع والشـ ـ ـ ـراء ∴ والغش والربا والافتـ ـ ـراء
قبضتهم على الهواء والطمـ ـ ـع ∴ تجار م على الكذب والبـ ـدع
وزد إليهم حالة الشهـ ـ ـ ـود ∴ في الميل والكـ ـذب في العقـ ـود
والعدل في زماننا قد انقطـ ـ ـع ∴ لكثرة الفسق وقلة الـ ـ ـورع
وهكذا العمـ ـال والـ ـ ـولاة ∴ وكلهم في حملهم طغـ ـ ـاة
قراؤهم عقـ ـارب أذايـ ـ ـ ـا ∴ ليس لهم دين ولا هـ ـ ـدايا

2- الجزية: مال يعطيه منهم كل ذكر بالغ حر قادر مخالط عند تمام كل سنة بصفة شرعية

أ- صفة أخذها: تؤخذ بعد أن يجمعوا في مكان عام كالسوق يحضروا بأخسه وأسفله قائمين على أقدامهم وأعوان الشريعة على رؤسهم بما يخوفهم على أنفسهم ليظهر لهم أن المقصد إذلالهم.

ب- من يتولى جمعها: يتولى جمعها الولي أو من ينوب عنه أو رجل من أهل الخير ليكون أخذها وصرفها على يد واحدة لا عن أيد متعددة.

ج- مصارفها: تصرف الجزية مصرف الفيئ وسيرة أئمة العدل في صرفه.

3- لقد جاءت هذه الجملة في معرض مخطوطة المغيلي رسالة لكل مسلم ومسلمة المحققة في كتابنا مدونة نازلة يهود توات، ج1ن ص144.

(وفي بعض هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله هداية، وما يتذكر إلا أولوا الألباب، ويتوب الله على من تاب والله الموفق للصواب)[1] ﴿**ربنا لاَ تزِغْ قُلُوبنا بعد إِذْ هديتنا وهب لَنا من لَدنك رحمةً إِنك أَنت الْوهاب**﴾ [2].

والصلاة والسلام الأتمان على النور المبين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين[3].

انتهى آخر شوال عام 1258هـ. /1842م على يد محمد بن عبد الرحمان بن عمر، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[4].

1- هذه خاتمة الفصل الثامن يختم ـا كل فصل من فصول هذه المخطوطة.
2- سورة آل عمران، الآية 8.
3- هذه ـاية المخطوطة وبالأحرى ـاية الصفحة الثانية والعشرين من كل النسخ.
4- هذه الجملة من إسداء الناسخ فقد بان أن نسخها لم يكن بعيدا بل مر عليه 174 سنة فقط.

أولا
فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الرقم	اسم السورة	رقم الآيات
01	البقرة	10، 11، 12، 31، 32، 61، 74، 78، 85، 88، 105، 109، 120، 146، 156، 170، 188، 221، 204، 205، 206، 256، 269.
02	آل عمران	7، 8، 18، 28، 29، 69، 71، 98، 99، 100، 102، 103، 118، 119، 120، 159.
03	النساء	2، 6، 25، 29، 138، 139، 144، 145، 146، 147، 155.
04	المائدة	5، 42، 45، 50، 51، 55، 57، 80، 81، 82.
05	الأنعام	1، 19، 152 156.
06	الأعراف	12، 20، 26، 40، 157، 165، 179، 187.
07	الأنفال	2، 16، 41.
08	التوبة	12، 23، 24، 29، 33، 71.
09	يونس	101.
10	هود	74، 113.
11	الرعد	5، 28.
12	إبراهيم	52.
13	النحل	41، 43، 68 119.
14	الإسراء	35.
15	الكهف	28.
16	الأنبياء	2، 3.
17	الحج	8، 9، 40، 46.
18	النور	26، 31، 32، 40، 60.
19	الفرقان	27، 28، 29، 44.
20	الشعراء	29، 94، 224، 227.
21	القصص	45، 59.

22	الروم	21.
23	لقمان	6، 20، 21.
24	الأحزاب	32
25	فاطر	6.
26	ص	26، 29.
27	الزمر	23.
28	فصلت	5، 25، 163.
29	الزخرف	23.
30	الجاثية	23.
31	محمد	24.
32	الفتح	29.
33.	ق	33.
34	الرحمان	54.
35	الحديد	16.
36	ا ادلة	14، 22.
37	الحشر	2، 7، 11.
38	الممتحنة	1، 8.
39	الصف	6.
40	الجمعة	1، 5.
41	المنافقون	4.
42	الطلاق	2، 3.
43	الحاقة	6، 7.
44	المعارج	30.
45	الإنسان	4.
46	المرسلات	32.
47	المطففين	2، 3، 4، 5.
48	العلق	1، 5.
50	الزلزلة	7، 8.

ثانيا
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

1- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزع من الناس).
2- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (العين تزنى والقلب يزنى...إلخ).
3- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (الحلال بين والحرام بين وبنيهما...).
4- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم الناس من لسانه ويديه...).
5- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (من أحيا أرضا موات فهي له....).
6- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (لا ترفع فيكم يهودية ولا نصرانية....).
7- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (ما من وال يلى إلا له بطانتان...).
8- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي...).
9- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (الرجل على دين خليله...).
10- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (أية المنافق ثلاثة إذا حدث كذل وإذا وعد...).
11- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السؤ...).
12- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال...).
13- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس...).
14- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة...).
15- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح...).
16- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (اللحد لنا والشق لغيرنا..).
17- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر...)
18- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (ادوا تحابوا...).
19- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (لا تنهى....).
20- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (اخفضي ولا تنهكي فإن أنضر للوجه...).
21- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (الفطرة خمس، الختان، والاستحداد...).
22- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (الأرواح جنود مجندة....).
23- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...).
24- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (القابض على دينه في آخر الزمان...).

25- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (العلم علمان علم على اللسان...).
26- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل...).
27- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (لا أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال...).
28- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (إن الدين قد استضاء إضاءة هذه الحصاة....).
29- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر...).
30- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم...).
31- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (لا تكون قبلتان في بلد واحد...).
32- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (إهدموا الصوامع واهدموا البيع...).
33- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة...).
34- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (الاسلام يعلو ولا يعلى عليه...).
35- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (إعط الأجير حقه قبل أن يجف عرقه..).
36- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر...).
37- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكر فليغيره بيده فإن لم يستطع...).
38- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما...).
39- حديث قوله صلى الله عليه وسلم أطلوا العلم من المهد إلى اللحد...).
40- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (طالب العلم في سبيل الله حتى يرجع...).
41- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (إن الملايكة لتنشر أجنحتها لطالب العلم...).
42- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل...).
43- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (من أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله...).
44- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق...).
45- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (لا تدخلوا بيوت المعاهدين إلا بإذن...).
46- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء...).
47- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه...).

48- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (من ولى من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق...).
49- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (لن تزلا قدما عبد حتى يسأل عن أربع....).
50- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (من ولى من أمورا متى شيئا ثم لم يجتهد لهم....).
51- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (من مات وليس في عنقه بيعة مات موتتة...).
52- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله...).
53- حديث قوله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام...).

ثالثا
فهرس المخطوطات

1- مخطوطة: رسالة الغلائف للزاوية البكرية
2- مخطوطة: رسالة الغلائف لمكتبة محمد بن عبد الكريم المغيلي
3- مخطوطة: مركز الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار
4- مخطوطة: الشجرة الكبرى الجامعة لأنساب سكان توات للشيخ محمد بن العالم الزجلاوي، ص5
5- مخطوطة: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام لمحمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، ص11.
6- مخطوطة: الإفهام والإنجال في بيوع الآجال للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص6
7- مخطوطة: معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوبي السودان لأحمد بابا التمبكتي، مخطوطة باريس تحت رقم 1893.
8- مخطوطة: مصباح الأرواح في أصول الفلاح للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص13- 16.
9- مخطوطة: أرجوزة منح الوهاب للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص3.
10- مخطوطة: القول البسيط في أخبار تمنطيط لمحمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم الملقب بن بابا جيدة، ص6
11- مخطوطة: تفسير الفاتحة للإمام محمد بن عبد الكرم المغيلي، ص1.

رابعا
فهرس المراجع المعتمدة للكتاب

1- فقه السنة للشيخ سيد سابق، ج2، ص70-71.
2- مدونة نازلة يهود توات، أ.مبروك مقدم، طبع دار القدس العربي، 2012، ص66-121.
3- البستان في ذكر علماء وأولياء تلمسان لابن مريم المقدوني، ص66.
4- تاريخ المسلمين في الأندلس، د.محمد سهيل طقوس، ص29-30.
5- العبر وديوان المبتدأ أو الخبر لعبد الرحمان بن خلدون، ج6، ص149.
6- اية الأرب في معرفة قبائل وأنساب العرب لأحمد بن علي بن أحمد القشلقسندي.
7- مقدمة ابن خلدون، طبعة بيروت، 1976.
8- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقدري التلمساني، ج7، طبع سنة 1946.
9- نيل الابتهاج في تطريز الديباج لأحمد بابا التمبكتي.
10- حذوة الاقتباس في من حل من الإعلام لمدينة فاس لأحمد بن القاضي المكناسي، طبعة 1973.
11- تعريف الخلف بمآثر السف، أ.مبروك مقدم، ج1، تحت الطبع بدار القدس العربي.
12- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي.
13- فتح الشكور في تعريف علماء التكرور لأبو عبد الله الطالب محمد بن أبي.
14- الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، دوره في نشأة الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ. /15م للأستاذ مبروك مقدم، طبع دار الغرب للطباعة والنشر، وهران، 2003.
15- الأنس المطرب بروضة القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لأبي الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي.
16- حركة اللغة العربية وأد ا بنيجيريا، ط2، الرياض لأحمد سعيد شيخو غلادثني، طبعة 1993.
17- درة الحجال في أسماء الرجال لأحمد بن محمد بن القاضي، تحقيق محمد الأحمدي.
18- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر لابن عساكر الشفشواني، تحقيق محمد حجي.
19- مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية لآدم عبد الله الألوري، ط2، 1992.

20-الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ. /15م للأستاذ مبروك مقدم، طبع دار الغرب للطباعة والنشر وهران، 2003.
21-الإمام محمد عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، أ.مبروك مقدم، طبع دار الكتاب تلمسان، 2003.
22-البشرى، شرح المرقاة الكبرى لعبد القادر الكسنمي.
23-البنيات الانقسامية في ا تمع القصوري التواتي، للأستاذ مبروك مقدم تحت الطبع بدار القدس العربي، وهران.
24-الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره في الحكومة بالقرون الوسطى بنيجيريا، لعبد الله الألوري، 1986.
25-الكواكب الوقادة في شرح الأوراد للشيخ سيد المختار الكنتي.
26-النحو الوضاح، د. إبراهيم إبراهيم بركات، ج1، دار النشر للجامعات، مصر.
27-أسئلة الحاج محمد بن أبي بكر أسكيا الكبير وأجوبة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، أ.مبروك مقدم، طبع دار الغرب وهران، 2002.
28-الأنماط الإنتاجية التقليدية في القصور التواتية، ج5، طبع دار هومة للنشر والتوزيع، أ.مبروك مقدم، 2007.
29-الرسالة الغلوية، تحقيق د.حماة الله ولد سالم، ط1، 2007، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
30-الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر فرج الأنصاري الخروجي القرطبي، ج8.
31-إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي، ج1.
32-فتح الباري شرح على خليل للحافظ ابن حجر العسقلاني، ج13.
33-المرشد المعين على الضروري من علوم الدين للإمام عبد الواحد بن عاشر.
34-تفسير ابن كثير، ج8.
35-جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد المكني أبو جعفر.
36-أحكام القرآن لابن العربي أبو بكر القرطبي.
37-المعجم الأوسط للطبراني في الأحاديث المسندة عن أهل السنة والجماعة.
38-الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة لحسين بن عودة العوايشة، ط.دار الصديق، 2002، ج8.
39-تفسير القرآن للإمام الحسين بن مسعود البغاوي، ج6.

40-تفسير القرآن الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي.
41-تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، دار النشر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، ج16.
42-هدية الألباب في جوهر الآداب للشيخ حسين الجسر.
43-شرح ج البلاغة، ج1 للشيخ ابن أبي الحديد.
44-تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، للإمام برهان الدين البقاعي.
45-علاقة الأبجدية التفناغية برموز وإشارات توزيع مياه الفقارة، ج4، طبع دار هومة للنشر والتوزيع، 2008، للأستاذ مبروك مقدم.
46-الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد النهضة العلمية الإصلاحية، الجهادية بقصور توات وبإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ. /15م للأستاذ مبروك مقدم، تحت الطبع.
47-مدونة الفقه التصوفي للأستاذ مبروك مقدم، ج1، طبع دار القدس العربي، 2012.
48-تفسير القرآن الكشاف للزمخشري، ج2، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق عبد الرزاق الهدي.
49-تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفضل.
50-مدونة الفقه النوازلي للأستاذ مبروك مقدم، ج2، طبعة دار القدس العربي، 2012.
51-المعيار المعرب في ذكر فتاوى إفريقيا والمغرب لأحمد بن يحيى الونشريسي، ج2.
52-العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمان بن خلدون، ج6.
53-العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمان بن خلدون، ج7.
54-الرحبية للإمام أبي عبد الله محمد بن علي الرجي.
55-مدونة فقه التشريع لبناء الإمارة للأستاذ مبروك مقدم، طبع دار القدس العربي، 2012.
56-شرح الزرقاوي على موطأ الإمام مالك، كتاب الجهاد، باب إحراز من أسلم من أهل الذمة.
57-العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمان بن خلدون، ج1.
58-سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج12.
59-قاموس المعاني عربي بالأنترنيت.
60-أحكام أهل الذمة لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ج3.
61-الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي، ج1، 2011 للأستاذ عبد الله حمادي.

فهرس الموضوعات

- الإهداء..... 3
- التقديم..... 5
- المقدمة..... 15

الباب الأول
مولده ونشأة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني

المحور الأول: مولده ونشأته..... 23
المحور الثاني: دراسته ومشائخه..... 24
المحور الثالث: علماء عصره..... 28
المحور الرابع: الأهمية التاريخية للمخطوطة..... 30

الباب الثاني
تواصيف الموروث العلمي الثقافي الفقهي، المنطقي للإمام محمد عبد الكريم المغيلي

المحور الأول: إصدارات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي..... 50
المحور الثاني: تقنيات رمزيات التحقيق..... 64
المحور الثالث: توصيف مساريد مخطوطة رسالة الغلائف..... 66
المحور الرابع: المساند النهجية والمنهجية للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي..... 68

الباب الثالث
تحليل وتقميش الفصول الثمانية المتضمنة للمخطوطة

-صياغة وطرح الأسئلة لبناء عناصر الإجابات..... 89
الفصل الأول: في مسألة قبائل بآخر الصحراء لا تنالهم أحكام الأمراء..... 101
- تنبيه: التحذير من قرب المؤمن للكافر والسعي لمودته..... 104
القسم الأول: منع تقريب الكافر تقريبا لغرض المودة والإشفاق..... 105
القسم الثاني: منع تقريب الكافر تقريبا لغرض الصداقة..... 108
القسم الثالث: منع تقريب الكافر تقريبا إرتفاقيا وخدميا..... 111
القسم الرابع: منع مودة الكافر والسلام عليه وقبول هداياه وردها وحضور أعيادهم. 119
القسم الخامس: بيان كراهية الزواج بالكتابيات، وتحريم وضع السكة بأيد أهل الذمة... 123
- الموازين، والمكاييل، والقياسات التي وضعت في يد الذميين..... 129
الفصل الثاني: بيان منع إعانة اليهود على التمرد ومنع دفع الجزية..... 141
1- أجوبة الأسئلة الأولى للفصل الثاني..... 141
2- تصنيف العلماء لمتون وعلماء سوء..... 142

الفصل الثالث: بيان تحزيب وتخريب كبراء الطائفة الملعونة للنسج العمراني الاجتماعي... 144
1- مساطر أسئلة الفصل الثالث..... 149
2- أجوبة أسئلة الفصل الثالث..... 149
الفصل الرابع: تحريم بناء الكنيس والأديرة والصوامع داخل النسج العمراني للمسلمين... 157
1- استحداث الكنيس حيثما شاءوا..... 157
2- أجوبة أسئلة الفصل الرابع..... 157
3- تقسيم الأرض لثلاثة أنواع..... 158
1- القسم الأول: الأرض المختطة من المسلمين..... 158
2- القسم الثاني: الأراضي العائدة من الكفار للمسلمين..... 164
3- القسم الثالث: أراضي صولح عليها أهلها..... 167
الفصل الخامس: هل يجوز إقرار مفاسد أهل الذمة وما رأى الشرع..... 175
1- إسدال أسئلة الفصل الخامس..... 175
2- حواصل الإجابات عن الأسئلة المطروحة..... 175
الفصل السادس: بيان هدم الكنيس المبني بين دور المسلمين..... 183
1- استدلالية أسئلة الفصل السادس..... 183
2- حواصل الإجابات عن أسئلة الفصل السادس..... 183
3- تقليد مصالح المسلمين لأهل الذكر المتقون..... 188
4- الاعتماد في التحقق على المصنفات بعدول ثقاة..... 189
5- أدعياء العلم على ثلاثة أقسام..... 199
الفصل السابع: بيان حقوق وواجبات أهل الذمة..... 205
1- تبيان مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات..... 205
2- مقادر الجزية وعلى من تضرب وأقسامها..... 206
3- تنبيه في منع الاعتداء على أهل الذمة وعقوبته..... 211
الفصل الثامن: كيفية أخذ جزية أهل الكتاب..... 213
1- متولى جمع جزية أهل الكتاب..... 213
2- التكليف بقدر حدود نسخة التوظيف..... 213
2- التصريح بالممتلكات قبل التوظيف والتكليف..... 216
1- فهرس الآيات القرآنية الكريمة..... 221
2- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة..... 223
3- فهرس المخطوطات..... 226
4- فهرس المراجع والمصادر المعتمدة..... 227
فهرس المحتويات..... 231

أنجز طبعه على مطابع
الديوان المطبوعات الجامعية
1، الساحة المركزية – بن عكنون – الجزائر